

فكر

11

مجلة فكر الثقافية
f i k r m a g a z i n e

**مستقبل الصحافة
الورقية نحو الأفول
الخوف على
الجنس البشري
من ذكاء الآلات**

**أدوات الكتابة ومتغيراتها
رواية المحاكمة: الجميع مذنب
غادة السمان أيقونة السرد العربي**

**بودابست
لؤلؤة الدانوب**

**الأمن الفكري:
مستويات التفكير
واتجاهات التطبيق**

الثقافة التاريخية في الوطن العربي

متحف فيكتوريا وألبرت في لندن

المنازل في بلدة ثيرا في سانتوريني التي تقع جنوب بحر إيجه في أرخبيل
كيكلاديس. على بُعد 200 كم جنوب شرق اليونان. يبلغ عدد سكانها حوالي
13.670 نسمة. تشتهر باعتبارها واحدة من أكثر الأماكن رومانسية وجمالاً
في العالم.



كن معنا لرسم صورة جميلة للثقافة العربية

فكر

في هذا العدد يكتب لكم:

محمد عبد الله الفريخ	العقل الهادي
د. عبد الرحمن سليمان النملة	الأمن الفكري: مستويات التفكير واتجاهات التطبيق
د. أمير تاج السر	أدوات الكتابة ومتغيراتها
د. وليد فتيحي	تعزيز الصحة
أ.د. مهند عبد الرزاق الفلوجي	جذور ثقافة الكراهية: «التشيع العربي والتشيع الفارسي»
د. أمير العزب	الجيئات اللغوية بين لغات الأرض
د. علي عفيضي علي غازي	التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا
د. مولاي المصطفى البرجاوي	التاريخ في مهب الريح: التنوع المنهجي وإشكالية قراءة وتفسير التاريخ
د. سعيد بوخليط	رواية المحاكمة: الجميع مذنب
د. هاني حجاج	ظل الإنسان ... شعائر سوداء
ميسون أبو بكر	الحب والشعر
عمر عثمان جبق	كتاب جوهرة العالم: كيف أنشأ المسلمون والمسيحيون واليهود حضارة التسامح في إسبانيا العصور الوسطى
د. ريمه الخاني	أطفالنا أكبادنا إلى أين؟
د. أشرف صالح محمد	الثقافة التاريخية في الوطن العربي
عبد الله بن محمد اليوسف	حماية البيئة والتعليم (2-3)
سمية عزام	حين يجتمع الأيديولوجي والجمالي في القصة سيميائية العنونة للقصة لدى سعيد تقي الدين
عماد أحمد العالم	التربية والتوافق المجتمعي
حسن محمد النعمي	مهرجان بونجال للحصاد إرث ثقافي هندي
رشيد الخديري	في مفهوم التناس
حمزة شباب	عام من العزلة والرحيل المدوية
محمود أسد	الحدائق من أين وإلى أين؟
عباس سليمان	وجوه التمرد في أفصوصة (الجدار العالي) لإبراهيم درغوثي
محمد طيفوري	الحدائق وأزمة التقبل: عودة على كتاب فتنة الحدائق
عبد الإله بوبشير	غيرنيكا .. تصوير أقوى من الرصاص
شوقي بدر يوسف	غادة السمان أيقونة السرد العربي وقصتها "إنهم يدعون الشمس تشرق من إسرائيل"
أحمد صالح الصمغاني	ولا تنازعوا
سعيد بن الهاني	حوار مع جيرار جنيت أجراه جون بي
سعاد الورفلي	فلسفة الحب
ريم الحاجي محمد	أزمة الهوية
أكثرى بوجمعة	السلطة الرمزية للصورة السينمائية
ناصر محمد الزمّل	رقميون غيروا حياتنا - جيفري بريستون بيزوس مؤسس أمازون

افتتاحية

يأتي صدور هذا العدد متزامناً مع نهاية (عاصفة الحزم) وبدء عملية (إعادة الأمل) التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز أيده الله بنصره لعودة الشرعية لليمن الشقيق. ونحن نشعر بالفخر والاعتزاز كون هذا التحالف العربي- الإسلامي يؤسس لمرحلة من العمل العربي المشترك والتضامن الإسلامي القائم على الفعل وليس التمني، ونسأل الله جل شأنه أن يعيد الأمن والاستقرار لليمن العزيز، والعزة والرفعة للعالمين الإسلامي والعربي.

ومع هذا الإصدار جاء موضوع العدد عن أزمة حقيقية بدأت تعصف بالصحافة الورقية التي بدأت تتفاهم من سنة إلى أخرى، وذلك مع دخول التطور الهائل لوسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في المدة الأخيرة؛ أحدثت تغييراً في خريطة المنافسة في عالم الصحافة بين الصحف الورقية، والإلكترونية. وبالرغم من انخفاض نسبة قراءة الصحف بشكل عام فإن عدد قراء الصحف الإلكترونية في ازدياد مستمر، ويوضح تقرير صدر عن مركز بيو للأبحاث مؤخراً تناول تحديات الصحافة الورقية والإلكترونية ومستقبلها، أن مزيداً من الأمريكيين يتجهون إلى الإنترنت لمعرفة الأخبار، في مقابل انخفاض قراء الصحف المطبوعة. مما أدى ذلك إلى توقف بعض الصحف الورقية والمجلات سواء على المستوى العالمي أو المستوى العربي.

رئيس التحرير

إبداع

إبراهيم عمر صعابي	سعودي ولون دمي سعودي (قصيدة)
عباس محمود عامر	في البدء كنت أغنياتي وملحماتي (قصيدة)
علي سليمان دبعي	المسافات لم يشعلها وميض الفرح (قصيدة)
محمد الكامل بن زيد	المشي خلف حارس المعبد (قصيدة قصيرة)
محمد محمد عيسى	بقايا قصيدة (قصيدة)
عبد الرحمن سالت	على أطلال خديجة (قصيدة)

يمكنكم التنقل بين الصفحات من خلال الضغط على المحتويات أو اسم الكاتب، لتنتقل إلى الصفحة المطلوبة، وكذلك العودة مرة أخرى إلى صفحة المحتويات من خلال الضغط على أيقونة (الهوم) في أعلى الصفحة.

مجلة فكر الثقافية تحتوي على العديد من الروابط التي تمكنك من زيارة المواقع الهادفة وكذلك لمشاهدة تقارير الفيديو والأفلام الوثائقية

معالم وحضارات



82

دبل كليك

فنون



78

90 يوماً

قصة مكان



88

صدر حديثاً

علوم وتكنولوجيا

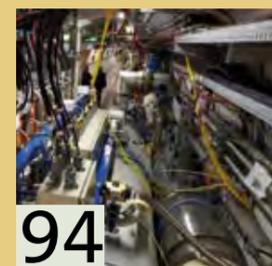


92

كتب

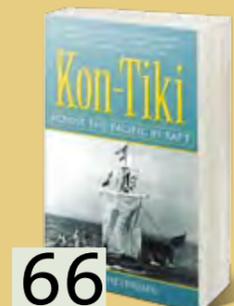
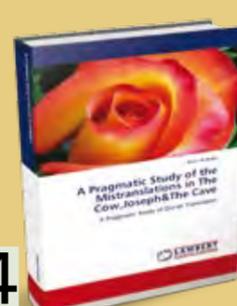
amazon.com

90



94

64



66

خادم الحرمين يرعى حفل افتتاح معرض وندوات «الفهد .. روح القيادة»

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، مساء اليوم، 31 آذار/مارس 2015 معرض وندوات تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز «الفهد .. روح القيادة» التي ينظمها أبناء وأحفاد الملك فهد - رحمه الله - بالتعاون مع «دارة الملك عبدالعزيز»، وذلك في مركز الرياض الدولي للمؤتمرات والمعارض. بعدها دشّن خادم الحرمين الشريفين موسوعة الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - التي أصدرتها دارة الملك عبدالعزيز بهذه المناسبة في عشر مجلدات يزيد عدد صفحاتها عن 5700 صفحة، توثق حياة الملك فهد (1340. 1426هـ - 1920م - 2005م)، وسيرته وإنجازاته قبل وبعد توليه الحكم، كما تشمل خطبه وكلماته وحواراته الصحفية وأحاديثه الإعلامية، وشهادات تاريخية من عاصروه أو عملوا معه أو قابلوه من الوزراء السعوديين والمفكرين والساسة الدوليين والإعلاميين، إلى جانب بلوجرافياً للكتب المطبوعة عنه باللغات المختلفة في عهده، ومعجماً لموضوعات الموسوعة، وصوراً مختارة من مراحل حياته تعكس مراحل إدارته شؤون البلاد. وشهد المعرض زيارة عدد من الوفود الرسمية والمسؤولين والأمراء والسفراء المعتمدين لدى المملكة ووفد من ضباط قوات درع الجزيرة، وأعضاء مجلس شورى ورياضيين وأدباء ومتقنين وفنانين تشكيليين، إضافة إلى طلاب وطالبات المدارس والجامعات والكليات المتخصصة وطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وأطلع الزوار على محتويات المعرض وما يضمه من مقتنيات شخصية ووثائق رسمية عن حياة وإنجازات الملك فهد، إضافة إلى المخطوطات والأوسمة والأوشحة التي تقلدها الملك الراحل.

وأقيمت على هامش المعرض ندوات عن تاريخ الملك فهد رحمه الله وجلسات نقاش شارك فيها 29 متحدثاً وباحثاً تاريخياً ومختصاً قدموا خلالها أكثر من 40 بحثاً ودراسة وورقة عمل عن إنجازات الفهد التاريخية والثقافية والتعليمية.

ويعد المعرض (الفهد .. روح القيادة) يمثل رصد لمسيرة الملك فهد رحمه الله والذي كانت له بصمة في كل معالم النهضة الحديثة لبلادنا، سواء على المستوى السياسي والاقتصادي أو الأمني والتعليمي.



خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز أثناء تدشين موسوعة الملك فهد بن عبد العزيز (رحمه الله)

إعلان أسماء الفائزين "جائزة الشيخ زايد للكتاب" في دورتها التاسعة

أعلنت "جائزة الشيخ زايد للكتاب" أسماء الفائزين في دورتها التاسعة 2014-2015.

في فرع الآداب: كتاب "مجانين بيت لحم" للصحافي الفلسطيني والروائي أسامة العيسة، من إصدار نوفل-هاشيت أنطوان - بيروت 2013.

وفي فرع الترجمة: ترجمة لثلاثية نجيب محفوظ: "قصر الشوق" 2012، "بين القصرين" 2011، و"السكينة" 2012 للبروفيسور هاناوا هاروو من اليابان، والثلاثية من منشورات كوكوشو كانوكاي، اليابان.

وفي فرع الثقافة العربية في اللغات الأخرى: كتاب

"تأثير الليالي العربية في الثقافة اليابانية" للمؤرخ والكاتب سوغيتا هايدياكي من اليابان، من منشورات إيوانامي شوتن، طوكيو 2012. يتناول الكتاب تطور نظرة اليابانيين للثقافة العربية بعيون يابانية منصفة وغير منفعلة بمقولات الاستشراق.

وأعلن مجلس أمناء الجائزة عن حجب الجائزة في فروع "التنمية وبناء الدولة" و"الفنون والدراسات النقدية" و"المؤلف الشاب"، وأخيراً "أدب الطفل والناشئة"، وذلك لأن الأعمال المشاركة لم تحقق المعايير العلمية والأدبية، ولم تستوف الشروط العامة للجائزة.

احتفال مصر بـيوم المخطوط العربية في القاهرة

أقام معهد المخطوطات العربية في القاهرة أمس احتفالاً بمناسبة "يوم المخطوط العربي"، شارك فيه خبراء وباحثون ومهتمون، وتم فيه تكريم شخصية العام التراثية وكتاب العام التراثي، إضافة إلى اسم خطاط المصحف الشريف الراحل سيد إبراهيم.

ونظم المعهد معرضاً لتطور كتابة وتدوين المصحف الشريف، على هامش الاحتفال الذي أقيم بأحد الفنادق بالعاصمة المصرية تحت عنوان "المخطوط العربي.. أسرار من الماضي وأفكار للمستقبل".

وفي كلمته أشار مدير معهد المخطوطات العربية د. فيصل الحفيان إلى أن الاحتفال بيوم المخطوط العربي يقيم المعهد للعام الثالث على التوالي على اعتبار أن المخطوط يمثل رمزاً كبيراً لتراثنا العربي والإسلامي، الذي أعطى الكثير لمسيرة العلم والحضارة الإنسانية، بحسب قوله.

وكرم الاحتفال أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر د. أيمن فؤاد سيد، الذي ترجم كتاب "المدخل إلى علم كتابة الحرف العربي" عن الفرنسية، وتم اختياره "كتاب العام" التراثي.

وأكد الحفيان أن رسالة الاحتفال تلخص في دعوة غير المختصين إلى التعرف على عالم المخطوطات ودمجه في الثقافة المعاصرة وفتح خزائن التاريخ والاطلاع على نفاستها، لأن المخطوطات هي أنفس ما في خزائن التاريخ، بوصفها مستودعاً لآثار العقول التي طواها الزمن.

وأكد محارب أن المخطوط العربي حمل لنا كل العلوم والمعارف التي أنتجها العقل الإسلامي، ومن الوفاء لهذا المخطوط والقيام بحقه أن ننجز مخطوطاً جديداً، أي معرفة جديدة نحن مبتكروها، لا مستسخوها ولا مقتبسوها ولا أخذوها ولا متلقوها من غيرنا.

من جهته أكد المؤرخ د. عبد الله عسيلان أن رحلته مع المخطوطات جعلته يكتشف العقلية المبدعة للعلماء المسلمين في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة، وأن أجيالاً تجافت جنوبها عن المضاجع وهي تشيد صروح

ويذكر أن جائزة "شخصية العام الثقافية" سيتم الإعلان عنها خلال الحقبة القادمة، ويقام حفل تكريم الفائزين بالتزامن مع معرض أبوظبي الدولي للكتاب الذي يقام خلال المدة من 7-13 أيار/مايو 2015.



حضارتها من خلال آلاف المجلدات من المخطوطات، التي كانت داخل نطاق مكتبة شيخ الإسلام "عارف حكمت" في قبلة المسجد النبوي.

ومن ناحيته أشار المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم د. عبد الله محارب إلى أن "معهد المخطوطات العربية" تأسس عام 1946، وأن المخطوط الذي نحتفي به، وإن كان كتاباً تاريخياً، فإن المعرفة الأصيلة لا ينال منها الزمن.

الروائي أخيل شارما يفوز بجائزة فوليو الأدبية

التحكيم في بيان إعلان الفائز بالجائزة التي أسستها دار نشر "فوليو سوسايتي" للكتب التراثية الفاخرة، "فاميلي لايف رواية متقنة لتعقيدات متسلسلة عن كارثة ونجاة، اتصال واستقلال، تجاذب بين الأنانية والمسؤولية".

وأضاف فينيس "أعجبتنا بساطتها الخادعة ودقها النادر. أكثر من عشر سنوات في الكتابة.. هذا عمل فني يقرأ أكثر من مرة، ورواية ستبقى".

وولد شارما في دهلي في الهند وهاجر إلى الولايات المتحدة عام 1979، ونشرت رواياته في مجلتي "نيو يوركر" و"أتلانتك مانثلي"، ودخلت ضمن قائمة "أفضل القصص القصيرة الأمريكية" ومجموعة جائزة "أو. هنري".

واختير شارما عام 2007 ضمن قائمة مجلة "غرانتا" لأفضل الأدباء الأمريكيين الشباب.



أخيل شارما

تكل عمل المؤلف الأمريكي المولود في الهند أخيل شارما في تأليف ونشر روايته "فاميلي لايف" يفوز بجائزة فوليو الأدبية السنوية التي تقام بإنجلترا، في دورتها الثانية، وقيمتها أربعون ألف جنيه إسترليني (نحو ستين ألف دولار).

واختير شارما (43 عاماً) من بين قائمة مختصرة ضمت ثمانية مؤلفين، لروايته التي تتناول قصة عائلة هندية تهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والمأساة التي تحوّل حلمهم الأمريكي "إلى كابوس"، وقد كتبها على امتداد 13 سنة.

ويقول رعاة الجائزة إنها مخصصة لتكريم "أفضل رواية باللغة الإنجليزية من أنحاء العالم"، نشرت في بريطانيا بغض النظر عن القالب أو الشكل المقدمة فيه أو جنسية المؤلف.

وقال الكاتب البريطاني وليام فينيس رئيس لجنة

رحيل الأكاديمي المغربي البارز عبد الهادي التازي

غيب الموت، الخميس 2 نيسان/أبريل 2015، المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي عضو أكاديمية المملكة المغربية عن سن يناهز 94 سنة.

ونال التازي المولود في 15 حزيران/يونيو 1921 بمدينة فاس شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة 1947، حيث عين أستاذاً بها سنة 1948، كما حصل سنة 1953 على بروفي معهد الدراسات المغربية.

وحصل سنة 1963 على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط، وشهادة في اللغة الإنجليزية من معهد اللغات بمدينة بغداد سنة 1966 وفي سنة 1971 تمكن من الحصول على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية، حيث كان موضوع الأطروحة: "جامعة القرويين".

مؤتمر العربية وعالم المعرفة في القاهرة

انطلقت في 23 آذار/مارس 2015 فعاليات الدورة الـ 81 لمؤتمر مجمع اللغة العربية بمقره في القاهرة تحت عنوان "اللغة العربية وعالم المعرفة"، بمشاركة باحثين وخبراء في العربية واللسانيات من أكثر من 15 دولة عربية وأجنبية.

ويناقد المؤتمر السنوي على مدى أسبوعين في 19 جلسة علمية علمية ومغلقة عددًا من المحاور، منها التخطيط اللغوي والتنمية اللغوية، وقضايا الترجمة والتعريب، واللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني.

إضافة إلى مقترحات عملية للتقريب بين المجمع العربية في موضوعات، منها المصطلح العلمي، والأرقام، وكتابة الحروف، والرسم الإملائي، وأسماء الشهور، وتستمر أعمال المؤتمر حتى 6 نيسان/أبريل 2015.



عبد الهادي التازي

مهرجان ثقافي بالجزائر للقراءة

انطلقت في 21 آذار/مارس 2015 بمختلف أنحاء الجزائر فعاليات مهرجان "القراءة في احتفال" الذي يستمر حتى الرابع من نيسان/أبريل 2015، وسط إقبال من مختلف شرائح المجتمع.

واختار المنظمون هذا التاريخ لتزامنه مع بداية فصل الربيع واليوم العالمي للشعر، لإعطاء نفس جديد للمهرجان الذي يحتفي بالمطالعة.

المهرجان -الذي أطلق قبل سنوات في ست ولايات- تطور بعد ذلك لينظم في مدينتين زمنيتين مختلفتين بين الشمال والجنوب بسبب اختلاف العوامل المناخية بين المنطقتين. غير أن المنظمين يرمون من خلال هذا التاريخ الجديد لتوحيد كل المناطق مع أول أيام الربيع.

ويطمح المنظمون إلى أن تصل الاحتفالية إلى أبعد المناطق في بلاد مترامية الأطراف من خلال مكاتب متنقلة في عربات كبيرة.

وتحوي هذه العربات آلاف العناوين التي تحاول أن



تتمس مختلف أذواق القراءة. ويحظى الأطفال والشباب بالاهتمام الأوفر في هذه التظاهرة، إضافة إلى فئات أخرى من خلال النقاشات العلمية والأكاديمية في ندوات يشارك فيها كُتّاب وخبراء.

المتاحف الخاصة بتركيا تتفوق على المتاحف العمومية



وتسهيلات إدارية. وأكد زوكوف يلماظ أن ارتفاع عدد المتاحف الجيدة يدل على ارتفاع المستوى الثقافي والاقتصادي للمجتمع.



سليمان فياض

رحيل الكاتب المصري سليمان فياض

شركات مصرية وعربية. وبدأ فياض كاتباً للقصة القصيرة وأصدر مجموعات قصصية منها "عطشان يا صبايا" 1961 و"وبعدنا الطوفان" 1968 و"أحزان حزينان" 1969 و"ذات العيون العسلىة" 1992، أما روايته "أصوات" التي صدرت عام 1972 فترجمت إلى عدة لغات، وكانت آخر رواياته "أيام مجاور" في العام 2009.

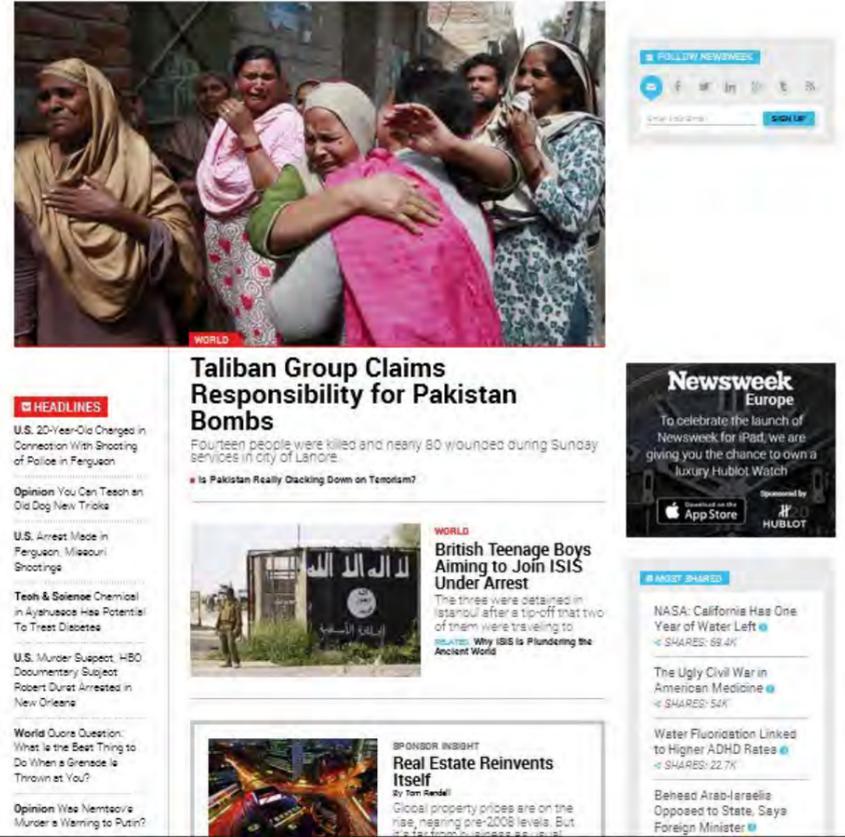
كما كتب فياض عن أعلام العرب على غرار ابن النفيس وابن الهيثم وابن بطوطة والبيروني وجابر بن حيان وابن

توفي يوم الخميس 26 شباط/فبراير 2015 الكاتب المصري سليمان فياض عن عمر يناهز 86 عاماً بعد صراع مع المرض، وخلف الراحل عشرات المؤلفات التي تتناول القصة والرواية وسير أعلام العرب وعلم اللغة والقواميس وتطور اللغة العربية.

ولد محمد سليمان عبد المعطي فياض عام 1929 في الدقهلية وتخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام 1956 ثم عمل في مجال الإعلام وخبيراً لغوياً في مشروع تعريب الكمبيوتر لبعض برامج اللغة العربية لصالح



مستقبل الصحافة الورقية نحو الأفول



وذلك مجلة الآداب اللبنانية التي تصدر منذ 1953 وتوقفت عن الإصدار الورقي في عام 2012، وأصبحت تصدر فقط إلكترونياً.

وقد لجأت مجموعة كبيرة من الصحف ذائعة الصيت إلى تقليص أرقام توزيعها وإلغاء آلاف الوظائف وتسريح عدد كبير من العاملين فيها، بينها صحف واسعة الانتشار، مثل (شيكاغو تريبيون)، و(بوسطن جلوب) و(أنجلوس تايمز)، وحتى المجلة الأوسع انتشاراً في العالم، وهي مجلة تايم الأمريكية الشهيرة.

وثمة صحف أخرى، تحولت إلى صحف رقمية، مثل (كريستيان ساينس مونيتور) التي ألغت طبعتها الورقية منذ العام 2008، واكتفت بنسخة رقمية على موقعها على شبكة الإنترنت.

وأعلنت (مجلة نيوزويك) الأسبوعية الأمريكية الشهيرة تسدل الستار على 80 عاماً كمجلة مطبوعة توقف نسختها الورقية عن الصدور، وتفتتح عصرها الرقمي.

وكشفت مؤخراً عن غلاف نسختها الأخيرة بالأبيض والأسود، وفيه يظهر مقرها الرئيسي في مدينة مانهاتن مع عبارة #Last Print Issue المستوحاة من نمط التغريدات في تويتر، وفي ذلك إشارة إلى انتصار بمركرة جديدة للإعلام الرقمي على منافسه الورقي.

الإغلاق.

ويأتي خبر إغلاق صحيفة (ذي لندن بيبر) بعد الإعلان عن إغلاق أكثر من مئة صحيفة محلية في بريطانيا، بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية والمنافسة الحادة مع الإعلام الإلكتروني.

وتتوي المجموعة الأمريكية الإعلامية (نيوز كورب) التي أعلنت تسجيلها خسائر، فرض رسوم على قراء نسخها الإلكترونية، وهو قرار قد يدفع بحسب رئيسها روبرت مردوخ إلى تعديل مبدأ مجانية الإعلام على الإنترنت.

وفي العالم العربي نرى مجلة (الأسبوع العربي) التي صدرت قبل 55 عاماً، علماً بأن بعض المجلات السعودية تصدر منذ 60 عاماً، ولكن تحول (الأسبوع العربي) إلى النسخة الإلكترونية كلياً، انسجم مع دورها كمجلة سياسية تتابع الشأن العربي، وتطوراته أولاً بأول، وبالمناسبة قرار التحول هنا جاء بعد تجربة عام كامل وطوال الـ 2013م، نتيجة المشكلات المالية وعوائد التوزيع والإعلان نتيجة تبعات (الثورات العربية) منذ 2010م وحتى اليوم، فبشهادة الصحفيين والعاملين في هذه المؤسسة الإعلامية العربية، كان هناك خيار الإغلاق الكلي، أو قرار التحول الإلكتروني بأقل الخسائر ودخول مضمار المنافسة مع مواقع إخبارية إلكترونية عربية مماثلة؟

1994م، وعربياً أصدرت أول صحيفة عربية نسختها الإلكترونية منذ أكثر من ثلاثة عشر عاماً وهي صحيفة الشرق الأوسط الصادرة من لندن، تزامن معها إصدار النسخة الإلكترونية لصحيفة النهار اللبنانية.

وتعد صحيفة إيلاف التي صدرت في لندن عام 2001م أول صحيفة إلكترونية عربية، أما اليوم وبعد مضي ما يقرب من 12 عاماً على هذه التجربة، لا تكون مبالغين حين نقول: إن بإمكان متصفح الإنترنت العربي العثور يومياً على المزيد من الصحف الإلكترونية العربية الوليدة، لم تتعد أعمارها الأيام أو الأشهر، فعلى الرغم من انخفاض نسبة قراءة الصحف بشكل عام - وفقاً للدراسات في هذا المجال - فإن عدد قراء الصحف الإلكترونية - كما تشير الدراسات نفسها - في ازدياد مستمر، ويوضح تقرير صدر عن مركز بيو للأبحاث مؤخراً تناول تحديات الصحافة الورقية والإلكترونية ومستقبلها، أن مزيداً من الأمريكيين يتجهون إلى الإنترنت لمعرفة الأخبار، في مقابل انخفاض قراء الصحف المطبوعة أو الورقية.

كل هذا أثر بشكل واضح في مستقبل الصحافة الورقية ولقد رأينا كيف توقفت صحيفة (ذي لندن بيبر) المسائية المجانية عن الصدور بعد ثلاث سنوات من انطلاقتها وتوزيعها نصف مليون نسخة يومياً في مركز العاصمة البريطانية ومحطات القطارات، وكانت تتلقفها الأيدي من 700 موزع منتشرين في لندن مجاناً مساء كل يوم، فيما يتركها القراء في القطارات لغيرهم في تقليد عن شيوخ القراءة بين المسافرين، كما ذكرت مصادر في إدارة الصحيفة التابعة لشركة المليادير روبرت مردوخ، أنها خسرت 21.2 مليون دولار أمريكي لغاية السنة المالية المنتهية في حزيران/يونيو 2008، وقالت: إنها ستبلغ العاملين فيها والبالغ عددهم 60 موظفاً وصحفيّاً بأمر

لقد شهدت الصحافة الورقية خلال السنوات الأخيرة أزمة حقيقية، أخذت تتفاقم من سنة إلى أخرى في العديد من الدول الغربية المتقدمة نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات وظهور شبكة الإنترنت، وتتمثل هذه الأزمة في عزوف الكثير من القراء عن اقتناء أو مطالعة الصحف الورقية ونشوء جيل جديد لم يعد يتعامل مع الورق، وفي تغير أنماط الاهتمام والقراءة لدى مجتمع المعرفة، وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومة، كل هذا أدى إلى التراجع المتواصل لمبيعات الصحف الورقية وانخفاض عائداتها من الإعلانات، التي تتحرك بسرعة صوب شبكة الإنترنت.

ومع دخول التطور الهائل الذي لحق بوسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في المدة الأخيرة؛ لغير خريطة المنافسة في عالم الصحافة التي بدأت تتحول إلى متغيرين مختلفين؛ هما: الصحف الورقية، والإلكترونية، بعد أن كانت هذه المنافسة تقتصر بين الورقية وبعضها فحسب، واكتسب هذا النوع الجديد من الصحافة أهمية بالغة منذ ظهوره أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وتزايدت أهمية الصحافة الإلكترونية مع توالي الأعوام وانتشار الإنترنت، وتضاعف أعداد مستخدميها، فأصبحت غالبية المؤسسات الصحفية على الصعيدين العالمي والعربي، تمتلك مواقع إلكترونية لمطبوعاتها الورقية، لكن الجديد هو ظهور نوع جديد من الصحف غير التقليدية، وهو ما عُرف بـ(الصحف الإلكترونية)، التي يقتصر إصدارها على النسخة الإلكترونية دون المطبوعة، كما يعود صدور أول نسخة إلكترونية في العالم إلى عام 1993م؛ حيث أطلقت صحيفة سان جوزيه ميركوري الأمريكية نسختها الإلكترونية، تلاها تدهين صحيفتي (ديلي تليغراف والتايمز) البريطانيتين لتُسختهما الإلكترونية عام

أنا لست ميتاً.. ولكني أبو هكذا!!
عبارة هادئة هازئة، ذكرها أحد الفلاسفة وهو يطالع ملامحه الشاحبة، وقواه المنسقة، وبدنه المعتل، فهل باتت الصحافة الورقية في مسيرها ومصيرها تحكي لنا صورة نسخة غير منقحة من قصص الأحياء الموتى في نزعم الأخير، كما يمثلها ذلك الرجل؟ وهل سيسهم الواقع المعيش - وعلى رأسه قطاع كبير من النخب المثقفة - في إعلان وفاة الصحافة الورقية، ليتماهى دورها مع ما حكاه أحد الملوك وهو يجود بنفسه على فراش الموت: إنني أموت بمعاونة أكثر الأطباء شهرة!!



وهو ما يتعدى حصوله بسهولة في الصحافة الورقية، لذا لجأت بعض الصحف الورقية إلى إخراج أكثر من طبعة من العدد الواحد من أعدادها (ثلاثة طبعا من العدد الواحد)، وذلك في محاولة لتطوير الأداء، وتصويب بعض الأخبار إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

إن اليون الشاسع والفرق الواسع بين ما تقدمه الصحافة الإلكترونية في مجال الدعاية والإعلان واضح أشد الوضوح، فالمعلن يدفع 30 ألف جنيه في إعلان على الموقع الإلكتروني في مدة قدرها (15) ساعة، ليشاهدا مليون مستخدم للموقع، وهو حلم بعيد المنال لأي معلن في صحيفة ورقية. وهو ما دعا أحد علماء المستقبلات، وهو الأسترالي (داوسن) إلى توقع أن عام 2022 سوف تموت فيه الصحافة، ورسم فيها سيناريو يوم الموت، وحدد بعض الدول التي سيحدث فيها ذلك ومبرراته، مؤكداً أن المستقبل سوف يكون لأجهزة الكمبيوتر على شاكلة الأبياد، وأن ذلك سيكون هو البديل للصحافة المطبوعة، ولديه مبرراته، ومنها شدة المنافسة، وتغير لأذواق الناس. من أهم ما يميز الصحافة الإلكترونية وهو ما يمكن الصحفي من التفاعل من خلال الآراء والتعليقات وردود الأفعال، كما تتسم الصحافة الإلكترونية بالمصادقية



مرموقة، عمل فيها مجموعة كبيرة من الإعلاميين على مستوى العالم. وفي إسرائيل، توقفت صحيفة (معاريف) عن توزيع طبعتها الورقية في الثالث من أيلول/سبتمبر العام الماضي مع استمرار نسختها الإلكترونية على شبكة الإنترنت.

المئات من الصحف المحلية الأمريكية، التي اختفت عن الوجود نهائياً. وتشير الإحصاءات، إلى أن عدد الوظائف في الصحافة الورقية الأمريكية قد تقلص بحوالي 30% منذ عام 2008، ومن المتوقع أن تستمر هذه العملية بوتائر أسرع في المستقبل المنظور. ولم تقتصر الأزمة على الولايات المتحدة، ففي بريطانيا تم إغلاق صحيفة (ذي لندن بيبير) بعد الإعلان عن إغلاق أكثر من مئة صحيفة محلية لفشلها في التكيف مع ظروف المنافسة الحادة مع الإعلام الإلكتروني. ويبدو، أن صحيفة (الغارديان) اليومية، واسعة الانتشار على وشك إيقاف القطاع المطبوع من الصحيفة وملحقها الأسبوعي الأوبزيرفر نظراً لتكبد هذا القطاع خسارة تقدر بحوالي 44 مليون دولار سنوياً. وقد رضخت ثلاث صحف تقليدية كبرى في لندن، إلى أن تعتمد مقاسات أصغر لصحفتها، تنافساً مع باقي الصحف الأخرى التي اعتمدت مقياس أقرب إلى مقاييس صحف التابلويد النصفية، كما اضطرت هذه الصحف إلى أن تعيد النظر في توبيقاتها الصحافية لتواكب احتياجات سوق الجمهور من القراء. وفي فرنسا، توقفت جريدة فرانس سوار عن الصدور منذ شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2011، واكتفت بنسخة على الإنترنت، وكانت إلى عهد قريب مؤسسة إعلامية



من الأمور التي سهلت تدفق المعلومات، فالتواصل مستمر بين المحررين في الشوارع والساحات وموطن المعلومة ومزملاتهم في صالات التحرير. وهو ما دعا مؤتمر (ألوان) الذي يصدر تقارير عن أهم ما ينتظر الناس من أحوال الصحافة في العالم إلى التأكيد - في آب/أغسطس 2010 - على أن ما يعادل 1.7 مليار شخص يقرؤون الصحافة الورقية في العالم، لكن في مقابل هؤلاء فإن هناك حوالي مليارين من البشر يتعاملون مع الإنترنت وصحافته الإلكترونية. لا تستطيع الصحف الورقية مجاراة الصحف الإلكترونية كوسيط نقل جديد للمعلومة والإعلان والتنافس مع مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت - (فيسبوك) وغيرها - في سرعة نشر الخبر للقارئ وقت حدوته وتحديثه لحظة بلحظة، في زمن يتقادم فيه الخبر بسرعة بالغة، وإتاحة المجال للقراء للمشاركة في تحريرها والتعبير عن آرائهم ومناقشتها مع قراء آخرين بكل حرية على نحو لم يسبق له مثيل.

كل ما تقدمه الصحافة الورقية من محتوى مرة في اليوم أو الأسبوع، تقدمه الصحف الرقمية مجاناً وفوراً بكل سهولة. ولعل فوز الصحيفة الإلكترونية (هفنجتون بوست) بجائزة بوليتزر للصحافة لعام 2012 بعد أن تخطت صحفاً عريقة لتتال الجائزة الأهم في الإعلام الأمريكي، هو اعتراف صريح بالتفوق الرقمي على الورقي التقليدي. ولا يقتصر الاختلاف بين الصحافتين على سرعة النشر والوسيلة المستخدمة لنقل المحتوى كما يظن البعض، فالصحافة الرقمية تقدم خدمات إعلامية كثيرة تعجز عنها الورقية منها الندوات وبرامج المحادثة (الشات)

وشريط الأخبار المتحرك، إضافة إلى عدم وجود محددات لحجم المواد المنشورة وزمن العرض. وعلى خلاف الصحافة الورقية، فإن الصحيفة الإلكترونية بإمكانها تقديم المعلومة الجديدة بالحجم الكامل في أي وقت. كما تسمح شبكة الإنترنت بتراكم المعلومات وحفظها وأرشفتها. وبدلاً من إيراد مقتطفات من المصادر، فإن النشر الإلكتروني يسمح للكاتب بوضع روابط لمصادر ومراجع المادة المنشورة، سواء أكانت مقالة أو دراسة أو حتى كتاباً كاملاً. بذلك يقتصد الباحث أو الكاتب كثيراً في حجم البحث أو الدراسة. وثمة إمكانيات فنية أخرى للصحف الإلكترونية منها خدمة الانتقال إلى الإذاعات والفتوات الفضائية، وخدمات التعليقات، الردود الآنية، الربط بالمواقع الأخرى والإحصائيات الخاصة بالموقع الإلكتروني (عدد القراءات لكل مادة صحفية، وتوزيع القراء حسب البلدان والفتات العمرية، والتحصيل العلمي، وغيرها من البيانات)، التي تتيح للصحيفة الإلكترونية معرفة مواطن القوة والضعف في عملها من أجل التطوير اللاحق. كتب أحد أبرز المدافعين عن الصحافة الورقية في العالم العربي وهو الصحفي المعروف الأستاذ عبدالرحمن الراشد مقالاً في جريدة الشرق الأوسط يقول فيها: «هل سيصبح مصير الصحف الورقية مثل مصير الحمير والبغال والخيول في زمن ظهور السيارة؟ هل فعلاً حان موعد تفكيك المؤسسات الصحافية والانتقال إلى الوسيلة الجديدة، المواقع الإلكترونية؟ رغم احتفاء الزميلات من المواقع الإلكترونية بأنباء وفيات الصحف المنتشرة في أنحاء العالم، كما لو أن وباء قد أصابها، فإنها قراءة خاطئة في نظري، وستثبت الأيام أن الصحف الورقية باقية لكن بلا ورق. وهنا يقع خلط، وربما تدليس

متمعد، بإضافة كلمة الورقية إلى الصحف. فالصحيفة شكلاً ورقية لكنها في واقع الأمر محتوى، أي الأخبار والآراء، أي المنتج المكتوب سواء كان على ورق أو جدران، كما كان يفعل الصينيون في الماضي، حيث تعلق ورقة على لوح في الحي ليصطف الناس في طابور لقراءتها بسبب نقص الورق وكثافة السكان، أو مثل الصحيفة اليوم من خلال الصفحات الإلكترونية.

هذا الرأي - رغم احترامنا للكاتب - غير صحيح، لأن الصحافة الإلكترونية تختلف عن الورقية ليس فقط من حيث الوسيلة المستخدمة لتقديم المادة الصحفية أو للقراءة، بل من حيث المحتوى أيضاً، فالصحافة الإلكترونية لا تقتصر على المنتج المكتوب، بل قدمت أنواعاً جديدة من طرق عرض الخبر مثل الفيديوها، التي تنقل القارئ مباشرة إلى موقع الحدث بالصوت والصورة في الوقت الذي تكون فيه الصحيفة الورقية مضطرة لانتظار 24 ساعة لطبع الخبر، وقد تكون أحداث أخرى قد جرت بعد ذلك، وبهذا تكون الصحف الورقية قد فقدت أهم عنصر من عناصر النجاح، وهو ما يسمى (السبق الصحفي).

ويقول مؤلف كتاب (النهاية الحتمية للإعلام الورقي) فيليب ماييرز: إن آخر مطبوع ورقي سيصدر في عام 2043.

كما تشير الدراسات الخاصة بمستقبل الصحافة الورقية إلى أن الصحافيين أنفسهم يعتقدون أنها ستكون أقل أهمية في الحياة العامة في السنوات القادمة. ولكننا نعتقد أن تزايد قوة وفاعلية الصحافة الإلكترونية، لا يعني بأي حال من الأحوال انقراض الصحافة الورقية المطبوعة في المستقبل المنظور، فما يحدث غالباً أن الوسائط الأكثر حداثة، لا تؤدي بالضرورة إلى انقراض الوسائل القديمة. فالصحافة الرقمية لا تلغي دور الصحافة الورقية، وأنها يمكن أن يتعايشا مع بعضهما مع بعض، خاصة وأن لكل منهما قارئه الخاص به ومصدره في استقاء الأخبار.

وأسهم في ازدهار الإعلام الرقمي انتشار الأجهزة اللوحية المخصصة لقراءة الكتب الإلكترونية مثل آيباد وكيندل من شركة أمازون التي غزت نمط الحياة اليومية للملايين، إضافة إلى التطبيقات المطورة خصيصاً لقراءة الكتب الإلكترونية.

لكن فريقاً آخر لا يزال يرى طول العمر في الصحف المطبوعة، ويرى أنها بناء صلب سيظل لها عشاقها المخلصون، وأن العلاقة بينها وبين الصحافة الرقمية يجب أن تكون قائمة على التكامل وليس التنافس. لكن المد الرقمي سيستمر إلى كل المطبوعات الورقية، التي لا تراعي تقديم محتويات تحليلية معمقة، تستهوي متابعي الصحافة المطبوعة، وخاصة مع استمرار اتجاه القراء نحو المادة الرقمية.

تاريخ تطور الصحافة الإلكترونية

يرى بعض الباحثين أن ولادة الصحافة الإلكترونية كان مع بداية السبعينيات، وظهور خدمة (التلكتست) عام 1976، كثمرة تعاون بين: مؤسستي: Independent Broadcasting and BBC

ولقد شهد عام 1979 ولادة خدمة (الفيديوتكست) الأكثر تفاعلية مع نظام Prestel على يد مؤسسة British Telecom Authority البريطانية. وبناءً على النجاح الذي أحرزته هذه المؤسسات في توفير خدمة النصوص التفاعلية للمستخدمين، دخلت بعض المؤسسات الصحفية الأمريكية منتصف الثمانينيات على هذا الخط. وبذلك بدأ العمل على توفير النصوص الصحفية بشكل إلكتروني إلى المستخدمين عبر الاتصال الفوري المباشر.

إلا أن هذه المحاولات لم تلق النجاح المطلوب، وتكببت خسائر مالية قدرت حينها بـ 200 مليون دولار أمريكي. لذلك توقفت مشاريع هذه المؤسسات الصحفية، ويرجع المختصون البداية غير الموفقة للصحيفة الإلكترونية، إلى عدم توفر تقنيات متطورة بما فيه الكفاية لتسمح بوصول غير مكلف وسهل إلى المحتوى الإلكتروني، زيادة على نقص الاهتمام بهذا النوع من الخدمات الإعلامية من قبل المعلنين والمستخدمين على حد سواء. لكن مع بداية التسعينيات تطورت تقنيات النشر الإلكتروني، إضافة إلى حاجة المستخدمين إلى الخدمات الإلكترونية. ولقد ارتبط نجاح خدمة التلكتست باعتمادها على جهاز التلفزيون، أما نجاح الصحيفة الإلكترونية في انطلاقتها الثانية فمرتبط بتوفر جهاز الحاسب الآلي وتطوره.

وتعد صحيفة (هيلزبرغ إيجلاد) السويدية أول صحيفة تشر بالكامل على الإنترنت، وتلتها صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية سنة 1994 التي قامت بإعداد نشرة يعاد تحديثها فوراً في كل مرة تتغير فيها الأحداث، مع وجود مراجع وثائقية وتاريخية وإعلانات. وقد أطلق على هذا النوع من النشر في بدايته الأولى مصطلح الحبر الرقمي.

ومن ثم، وقبل نهاية التسعينيات، كانت هناك عشرات الصحف في العالم وخصوصاً الكبرى منها قد سخرت

إمكانات معتبرة لتنشئ مواقع على شبكة الإنترنت نظراً لقلّة التكلفة والسهولة، رامية بذلك المسعى إلى توسيع آفاق التوزيع والانتشار، لتتجاوز التقييدات المالية والنقل وبصفة خاصة قيود الرقابة.

إلا أنه سرعان ما اكتشف مسيرو هذه الصحف أن النسخة الإلكترونية المشابهة للطبعة الورقية لم تعد تلبّي احتياجات القراء، إذ إن المستخدم يبحث عن الجديد بعيداً عن الطبعة الورقية على الإنترنت. وهكذا، بدأت الصحف بإنشاء إدارات تحري خاصة بمواقعها الإلكترونية تتولى تحرير جريدة منفصلة عن النسخة الورقية. ومن ثم، أصبحت الصحف الإلكترونية منافسة للصحف المطبوعة، كما أن الأهمية المتزايدة للصحافة الإلكترونية أدى إلى ظهور اتجاه آخر من هذه الصحف يتمثل في ظهور مواقع إخبارية إلكترونية، تتخذ مظهر صحيفة متكاملة من حيث المضمون والمسمى. ولكن تخضع للنمط الإلكتروني وهي صحف إلكترونية محضة، لا علاقة لها بأي صحيفة ورقية، إذ نشأت في بيئة الإنترنت وحققت نجاحاً كبيراً، حتى إن نجاحها شجع بعضها على الخوض في عالم النشر التقليدي الورقي، وهذا ما أصبح يعرف بعبارة (الهجرة المعاكسة).

نشأة الصحافة الإلكترونية

تجدد الإشارة إلى أن التاريخ الدقيق لانطلاق أول صحيفة إلكترونية من حيث متى وأين غير متفق عليه حيث تتباين الروايات بهذا الشأن. وعليه، ومع اتجاه المزيد من الناس نحو الإنترنت، كمورد ومصدر للمعلومات كان من الطبيعي لوسائل الإعلام أن تلتفت إلى فرصة الاستثمار هذه.

وبحسب رأي الباحث الأمريكي (مارك ديويوز) في دراسة له حول تاريخ الصحافة الإلكترونية، فإن أول صحيفة في الولايات المتحدة دشنت نسخة إلكترونية لها على الإنترنت كانت (شيكاغو تريبيون) عام 1992 مع نسختها (شيكاغو أون لاين). وتوالى بعد ذلك ظهور المواقع الإخبارية والصحفية على الإنترنت، سواء التابعة للصحف والقنوات التلفزيونية أو المواقع الإخبارية

المستقلة التي تعد قناة صحفية إلكترونية مستقلة في حد ذاتها.

وقد بدأت الصحافة الإلكترونية تلفت الأنظار إليها في أعقاب حرب الخليج الأولى عام 1991، عندما عرضت وكالات الأنباء العالمية صورة البطة البرية، وهي تشرف على الموت بعد أن غرقت في مياه الخليج الملوثة بالنفط. وقد تعاطف الكثيرون في مختلف بلاد العالم مع هذه الصورة المؤثرة، وأدان ما حدث من اعتداء صارخ على البيئة والطبيعة، وتلويث شديد لمياه الخليج بسبب الأعمال الحربية التي تجاوزت كل الحدود الشرعية والمشروعة.

من جهة أخرى، يشير البعض أن الصحافة الإلكترونية شهدت ازدهاراً كبيراً بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، الذي استفاق العالم فيه على وقع حدث مهول في أمريكا، إذ استطاعت الصحف الإلكترونية والمواقع الإخبارية الإلكترونية أن تنقل بالكلمة والصوت والصورة ذلك الحدث التاريخي بدقة وكفاءة نادرة، بينما تعثرت بعض الصحف والفضائيات التقليدية، وأثبتت فشلها في تلك المهمة.

بينما يرى فريق آخر أنه مع عمليات التطوير في مجال استخدامات الإنترنت، بدأت شبكات الإذاعة والتلفزيون المشهورة مثل B.B.C و C.N.N والجزيرة تخصص مواقع مستقلة لها، لتحمل ما يصلها من بيانات وأخبار لكل من يريد أن يتصفحها. أيضاً، بدأت الصحف المهمة هي الأخرى تظهر على شاشات شبكة المعلومات من خلال المواقع التي أعدها لذلك، والتي لاقت إقبالاً كبيراً من جانب رواد الإنترنت الذين وجدوا فيها ضاللتهم المنشودة واستغنوا بها عن الصحف الورقية المأثورة. وفضلاً عن ذلك، بدأت الصحف الإلكترونية البحتة أو الخالصة تظهر إلى حيز الوجود، سواء في الدول الأجنبية أو في البلاد العربية.

وتجدد الإشارة إلى أن الصحف الإلكترونية لم تكن في البداية ذات عائد مادي كبير يشجع على الاستمرار أو الاستفادة منها. وذلك راجع لعدم معرفة أو اهتمام أصحاب الإعلانات بها، وعدم تقنيم فيها كوسيط إعلامي مؤثر. غير أن مع تزايد استخدامات الإنترنت وكثرة رواد مواقع الصحف الإلكترونية تنبه المعلنون لأهمية الإعلان عبر الإنترنت، وبدأت الصحف الإلكترونية تحقق عائداً مادياً يتوقع تزايد في المستقبل بشكل كبير جداً.

ولقد كانت بداية الصحافة الإلكترونية «مجرد مواقع تحتوي على مقالات وموضوعات وأفكار وأطروحات ورؤى بسيطة. وتحديداً انطلقت من منديات الحوار، التي تتميز بسهولة تحميل برامجها وبساطة تركيبها، إذ يكفي أن تقوم بتحميل هذه البرامج المجانية في الغالب ورفعها لموقعك في أقل من ساعة، ليبدأ بعدها الموقع بأثره في العمل المحدد له وفي اجتذاب عدد كبير من الزوار».

عوامل ظهور الصحافة الإلكترونية وأسبابه

يرى بعض الباحثين أن هناك ثلاثة عوامل أسهمت في ظهور و تطور الصحافة الإلكترونية، هي:

– الارتفاع المدهش في قدرات الإعلام الآلي لطاقت الحاسوب على تخزين ومعالجة المعطيات.

– التقدم في مجال تقييم المعطيات فكل معلومة مشفرة في شكل رقمي، مما منحها لغة عالمية، حيث يمكن نقل وتبادل المعطيات رقمية من نقطة إلى أخرى من العالم دون النظر إلى اللغة الأصلية التي كتبت بها.

– تطور تقنية ضغط المعلومات وإزالة ضغطها التي تمكن من إرسال المعلومات بسهولة، بدل تخصيص مساحات كبيرة تعرقل من عملية إرساله.

– ظهور القارئ الرقمي الذي أصبح يفضل الاطلاع على الأخبار والمعلومات في المواقع الإلكترونية، لما تتمتع به من خصائص فنية كأن يتم تحديثها باستمرار، وتوفيرها على كم هائل من المعلومات ويتم اقتناؤها بطرق تفاعلية مختلفة.

– مواجهة الصحف المكتوبة على المستوى العالمي صعوبة كبيرة، بسبب غلاء مادة الورق والطباعة وقلّة المادة الإعلانية التي فضلت التلفزيون والإنترنت. وفي دراسة أجرتها (ميكروسوفت) تقول: «إن العالم سيشهد طباعة آخر صحيفة ورقية في عام 2018 على الأقل في الدول المتقدمة، لذا فإنه ليس من المبالغة أن نتحدث عن إمكانية حدوث توقعات ميكروسوفت، طالما سارت الأمور على وتيرتها الحالية، وطالما بقيت الصحافة المطبوعة تعنى بالخبر، الذي «يحترق» عليها بلغة الصحافة قبل طباعته بأربع وعشرين ساعة».

– الصحفيون والتطورات التكنولوجية الراهنة يرى (جون بافيليك) John Pavlik في مقال له بعنوان «الرسول هو وسائل الإعلام: وسائل إعلام جيدة، قواعد جديدة» أن شبكة الإنترنت تشكل تحدياً ضخماً لمؤسسات الإعلام التقليدية، وهو تحدٍ من نوع جديد، يساعد الجمهور، ويعيد تحديد دور الصحفيين في المجتمع، ويضيف (إيدن وايت): «أن الصحفيين يجب أن يكونوا على حذر، وهم في عجلة للحاق بالأحداث المهمة. حتى لا يتأثرون بالتحيزات البغيضة للمتعوهين أو تخدعهم المعلومات الزائفة التي تشر حول الإنترنت».

لقد ألغى الصحافيون الجدد الذين اتخذوا من صفحات الواب مساحات لنشر أخبارهم كل القواعد التي قامت عليها الصحافة، كما أزاحوا من طريقهم كل النظريات التي توجه العمل الصحفي في مختلف وسائل الإعلام التقليدية.

– الصحافة الإلكترونية (بوابات صحفية بلا صحفية ورقية) في عام 1999 ظهرت عبر الإنترنت موجة (الدوت كوم)، والتي يقصد بها الشركات التي ظهرت وتأسست لكي تعمل عبر الإنترنت فقط دون أن يكون لها نشاط أو وجود مادي على أرض الواقع. وظهرت مئات الشركات من هذا النوع في مجالات عديدة، شملت السياحة والسفر

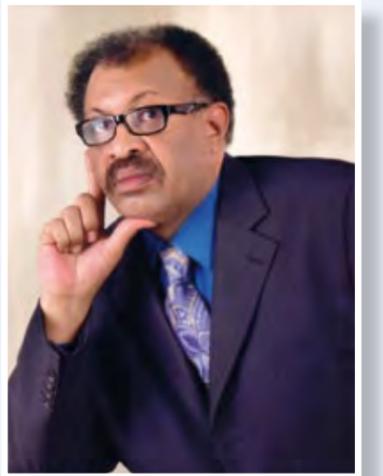


والتجارة الإلكترونية

والمجالات العلمية والصناعية وأيضاً المجال الإعلامي والصحفي. فتشكلت شركات لم تكن سوى مواقع على الشبكة تعمل في مجال الصحافة والإعلام، وعرفت باسم بوابات الإنترنت الصحفية، وتخصصت في تقديم المواد الإخبارية والتحليلات الصحفية والمقابلات والحوارات والمحادثة والتشرات البريدية الإلكترونية وخدمات البريد الإلكتروني وخدمات البحث في الأرشيف. وحالياً تجسد هذه البوابات نموذجاً للصحافة الإلكترونية التي تمارس عملها بالكامل عبر الإنترنت دون أن يكون لها أي نسخ مطبوعة. الأمر الذي يجعل منها مدخلاً جيداً وغنياً، يمكن الاقتراب منه وفقاً للعديد من النقاط الخاصة بالتصميم ودورية التحديث وتنوع الخدمات، والجهات القائمة على الموقع، وتوجهاته العامة، والرؤية التي يحملها القائمون عليه.



أدوات الكتابة ومتغيراتها



د. أمير تاج السر

كاتب وروائي سوداني

«على الذين يكتبون أن يجددوا أدواتهم من حين إلى آخر، حتى يظل المشروع الكتابي بارزًا ومؤطرًا من ضمن المشاريع الحياتية الأخرى.»

بديهى أن كل من يشتغل بالكتابة الإبداعية يملك ولو قليلاً من الأدوات تؤهله للسير في ذلك الدرب الوعر. هناك من يصمد بشدة، ويقاوم كل المحبطات الملازمة لذلك الدرب، ليكون مشروعه الخاص الذي سيؤرخ له في يوم ما بالتأكيد، وهناك من يبتئس سريعاً، ويفارق الدرب بلا نية في العودة إليه.

على أن الكتابة المؤثرة التي تمتلك الوجدان، وتجلس الناس مقرفصين في قلب معاناتهم تبقى، حتى لو كانت مجرد قصة قصيرة واحدة أو رواية بتيمة أو قصيدة شعر، أو مجموعة أعمال إبداعية قليلة، لا يتعدى حجمها مجتمعة حجم رواية واحدة غير مؤثرة.

ولدينا أمثلة كثيرة لتلك الإشرافات التي يزيدها الزمن بريقاً، مثل رواية "موبي ديك" للأمريكي هيرمان ملفيل، الصادرة في عام 1851، وتحكي عن صراع تراجيدي بين حوت وإنسان، قرأ الروائي من خلاله طبائع البشر والمجتمعات.

وكذلك بقيت رواية "قلب الظلام" للبريطاني جوزيف كونراد الصادرة في بداية القرن الماضي، وحوت -بفصولها الثلاثة وعدد صفحاتها القليلة جداً- ما لم تحوهِ رواية ممتدة في مئات الصفحات. ولدينا في الأدب العربي مثلاً، ما كتبه الراحل إبراهيم أصلان من أعمال قليلة غاية في التأثير، وما كتبه الطبيب صالح طولال عمره، وجعل منه إحدى القامات الكبيرة المرجعية.

لقد قلت: إن الدرب وعر، ويحتاج إلى شيء من الأدوات قبل بداية السير فيه، أدوات قد يمتلكها المبدع فطرياً، وهي موهبته القدرية التي ولد بها، ولا مفر من اتباع إشاراتها، والسير معها إلى حيث تسيّر، وذاكرته التي لا بد من تمييزها، لتمتص كل ما

يمكن أن يصنع عالماً، وهذه يمكن تدريبها بكل تأكيد.

أي أن الذاكرة حتى لو كانت خامدة تبقى قابلة للتشيط من قبل المبدع، وهذا يأتي بالاسترخاء ومحاولة تذكر أحداثاً مرت وشكلت محوراً في الحياة ذات يوم، أو أخرى عبرت في لحظات، ولكن أضافت شيئاً.

أدوات أخرى يمكن استعارتها من الذين يملكونها، وهذه تأتي بمحاولة اكتساب المعرفة، ولا أعني بها التعليم النظامي، الذي يفرض مواد دراسية معينة، ويمنح المتلقي في نهايته شهادة تؤهله لوظيفة، ولكن التعليم الخاص الذي يتلقاه المبدع في خلواته.

لا تكفي قراءة كتب الأدب وحدها وحفظ الشعر ونسيانه، كما كان يقال للشعراء المبدئين قديماً. وإنما قراءة كل ما يضيف إلى الموهبة ويطورها، وأقول بكل تأكيد: إن قراءة الكتب الدينية وكتب التاريخ والجغرافيا وعادات الشعوب والأساطير والتراث العالمي، وحتى قراءة علم الفلك وكتب الحظ والأبراج، يمكن أن تضيف للمبدع أدوات يستطيع أن يستخدمها في درب الكتابة. وأصف الأعمال العظيمة دائماً بأنها تلك التي عملت على الإنسان وما ابتكره من أجل البقاء، وما يستطيع أن يبتكره في كل يوم جديد. وما لم ترتبط الكتابة بذلك، لا أعتقد أنها تصمد، خاصة في هذا الزمن الذي أصبح فيه كل شيء مدرسوًا بدقة، ولا وجود لمشاريع عشوائية.

من أدوات الكتابة أيضاً -وأعتبرها أداة مهمة للغاية- مسألة وجود رقيب داخلي للمبدع، وهو أداة يخترعها المبدع بنفسه، وتقوم (بفلتر) الكتابة في أثناء اشتغالها في الذهن أو على الورق، وقبل أن تخرج إلى الناس.



هيرمان ملفيل

الرقيب هنا يترك ما هو صالح للنشر بالفعل، ويقصي ما هو ضار، وبذلك تخرج الكتابة نظيفة وغير جارحة، ولا تترك لمن يتلقاها أي فرصة، لوصفها بواحد من تلك الأوصاف غير اللائقة، تماماً مثل وظيفة الأمعاء في الجسم البشري، حين تحتفظ بما ينفع الجسم، وترسل ما لا ينفع في شكل مواد لا بد من التخلص منها.

بعض الذين يكتبون في الوطن العربي يهلون وظيفه الرقيب الداخلي، أو لعلهم يسجنونه في أعماق أذهانهم، فلا يصدر منه أي صوت معارض، هذه الحجة تقارن دائماً بالنصوص التي تولد في الغرب، وتجذ من يتحدث عن حرية الرأي وأن المبدع يكتب ما يريد بلا رقابة ولا حجر على إبداعه، ولن يظهر من يحاكمه على إيراد لفظ بذيء في رواية، أو إكثاره من المواقف الجنسية، أو حتى كتابة حماقات تمس الدين بشكل أو بآخر.

ربما كانت في الغرب حرية مثل هذه لا تقود إلى المحاكم، لكن تقود إلى محاكم أكبر، وهي المحاكم التي ينصبها القراء لمثل هذه الكتابة، وقد قرأت تعليقات كثيرة من قراء غربيين على روايات تجاوزت حدود الحشمة، وكانت تعليقات سلبية للغاية. وحتى رواية "مئة عام من العزلة" لماركيز، تم انتقادها من قراء كثيرين، بسبب مشاهد جنسية اعتبرت زائدة ولا ضرورة لها على الإطلاق.

وأذكر تلك الرواية الصينية المشهورة "طفلة شنغهاي" التي صدرت لها طبعة عربية بجانب عشرات الطباعات بلغات أخرى، وكانت قد اعتبرت في الصين رواية غير لائقة بالمرّة، ولا تبرز من المرأة الصينية العظيمة المكافحة سوى جسد يتسول الجنس في كل لحظة. وقيل: إن متعصبين جمعوا نسخاً منها وأحرقوها، احتجاجاً على كتابتها ونشرها.

لقد قرأت هذه الرواية، وأجدها خالية من الفن الكتابي- إلى حد ما- وكان التشويق فيها، هو تشويق الجسد المستنزف



جوزيف كونراد

ولا شيء آخر.

لوتجاوزنا عن أداة الرقيب الداخلي التي وصفتها، وذكرت أنها مطلوبة حتى في الغرب الحر، وتساءلنا عن ضرورات الكتابة، وهل كل ما يحدث في الحياة، يستحق أن نكتبه، ويمثل ضرورة؟

أعتقد أن القارئ، حين يمسه بكتاب، فهو يمسه بقطعة من مجتمعه، أو مجتمع آخر غريب عنه، هذا المجتمع فيه شخوص وحارات، وأزقة، وشوارع نظيفة ومغبرة، فيه ملابس تستر، وأخرى تعري، باختصار فيه كل شيء.

القراء هنا في معظمهم، يبحثون عن التسلية أو الدهشة، وتوجد أعمال إبداعية للتسلية، وأخرى للإدهاش، وسأتحدث عن كتابة الإدهاش، وأقول: إنها الكتابة التي وصفتها بالخلود، والبقاء أطول حقبة ممكنة في الذهن، ولن تكون الكتابة مدهشة إذا ما وصفت الأشياء بمسمياتها، إذا ما وصفت الحياة اليومية بكل سترها وعوراتها، فلا بد من بهارات من خيال الكاتب، تضيف ما يدesh، أو ما يستفز لممارسة فعل القراءة.

وأعتقد أن كتابة الجنس في كل سطر وصفحة، ليست بهارا جيدا، استخدام سباب الشوارع المعروف، ليس بهارا إطلاقاً، وما لم تدخل جزيئية خيالية، حتى في عناق عادي لحبيبين، أو موقف عادي من مواقف الشوارع المألوفة، فلن تدهش أحداً على الإطلاق.

أقول في النهاية: إن الزمن تغير كثيراً، والكتابة من الأشياء التي طالتها التحديتات، فعلى الذين يكتبون أن يجددوا أدواتهم من حين لآخر، حتى يظل المشروع الكتابي بارزاً ومؤطرًا من ضمن المشاريع الحياتية الأخرى.

«القارئ، حين يمسه بكتاب، فهو يمسه بقطعة من مجتمعه، أو مجتمع آخر غريب عنه، هذا المجتمع فيه شخوص وحارات، وأزقة، وشوارع نظيفة ومغبرة، فيه ملابس تستر، وأخرى تعري، باختصار فيه كل شيء.»

«من أدوات الكتابة مسألة وجود رقيب داخلي للمبدع، وهو أداة يخترعها بنفسه تقوم بفلتر الكتابة في أثناء اشتغالها في الذهن أو على الورق، وقبل أن تخرج إلى الناس.»

«لن تكون الكتابة مدهشة إذا ما وصفت الأشياء بمسمياتها، إذا ما وصفت الحياة اليومية بكل سترها وعوراتها، فلا بد من بهارات من خيال الكاتب، تضيف ما يدesh، أو ما يستفز لممارسة فعل القراءة.»



تعزير الصحة



د. وليد فتيحي

ولذلك أوصى الخالق الإنسان أن يحسن الاستخلاف في جسده الذي وهبه الله إياه، وجعل الأخذ بأسباب صيانه وحمايته ورعايته من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، ومما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة "وعن جسده فيما أبلاه". ولذلك فإن المسؤولية عن صحة الإنسان تقع على عاتقه نفسه أكثر مما تقع على عاتق الطبيب والفريق الطبي.

إن ارتفاع وتضخم تكلفة علاج الأمراض في ازدياد مطرد في معظم الدول، وذلك نتيجة نمط حياة غير صحي وزيادة نسبة الأمراض تبعاً لذلك، مما يندرج أنه باستمرار هذا النهج في التعامل مع الصحة، فسيستنزف أكثر وأكثر من الدخل القومي، وستعجز معظم الدول عن تقديم العلاج لمواطنيها، فما هو الحل؟ كيف يمكن أن نوقف هذا النزف والزيادة المطردة؟

ليس هناك من حل إلا بتطبيق مفهوم تعزير الصحة والذي يعرف بأنه عملية تمكين الأشخاص من السيطرة على صحتهم، مما يؤدي إلى تحسينها. إنها تمكين الإنسان نفسه من أن يحمي نفسه، ويقيها من أن يصبح مريضاً.

لقد أصبح تحقيق هذا المفهوم هو هاجس المخططين الجادين والمنفذين الصحيين في شتى أرجاء العالم. آلاف الدراسات تؤكد أن برامج تعزير الصحة فعالة جداً على المدى البعيد والقريب على السواء.

وبناء على دراسات مستفيضة تم تحديد مجموعة من التدخلات الوقائية، التي كان لها أكبر مردود وعائد استثماري على المجتمع والفرد والدولة، ومنها التدخين والسمنة والتطعيمات والفحص الدوري لبعض الأمراض: كالأمراض السرطانية للثدي والقولون، فني دراسة نشرت عام 2011 في مجلة Journal Contemporary Economic Policy وجد بعد تحليل ودراسة المعلومات ما بين عامي 1991م و2007م أن دعم برنامج الحماية من التدخين والإقلاع عنه يمكن أن يوفر ما بين 14 و20 ضعف تكلفة البرامج، وذلك بخفض تكاليف العلاج والأمراض التي يسببها التدخين كالذبحات القلبية والجلطات الدماغية والأمراض الصدرية والسرطانية.

وفي دراسة نشرت في فبراير 2005م في مجلة American Journal of Public Health وجدت أنه لو تم استثمار فقط أقل مبلغ مقترح من قبل CDC -enter for Disease Control- فإن انخفاض التدخين في الشباب والمراهقين فقط سيخفض تكلفة العلاج بما يزيد عن 31 بليون دولار.

وبهذا الإدراك استطاعت بعض الدول الصناعية

الجادة خلال عشرين عاماً ببرامجها الفعالة خفض نسبة التدخين من 45% إلى أقل من 20% والتركيز على المدخنين من الأطفال، ومثال ذلك أمريكا ففي عام 2014م بناء على إحصائيات CDC (Center for Disease Control) انخفضت نسبة المدخنين لتصبح 20% فقط في الرجال و14.5% فقط من النساء بعد أن كانت أكثر من 40% قبل عقدين من الزمن.

وفي دولة مثل أستراليا حيث عدد سكانها أقل بقليل من عدد سكان المملكة العربية السعودية، بينت دراسة أسترالية نشرت في 21 أغسطس عام 2008م أن كل دولار يستثمر في البرامج المكثفة في مكافحة التدخين أدى إلى خفض تكلفة العلاج الطبي بأكثر من سبعين دولاراً على مدى العمر، وأنه لكل عشرة آلاف يقلعون عن التدخين يتم وقاية 500 شخص من سرطان الرئتين و600 شخص من الذبحات الصدرية و130 شخصاً من جلطات الدماغ و1700 شخص من أمراض الجهاز التنفسي والرئتين.

وكذلك الحال في السمنة التي تؤدي إلى الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني والذبحات الصدرية والجلطات الدماغية وكثير من الأمراض السرطانية.

وصلت النفقات الطبية المرتبطة بالسمنة في أمريكا إلى 90 بليون دولار في السنة أو ما يعادل 9% من مجموع الإنفاق على الصحة وإلى أكثر من 270 بليون دولار في السنة إذا أضفنا إلى الرعاية الصحية الخسارة في الإنتاج بسبب الأمراض والوفيات الناتجة عن السمنة.

وفي دراسة تحليلية عرضت في المؤتمر الذي عقد في واشنطن تحت رعاية CDC (Center for Disease Control) وباحثين من جامعة ديوك Duke University بينت أن تحقيق انخفاض في نسبة السمنة بـ 1% فقط سيؤدي على مدى عقدين من الزمن إلى خفض تكلفة العلاج الطبي بما يزيد عن 85 بليون دولار، علماً بأن أعلى نسبة سمنة في العالم هي في الكويت وأمريكا والسعودية، بناء على إحصائيات منظمة الصحة العالمية لعام 2011م فإن 70% من الرجال و80% من النساء في الكويت، و80% من الرجال و76% من النساء في أمريكا، و63% من الرجال و66% من النساء في السعودية مصابون بزيادة الوزن.

وفي مسح ميداني قام به فريق من الحملة الوطنية لمكافحة السمنة في جامعة الملك سعود في السعودية بمراجعة إحصائيات السمنة في المملكة بين عامي 2009م إلى 2011م أظهرت الدراسة ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة السمنة وزيادة الوزن في السعودية، حيث إن 18 مليون سعودي مصابون بهذا الداء، أو بنظرة أخرى، فإن

المصابين هم 3 أشخاص من كل 4 أشخاص.

وتتفق السعودية أكثر من 19 مليار ريال على علاج المرتادين للمستشفيات لعلاج الأمراض التي تسببها زيادة الوزن والسمنة.

وأوضحت الدراسة أنه بالرغم من أن السمنة ومضاعفاتها في السعودية تؤدي إلى 20 ألف وفاة وخسارة أكثر من 19 مليار ريال سنوياً إلا أنه لم يبدأ بعد الاستثمار في محاربة السمنة، ولا توجد خطة وطنية شاملة لمحاربة السمنة في السعودية.

وفي دراسة قام بها مركز فيليبس Phillips Center على الصحة في الإمارات في عام 2010م وجد أن هناك تناقضاً كبيراً بين إدراك الإنسان لمظهر جسده وحقائقه هذا المظهر، فـ 75% من الأشخاص في الدراسة أجابوا بأن أوزانهم طبيعية، في حين أن 30% منهم فقط أوزانهم طبيعية، والباقيون مصابون بزيادة الوزن، وقد عزا الباحثون أحد أسباب ذلك إلى الزي العربي كالثوب والعباءة اللذين يسهمان في حدوث سمنة متبطنة مختبئة.

إن ما يجعل الأمر أكثر خطورة في العالم العربي هو أن الأطفال يمثلون الشريحة والفئة الأكبر عدداً، حيث تصل نسبتهم إلى 50% من عدد السكان في بعض الدول، فإذا كانت نسبة السمنة والتدخين في العالم العربي من أعلى الدول في العالم، فماذا سيحدث عندما يتحول سكان هذه الدول من أطفال إلى بالغين، ويتحول البالغون إلى مسنين على مدى العقدين القادمين من الزمن؟ بالطبع ستضاعف الأمراض الناتجة عن السمنة والتدخين مثل الذبحات الصدرية والجلطات الدماغية والأمراض السرطانية، مما سيؤدي حتماً إلى استحالة تغطية علاج هذه الأمراض، وبذلك ستستنزف موارد الدخل القومي في علاج الأمراض.

إن مفهوم تعزير الصحة هو المفهوم الشامل الصحيح للتعامل مع صحة الإنسان. إنه تمكين الأفراد من زيادة قدراتهم على التحكم في صحتهم والمحافظة عليها مع الدعم الاجتماعي والاقتصادي والبيئي من خلال عمليات تمكين تعاونية تشاركية وسياسات وخطط عمل وبرامج وأنشطة متكاملة تشمل البيت والمدرسة والجامعة والشارع لتحويل المعرفة والمعلومة والثقافة الصحية إلى سلوك وأسلوب ونمط حياة، وبذلك فهو أشمل وأعم من مفهوم التوعية الصحية القديم. إنها الاستثمار في الإنسان لتعزيز الأنماط الصحية في حياته، لتصبح جزءاً من طبيعة سلوكه وثقافته. وكيف لا يكون هذا أكثر الاستثمارات عائداً للفرد والمجتمع والدولة، علماً بأن 80% من الأمراض تكمن في السلوك الإنساني غير الصحيح من غذاء غير صحي وسمنة وتدخين وإهمال الحركة والرياضة والنظافة، والجهل في التعامل مع التوتر والإجهاد وغيرها كثير.

لقد غيرت منظمة الصحة العالمية تعريف الصحة،

ليصبح حالة من المعافاة الكاملة بدنياً ونفسياً وروحياً واجتماعياً، ولم يعد تعريف الصحة يقتصر على الخلو من المرض أو العجز كما كان في السابق.

وبالرغم من كل الدراسات والإحصاءات التي تؤكد خطورة عدم الأخذ بأسباب تطبيق مفهوم تعزير الصحة على مستقبل الفرد والمجتمع في الدول، إلا أننا نجد أن كثيراً من الدول العربية ما زالت تعيش في عالم التعريف القاصر السطحي الضيق للصحة، فتضخج ميزانياتها لبناء المستشفيات، لعلاج الأمراض، وكلما انتهت من بناء مجموعة أدركت أن التسارع في الطلب قد تعدى قدرتها على بناء المستشفيات وتغطية العجز بغض النظر عن ضخامة ميزانياتها، بل وكذلك سرعة تنفيذها للمشاريع.

إن العجز الحقيقي هو في فهم وتطبيق مفهوم تعزير الصحة لبناء ثقافات صحية لعلاج السلوكيات غير الصحية في المجتمع، وتفادي الأمراض قبل حدوثها، وهذا هو المفهوم الوحيد الذي سيحدث فعلاً من التسارع لبناء المستشفيات لعلاج الأمراض الناتجة عن السلوكيات غير الصحية.

إنه التحول من مفهوم علاج المرض إلى المحافظة على الصحة، ومن عيادة المرضى إلى عيادة الأصحاء.

كل دولة تحتاج خطة شاملة لتعزيز صحة إنسانها وتوجه إستراتيجي للوقاية من الأمراض المزمنة، التي يمكن الوقاية منها، والإصابات التي يمكن تفاديها عن طريق توجيه سلوكيات إنسانها إلى سلوكيات صحية وإيجاد بيئة صحية تساعد على تحقيق ذلك.

وبذلك لا تكون الشريحة المستهدفة هي الأشخاص المرضى فحسب، وإنما الأصحاء عامة، والمحافظة على صحتهم والمهددون بالأمراض المزمنة والإصابات بسبب سلوكياتهم وعاداتهم غير الصحية.

إن بناء شراكات قوية متعاونة هو نقطة محورية ومركزية من أجل تطبيق الخطة الإستراتيجية لتعزيز الصحة. شراكات تدعم تطبيق سياسات صحية على جميع المستويات، وتفعيل قطاعات واسعة في المجتمع كالصناعية والتعليمية والترفيهية ومنظمات غير حكومية وكل قطاعات ومستويات الدولة وسن القوانين ووضع النظم والتدخلات الاقتصادية، لتكوين بيئة معيشة وعمل وحياتية تدعم السلوكيات والعادات الصحية.

ومن أمثلة هذه الشراكات دور وزارة التعليم في تضمين مفهوم تعزير الصحة في جميع مناهجها الدراسية، ودور وزارة الإعلام بتكثيف برامج التعليم والتثقيف والتوعية الصحية بطرق مبتكرة وفعالة، وكذلك دور وزارة التجارة في وضع سياسات وقوانين تكافئ العادات الصحية (كالمطاعم التي تمنع التدخين تماماً) وتغرم العادات غير الصحية (كرفع الضرائب على السجائر)، وتخصيص عوائد هذه الضرائب بالتسويق مع وزارة الإعلام في التوعية والتثقيف والتحذير من مضار التدخين ومحاربتها.

ودور الكليات الطبية في تعديل المناهج لجعل جوهرها تعزيز الصحة من أجل أن تغير نمط التفكير التقليدي عند الأطباء المتخرجين من خلال المناهج التقليدية.

ودور وزارة الصحة في مكافأة الطبيب المعالج على النتائج الصحية التي حققها مع مرضاه كما تفعل الصحة في بريطانيا، كمثال ربط المكافآت السنوية بمعدل ضغط زيارات المرضى، وكذلك مؤشرات الصحة الرئيسية الأخرى، ولا ننسى دور الوالدين والتركيز عليهما في برامج التوعية الصحية.

ومن أهم الأهداف القومية الأخرى، العمل على رفع إحساس إنسان المجتمع بقيمته، فالاهتمام بالصحة هو انعكاس لهذا الإحساس. وكذلك إنشاء بنك ومركز معلومات صحي قومي، ففي غياب المعلومة الصحيحة الدقيقة سيصعب التشخيص والتقييم الدقيق ومن ثم العلاج والتقييم الصحيح.

إن أهم نقطة في هذا التطبيق هي وضع أهداف من أجل خفض الأمراض المزمنة والإصابات وقياس الإنجاز مقارنة بمؤشرات الأداء والإنجاز الرئيسية المحددة مسبقاً، والزام القائمين عليها في الدولة بتحقيق هذه المؤشرات التي تم تحديدها والموافقة عليها مسبقاً لتصبح هدفاً واتفاقية قومية، وتقييم فعالية كل تدخل لخفض الأمراض المزمنة والإصابات باستخدام معايير كمية أو نوعية (كيفية) أو كلاهما، حسب التدخل المراد قياسه وتقييمه.

فعل سبيل المثال قد يكون أحد مؤشرات الإنجاز خفض التدخين بنسبة 35% خلال خمسة أعوام بمعدل 7% كل عام، وفي كل عام يتم تقييم الإنجاز وتعديل التدخلات بناء عليه.

إن التعامل مع صحة الإنسان على مستوى أي دولة يبدأ بإدراك أن المشكلات الصحية معقدة، لأنها نتاج تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية والمادية الطبيعية على السلوكيات، ونظرة الإنسان لنفسه وتقييمه لذاته، لذلك فلا بد للحلول أن تكون شاملة ومتكاملة ومحددة في خطط طويلة المدى، ومشاركة فاعلة حقيقية أبعد بكثير من الدائرة الصحية المباشرة.

إنها معادلة واضحة جلية إن لم نفهمها اليوم ونطبقتها فسن دفع ثمن تقاعسنا غالباً في المستقبل القريب، بل إننا ندفعه اليوم وسيدفعه أبناؤنا وستدفعه أوطاننا أضعافاً مضاعفة، وسيؤدي لا محالة إلى خلق التنمية واستنزاف خيرات الشعوب التي غفلت عن الاستثمار الصحيح في مراحلها المبكرة. إنه الاستثمار في البشر قبل الحجر.. فلنبدأ بالإنسان.





العقل الهادئ



محمد بن عبدالله الفريح

كاتب ومفكر



@malfriah

نجد في كثير من الأحيان نحتاج إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهارة لنستطيع سماع صوت من نحب واحتواء بعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون.

اكتشف مزارع ذات يوم أنه فقد ساعته اليدوية في مخزن الحبوب. لقد كانت تلك الساعة غير عادية، إذ إنها ذات قيمة عاطفية خاصة بالنسبة له. بعد تفتيشه وتبشيره في التبن لمدة طويلة لم يعثر على شيء، توجه طالباً مساعدة مجموعة من الفتية، الذين كانوا يلهون ويمرحون بالقرب من المخزن، وعد المزارع بمكافأة من سيعثر عليها، وهكذا أسرع الفتية وولجوا بالمخزن، وأخذوا في البحث الحثيث عن الساعة في كل ركن وزاوية، لكن دون جدوى.

عندما كان المزارع على وشك الاستسلام واليأس من إيجادها، تقدم فتى صغير من المزارع طالباً منحه مهلة أخرى للبحث. ألقى المزارع نظرة على الفتى، وقال في نفسه: لم لا يظهر أنه جاد ومخلص فيما يطلب، وهكذا بعث المزارع الفتى لمخزنه، وبعد هنيهة عاد الفتى والساعة بيده. فرح المزارع بها فرحاً شديداً، وقد بدت عليه علامات الدهشة سائلاً الفتى: كيف نجحت في هذه المهمة في حين فشل أقرانك الآخرون؟ ردّ الفتى قائلاً: لم أعمل شيئاً سوى الجلوس على المصطبة وإرهاق السمع، في مثل ذلك الجو من الهدوء والسكينة، تناهت إلى مسمعي تكتكات الساعة، فتمت وبحثت عنها في ذلك الاتجاه فوجدتها!!

تعجبت كثيراً عندما قرأت هذه القصة، كيف للهدوء الداخلي والخارجي عندما يجتمع أن يحدثا المعجزات في حياتنا، فهذا طبيب القلب عندما يضع سماعته على قلب المريض ينصت بخشوع شديد، وكذلك من حوله من الطاقم الطبي وبشكل تلقائي لمنح الفرصة للطبيب للاستماع لضربات القلب، ليتأكد من انتظام ضرباته.

وهذا مهندس السيارات يصغي بإذنيه وجوارحه لسماع صوت محرك السيارة وهي دائرة ليتأكد من مكنم الخلل بها، ويستطيع من ثم ضبط إيقاعها من جديد. وهذه الحيوانات والطيور بكل أنواعها تخضع نفسها

وفصائلها لساعات الهدوء والسكينة وساعات الإنصات المتلاحقة لتتأكد من عدم وجود الأعداء بالقرب منها، بل إن الكثير منها ينجو بحياته بسبب هذه الخصلة الجميلة، التي أودعها الخالق جلت قدرته في كل مخلوقاته. كما نرى المفترسات من الحيوانات والجوارح لا تستطيع صيد فرائسها دون الخضوع للعمل بهدوء شديد، وبسكينة تمتد لساعات أحياناً، وتحرص جميع الكائنات على إكساب فصائلها هذه المهارة الهائلة منذ نعومة أظفارها لإدراكها أن نتائج إتقان هذه المهارة ستكون استثنائية بكل أبعادها.

في كثير من الأحيان نحتاج إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهارة لنستطيع سماع صوت من نحب واحتواء بعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون. ويزيد هذه الصفات جمالاً وبهاءً ما ذكره الخالق عز وجل في كتابه العظيم عن متقني هذه المهارة حين أثنى عليهم بقوله:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ الْأَلْبَابُ ﴿١٧﴾﴾ سورة الزمر (18) وتذكر دائماً أن:

خاطرة:

من لا يتقن فن الاستماع في الغالب الأعم لا يجيد فن الحديث. السكينة الداخلية هي على وجه التحديد التي ستغير العالم وتقدمه. إيكهارت تول.

سُعُودِيٌّ وَلَوْ نُ دَمِي سُعُودِي وَلِي فِي الْبَدءِ فَاتِحَةُ الْخُلُودِ
سُعُودِيٌّ.. أَجَلٌ .. نَبْضِي سَلَامٌ وَعَاصِفَتِي أَعَزُّ بِهَا حُدُودِي
لِصُوتِ الْحَزْمِ تَرْتَعِدُ الزَّوَايَا فَتَبْتَسِمُ الْحَقِيقَةُ مِنْ جَدِيدِ
أَنَا لَعْنَةُ الْجَمَالِ إِذَا تَغَنَّتْ تُصِيخُ لَعَاذِي فِي أُذُنِ الْوَلِيدِ
أَنَا السَّلْمُ الْمَبَاحُ لِكُلِّ قَلْبٍ وَابِمَانِي بِهِ زَكَى وَجُودِي
أَنَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ خَطْبٍ وَأَحْلَمُ حِلْمَ مَكْلُومِ رَشِيدِ
نَبِيُّ اللَّهِ مَوْلِدُهُ بِأَرْضِي وَفِيهَا أَنْزَلَتْ آيُ الْمَجِيدِ
سُعُودِيٌّ وَأَفْخَرُ بِانْتِمَائِي إِلَى وَطَنِ التَّلَاوَةِ وَالسُّجُودِ
غَزَلْتُ لَهُ مِنَ الْأَهْدَابِ مَاوِي وَكُلُّ جَوَارِحِي كَانَتْ شُهُودِي
تُبَادِلُنِي بِلَادِي فَيُضْ حُبٌّ بِهِيْ مِلْؤُهُ عَزْمُ الْجُنُودِ
أُقَلِّدُ جَيْدَ قَافِيَتِي جَمَالاً يُصَوِّغُ النَّصْرَ فِي عَقْدِ فَرِيدِ
تَسْطُرُ رَايَتِي فِي الْأُفُقِ وَعَدَا يُعِيدُ الشَّمْسَ لِلْوَطَنِ السَّعِيدِ
إِذَا عَصَفَتْ بِنَا تَارِ الْمَنَايَا حَمَلْنَا الْمَاءَ فِي كَفِّ الشَّهِيدِ
عَزَفْتُ لَهُ حَدِيثَ الرُّوحِ عَشَقَا فَلَمْ تَحْضُرْ سِوَى لُغَةِ الثُّرُودِ
فَمَنْ عَرَفَ الشَّهَادَةَ وَاشْتَهَاهَا فَقَدْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدِ
سَاحَمِلُ فِي يَدِي رُوحِي وَأُلْقِي بِهَِا فِي وَجْهِ زَنْدِيقِ عَنِيدِ
وَأَسْمَعُ كُلَّ ذِي صَمَمٍ بِأَنِّي سُعُودِيٌّ وَلَوْ نُ دَمِي سُعُودِي

سُعُودِيٌّ وَلَوْ نُ دَمِي سُعُودِيٌّ



شعر:

إبراهيم عمر صعابي



الحدائثة من أين وإلى أين؟!



محمود أسد - سوريا

بداية أشير لأسئلة تحتاج لأجوبة. وهذه الأسئلة تشير من قريب أو بعيد حول ما يجري، لماذا الحديث والخلاف حول تجديد الشعر فقط؟ فالمعارك مرتبطة بالتجربة الشعرية. وكأن الأجناس الأدبية لا علاقة لها بذلك؟ وماذا تكثر التصريحات في المرحلة الراهنة حول سيادة الرواية على الأجناس الأدبية، وإن الشعر يحتضر ويفظ أنفاسه الأخيرة؟ ومن وراء هذه الأقاويل؟ وهل تُقال بحسن نيّة؟ ولماذا نعطي هذا الموضوع هذه الأهمية ونعتبره فتحاً جديداً على حساب موروثاتنا؟ وكأن الساحة الأدبية والفكرية فرغت من القضايا الحساسة والمهمة؟

ما أراه من دعوة للحدائثة وبشكل كثيف جعلني أكثر تمسكاً بجذوري، لأنني وجدت قسماً كبيراً ممن فهم الحدائثة بشكلها الخاطئ يدعو لنسف الجذور والمرتزمات الأساسية، والأخذ بمستجدات الحياة وفتح النوافذ للتجديد المتطرف. وهناك من تناول وهو لا يستطيع فك حرف أو تقطيع بيت من الشعر الموزون. بل ينظرون بعدوانية إلى النحو والقواعد... في أكثر من أسيّة أبدى بعضهم تذمراً من نقد المتابعين لعتراهم النحوية واللغوية، ومنهم من عبّر عن رؤية قاصرة فاعتبروا القصيدة العربية جامدة متجمّدة، وإنها ما عادت تصلح لزمن سريع متجدّد يسابق فيه الإنسان الزمن. ويقيني لو أنّها جامدة كما تصوروا لماتت من زمان لأن الجمود موت وعدم. وهي ما زالت تقارعهم، وتقرع في أذاننا. فالشعر العربي لم يكن في يوم من الأيام جامداً باستثناء حالات معروفة. فقد واكب تطورات الحياة ومستجداتها، وتعايش معها من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي والأموي فالعباسي المنتفض والعصر الحديث وما فيه من الشعر المهجري وقصيدة التفعيلة والشعر المسرحي.

التجديد يأتي نتيجة التفاعل مع الحياة ولا يأتي قوالب جاهزة. فكيف إذا كان في مجال الإبداع الذي يمتزج فيه الفكر والإحساس والخيال؟

تضايقتوا من أوزان الشعر وشكله الفني واعتبروهما قيوداً. تقف في وجه المبدعين التواقين إلى الحرية. والإبداع مصادم للقيود، لأن المبدع طاقة لا تقيد بوزن أو عائق، وهو فوق القيود بتجويره للطاقت غير المألوفة وتوليدته للمشاعر والانفعالات والصور المتولّدة والمركبة. هذا كلام معسول وجميل وبنغيه في الأدب. ولكن المقاييس

وهناك من تناول وهو لا يستطيع فك حرف أو تقطيع بيت من الشعر الموزون. بل ينظرون بعدوانية إلى النحو والقواعد..

لا بد منها فلا بدّ من ثوابت وأسس وحولها تحوم وتبني المستجدات. فالتجديد ضمن حدود وإمكانات ثابتة وممكنة لا تمسّ الأساسيات، فالعلم حقيقة مطلقة ولكن في إطارها الكثير من العلوم المتداخلة. فالتطوّر غير الصيدلة، وكلاهما في خدمة الإنسان وعلاجه، والهندسة المدنيّة غير الهندسة المعماريّة. بينهما اتفاق في نقاط وخلاف في نقاط كثيرة. إن الإبداع سنّة الكون، والتجديد أمر حتميّ شاء الإنسان أو رفض، ولكن الإبداع مرهون بشروط ومعطيات، من حق المبدع أن يجرب وأن يبحث عن صيغ جديدة ولكن التجربة لا تعني الحقيقة المطلقة التي تؤهله لرفع سيف القمع في وجه من يخالفه الرأي. فدعاة الحدائثة ومروجوها قليل منهم من استطاع الربط بين التراث والمعاصرة وكان معتدلاً في نظريته. فالغالبية منهم فهمت تراثنا بأنه عائق وقديم، يقف أمام قدراتهم الفنية وأدواتهم التعبيرية الحديثة وهذه الأدوات تطرح تساؤلاً أوجدت للهدم أم للبناء؟

أرى بقولهم هذا مهرياً من الحدود والقواعد المنظمة والضابطة للعمل الإبداعي. فالرياضة فنٌ وإبداع، ويرغم ذلك تخضع لقواعد وحكام ونقاد. فلم لا ندعو لتحطيم القيود، وعندها نرى الملاعب كيف تصبح؟ فالإبداع الحقّ المتميّز يكون ضمن قواعد تعطيه مساحة للإبداع.

إن الشعر لا يخضع لتعريف ثابت بل تسيّره مفاهيم متطورة. فلماذا لا نسمي القطار حاظلة؟ وكلاهما يحمل الركاب والأمتعة ويؤدي الغرض؟ والجواب لأن القطار برغم تطوره المستمرّ بقي محافظاً على شيء نسميه الخط الحديدي، وكذلك الشعر فهو يبني على الإيقاع والوزن فتطوّر القطار والطائرة والآلات لا يلغي تميّزها عن بعضها. وهذا هو حال الشعر بالنسبة للأجناس الأدبية. المحدثون يدعون لتجاوز الحدود والأوزان والمفاهيم، حتى تناولوا الجاهل والأمي، وضافت به الحدود فأصبح حديقة جميلة دون سياج يحميها. ترتع فيها الدثاب والنعاج والأطفال، ولكنهم أن تصوّروا النهاية. وهذا حال الشعر المحدث. أنغاز وغيوم وسرايد وسرقات وضياح. فانعدمت الرؤية وضعف خيط التواصل بين الملتقي والمبدع.

الشكوى من الحدائثة والتحديث تراها من الدكاترة والمختصين بالنقد الحديث. قلة منهم من يصرّح بأنه لا يفهم هذا الشعر الذي يدرّسه في الجامعات. وقد أبدى مثل هذا الدكتور (عبد القادر القط) فلماذا نفهم الحدائثة شكلاً، ويغيب عن بالنا تجربة الشاعر العربي اليميني عبد الله البردوني الذي يقدم لنا وجبة أدبية حديثة بوعي ودراية، وهذه التجربة تستحق أن نعتمدها نموذجاً؟!

وانعدم الاتصال والفهم. وأصبح الشعراء عندنا أكثر من رمال صحرائنا الممتدة. فالشكوى من الحدائثة والتحديث تراها من الدكاترة والمختصين بالنقد الحديث. قلة منهم من يصرّح بأنه لا يفهم هذا الشعر الذي يدرّسه في الجامعات. وقد أبدى مثل هذا الدكتور (عبد القادر القط) فلماذا نفهم الحدائثة شكلاً ويغيب عن بالنا تجربة الشاعر العربي اليميني عبد الله البردوني الذي يقدم لنا وجبة أدبية حديثة بوعي ودراية، وهذه التجربة تستحق أن نعتمدها نموذجاً؟!

يتضايق شعراء الحدائثة من المباشرة والنمطية في الشعر القديم وربما لهم في ذلك بعض الحق. ولكن ماذا نسمي ظاهرة التكرار في شعرهم والتلاعب في الجمل والقصائد التي بدأت تتكرّر لدى أكثر من شاعر بتغيير طفيف؟ وماذا نقول عن المباشرة في الإباحة والألفاظ العارية من الحياء التي أخذت تجرح مشاعرنا في الصحف والمنتديات؟ في القديم نسميها مباشرة، وفي الحدائثة نسميها جرأة. لكل علم أسسه ومبادئه التي تميّزه عن غيره، وهذه هويّة تميّزه عن غيره. فأين المرتكزات والأسس التي تبني الحدائثة نفسها عليها؟ إذا قلت لك: في بلد ما مدينة أو بناية سابقة في الفراغ دون أعمدة أو أسس. لا شك أنك تتهمني بالمسّ والجنون. ستقول أن أمراً ما أصابه، وهذا حقّ لأن البناء يحتاج إلى أساس ومخططات ولبنات، وهذا حال الشعر...

أقرأ نصوصاً من الحدائثة، بعضها يعجبني ولكن إذا عرفت ما يريد الكاتب المحدث فأنت عبقرى زمانك، وستكون من قراء النخبة الذين يفوقونه فهماً. أطلب تعريفاً للحدائثة أو مشروعاً لها. وأسأل عن تعريف الموسيقى الداخلية. وعن توليد اللغة ومن يشرح له فله الأجر والثواب. إذا لم يشرح لي لغزاً بلغز وإذا لم يصحّبني إلى السرايد.. الجديد سيكون قديماً. وهذا ما عبّر عنه ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) وهذه حقيقة لا مهرب منها فماذا بقي لنا من تجربة بشار وأبي النّوأس وأبي تمام وخليل مطران والسياب ونازك؟ لم يبق لها إلا مرتكزاتها وثوابتها التي لا تتنافى مع ثوابت الفن والإبداع.. من الروعة أن نجدد ضمن أصول. ورائع أن تصل القديم بالحديث، ولكن أن تهتم المعاصرة هضماً للقديم بثوب جديد.. و تجاوزاً لأوزان الخليل

وشكله الفني ونوع الأداة والتفعيلات. جرّب أدواتك الخاصة والعامة ولكن بوعي. عليك أن توضّح نظريتك وأسسك.. فالشعر إيقاع، وحرية الإبداع لها قيود وضوابط وكواعب منظمّة ووجدت لتحفظ حدوده كما يحفظ جدار بيتك حرمتك وحقوقك.. يؤلني أن أرى ذلك الصراع الذي لا أساس له...

فتحن مع الجديد والتجديد والتحديث. سمّه ما شئت ولكن عليك أن تميّز الصنف الأدبي. فالأدب شعر ونثر وبينهما مسافات، تقترب حيناً وتبتعد أخرى... لست من المشدّدين الذين بحسن نية وعفويّة تمسكوا بالأصالة والتراث. ودافعوا عنها وبوركت مساعيهم لأن التراث هويتنا القومية. وهو مُستهدف من أعدائنا فتعصّبهم غيرة عليه، فعندما يكون خصمك صريحاً وجريئاً في نهجه يكشف عمّا في أعماقه فما عليك إلا أن تكون قوياً أمامه وصريحاً وعنيفاً في بعض الأحيان ضمن أسس الحوار والديمقراطية والاحترام لرأي الآخر.. فليس من حقّ الفيورين على تراثهم أن يغلّقوا الأبواب على أنفسهم. عليهم أن يفتتحوا ويتجاوزوا عقدة القديم والإعجاب به لقدمه والنفور من الجديد لكونه جديداً، كما جرى قديماً لعمر بن العلاء في العصر العباسي مع أبي تمام. لأولئك الشباب المقبلين على الدنيا وعلى عالم الأدب والإبداع حقّ الإبداع والتجديد إلى جانب الاعتزاز بالأصالة والثواب التي هي من مقومات البقاء والاستمرار. فالخيمة دون أوتاد تلعب بها الرياح، وتقتلعها قبل أن تثبت. ولن أقول من جذورها لأنها الأساس لا جذور لها. ومن يقبل السكن في بيت واهن لا أساس له؟ لا شك أنكم استسهلتم الطريق والوصول. فالدعوة للنقاش ظاهرة حضاريّة وإنسانية. فالشعر يتطوّر بتطور الحياة، وما تدعون إليه من تجبير للمعاني والمفردات والصور المركبة والمدهشة وما وراء الإدهاش. فأني أدلكم لقصائد متفجرة في زمانها هل قرأتم قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي وهو يستصرخ قومه؟

أمامكم ديوان عنتره وملاحمه وشعر أبي تمام والمنتبي والشريف الرضي وشعر الخوارج وخليل مطران والسياب ونازك الملائكة...

ليس الانمكاش والتثبّت بالقديم المطلق يفيدنا، وليس التجديد المفرط المبنّي على تجاوز الحدود والقواعد التي تميّزه تقبل به. ورحم الله امرأ غار على تراثه غيرته على وطنه، فأخذ المناهل العذبة أينما كانت. ويخطر على بالي سؤال واستفسار براودني. هل فكرنا بانتماعات وهويات وعلاقة المتعصّبين للحدائثة لدرجة الهوس؟ يقيني أن السؤال يوصلنا إلى حقيقة جوهرية تكشف الكثير من الجوانب المبيّنة تجاه تراثنا وأمتنا ولغتنا العربية التي نعتز بها. فضيحة الحدائثة والتجديد قضية إشكالية متجدّدة، وأعتقد أنها لا تحتاج لهذه الثورات العارمة. أراها مفتعلة. وهناك من يوقدها كلما اقتربت من الخمود. إن الكاتب

علينا أن نبحت عن نص شعري جديد مفهوم قريب من همومنا ومعاناتنا. نستشهد به ونحفظه وندرّسه بعد أن اتعبتنا المصطلحات النقدية الغربية المتداخلة والغامضة وغير المبوبة والمفهومة. أراها مستوردة من المجلات الأجنبية دون دراية لإرضاء عقدة الغربي.

الذي يدّعي الحدائثة قد يفرح عندما ينشر قطعة أدبية. ولن أسميها شعراً. سوف يتألم أكثر عندما لا يجد من يسمع به أو يحفظ له أو درّسه. هذه نقطة مهمة في درب المبدعين. فالجري يحتاج لجواد بارع. وليس لجواد جامع، لا يكثر بمن فوجه. فالأدب لمن يكتب؟ ولن يعبر؟ وهذه مسألة مهمة تستحق النظر. فعلياً أن نبحت عن نص شعري جديد مفهوم قريب من همومنا ومعاناتنا. نستشهد به ونحفظه وندرّسه بعد أن اتعبتنا المصطلحات النقدية الغربية المتداخلة والغامضة وغير المبوبة والمفهومة. أراها مستوردة من المجلات الأجنبية دون دراية لإرضاء عقدة الغربي. وما أكثر السرقات عن الترجمات والمصطلحات التي نسبها الجهابذة لأنفسهم.. القصيدة النثرية أين أسسها ومرتكزاتها؟ أسئلة تحتاج لأجوبة تمنحها الحقّ الشرعي. ومن القضايا التي أخذت تضايقني وللحدائثة دور أساسي فيها غياب قصيدة المناسبة التي طالما كانت تهزّ وجداننا وتثير مشاعرنا من سباتها؟ فما أكثر الفواجع التي تحيط بنا وتلاحقنا في كل صباح ومساء! فعين الشعر غفلت لأن شعراءها سوف يتهمون بالمباشرة. وهذه سبّة لا تغتفر لهم. فغابت أسماء المدن والأبطال والمعارك وحلت محلها الألفاظ والسباحة في الرمز وما بعد الرمز. أرى أن العودة ضرورية لقصيدة المناسبة وضرورية لإحياء دور الشعر بتواصله مع الجماهير، بعد أن داهمتها القنوات الفضائية والرياضية. وجاءت الحدائثة لتقطع ما تبقى من خيوط واهنة. أساءل عن القصيدة التي تحضر في القلوب، وتثير النفوس من غفلتها. أليس هذا دور الشعر ورسالته السامية؟ أسئلة كثيرة تراودني. ذكرت القليل، وتركت الكثير، ولكني أدعو بالحاح للإجابة عنها لأنني كغيري بحاجة لمن يرشدني؛ وأقول:

أحبُّ لشعر تريباقاً لغني
يرافقني إذا ما اشتدّ خصمي
أريد الشعر قنديلاً لشعب
وشوكاً في مسارات الأصمّ
فأين الشعرُ مغموساً بجرح؟
وأين الشعر منسوجاً لقومي؟



الثقافة التاريخية في الوطن العربي



د. أشرف صالح محمد

عضو هيئة التدريس -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية -

جامعة ابن رشد - هولندا

ترجع أهمية الثقافة التاريخية إلى أننا نعيش اليوم في مجتمع طرأت عليه تطورات اجتماعية واقتصادية وتكنولوجية كثيرة، واقتحمته تيارات ثقافية متباينة، فأدت إلى انفصام اجتماعي وثقافي خطير، ولاسيما بين فئات الشباب، لهذا فإن الحاجة ماسة إلى وجود ثقافة تاريخية تسهم في تأصيل الانتماء لدى هذا الجيل من الشباب، وتجعله قادراً على التعامل مع القضايا والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجهه بأسلوب يتسم بالوعي.

ويقصد بالثقافة التاريخية وجود قدر كاف من المعرفة التاريخية لدى الإنسان التي تشمل: (الحقائق، المعلومات، المفاهيم) وتعد بمثابة البعد المعرفي للثقافة التاريخية.

مأساة "التاريخ" في العالم العربي

هناك الكثير الذين ينظرون إلى تخصص التاريخ على أنه علم يبحث في عالم الأموات بالتقريب عن مآثرهم، وانتصاراتهم، وهزائمهم، وسلبياتهم، ويروي حكايات وقصصاً عفا عليها الزمن، وهو باختصار قصة الماضي الذي توارى خلف الزمن ولن يعود. ومن المؤسف أن هذه النظرة ترسخت وأصبحت هي الفكرة السائدة عن "علم التاريخ".

ظلم "التاريخ" وظلم معه من اهتم به، فالتاريخ كعلم يصوغ التجربة الإنسانية باتجاهات ومدارس تشكلت عبر دورات زمنية ومحطات توقف، أخذت من باحثين ومفكرين جهداً ووقتاً، وقادهم هذا التعمق إلى بناء نظريات والانطلاق برؤى تحمل أبعاداً مختلفة للتجربة الإنسانية.

مما لاشك فيه أن استهلاك أحداث الماضي يساعد إلى حد كبير في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وهي رؤية تتسم بالحيوية والحركة وليست ثابتة في مكانها أو جامدة، تعتمد على فهم وتحليل تفاصيل الوقائع والأحداث الفريدة التي مضت وانقضت. فالماضي يلعب دوره الواضح في تحريك الحاضر، فالتاريخ أساس لتثقيف المجتمع وإرشاده لقواعد السلم والحرب وإدارة شؤون الدولة والتخطيط لمستقبلها، من هنا يتحول مفهوم التاريخ من نطاق العلوم النظرية إلى العلوم العملية، لأنه علم يرتبط بوجود الدولة وعناصرها المتمثلة في الأرض والشعب والسلطة السياسية، ويعبر عنهم جميعاً بأنهم هوية الوطن ووجوده.

المجتمع والثقافة التاريخية

إذا أردنا أن نصدر حكماً على مدى رقي وتقدم أي مجتمع من المجتمعات، فعلياً أن نرى أولاً مدى حرص هذا المجتمع على الاهتمام بتاريخه، وكذلك مدى صدق المنهج في عرض هذا التاريخ قديماً أو حديثاً، ذلك لأن

الثقافة التاريخية التي يستوعبها الطلاب في أي مجتمع من المجتمعات تسهم وبشكل واضح في تشكيل شخصية هؤلاء الطلاب، وكذلك في تكوين التوجهات المختلفة سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وبالإضافة إلى تأثيرها على الجانب الخلقي وما يحتويه من قيم واتجاهات وميول، ولعل ما سبق يشير إلى خطورة ما يقدم من الثقافة التاريخية لأجيالنا، وهذا ما يدفعنا إلى أن نقف لنرى مدى صحة ما يقدم من معلومات تاريخية ضمن مناهج المراحل الدراسية المختلفة، وكذلك الموضوعات التي يتم تناولها ومدى مناسبتها للطلاب.

فيدرس الطلاب في المدارس ما يطلقون عليه "التاريخ"، مادة لا بد للطلاب أن يحفظ كل ما جاء فيها من معلومات بلا نقاش، محتفظاً بأسئلته، إن وجدت، لنفسه، أو لأسرته إن كانت لديهم القدرة والإمكانية لتشجيعه على البحث عن حقائق مختلفة عما تقدمه له الكتب الدراسية. وهذا ما دفع طه حسين إلى أن يقول للطلاب بطريقة غير مباشرة، اعتمدوا على أنفسكم إذا أردتم معرفة التاريخ، في مقدمته لكتاب "فصول مختارة من كتب التاريخ" والذي كان مقررًا على طلاب الصف الثالث الثانوي (1952)، قال: "الحادثة التي تحدث منذ قرون طوال ثم يسجلها المؤرخون إثر وقوعها، ثم يأخذها عن هؤلاء المؤرخين جيل آخر من كتاب التاريخ، ثم تتناقلها الأجيال وتصورها في الكتاب، لا تصل إليك خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل أثر لهؤلاء من الذين تناقلوها، ولحفظهم المختلفة من الدقة في النقل، والصدق في الرواية، ومن حسن الفهم، وصواب الحكم، وبراعة التصوير والتعبير".

إن الإنسان المثقف تاريخياً يمكن وصفه بأنه ذلك الشخص الذي يمتلك صورة شاملة عن بنية التاريخ من معلومات واتجاهات وتعميمات ونظريات ومهارات واتجاهات تساعده على الفهم والتفسير لكل ما يتصل بهذا المجال، كذلك يمكن وصف الشخص المثقف



الجينات اللغوية بين لغات الأرض

سبق لغوي أماطت دراسة لغوية "بكر" بجامعة لندن اللثام عن حقيقة علمية دامغة، تعزي أصول اللغات جميعاً إلى العربية، حقيقة أغرب من الخيال أذهلت جهابذة باحثي اللسانيات في مختلف أرجاء المعمورة، حيث قلب هذا الاكتشاف طاولة البحث العلمي رأساً على عقب في خضم هذا الميدان، وتم تفنيد الكثير من النظريات السائدة، والجدير بالذكر أن أول من أشار إلى هذا الكشف العلمي الفريد هو عالم اللسانيات الأشهر "ديفيد كريستال" في كتابه الممتع "موت اللغة"، حيث طالب الباحثين بضرورة البحث عن "اللغة الأم" التي انبثقت من رحمها كافة لغات الأرض قاطبة، فضلاً عن إسهامات اللغوي الفذ "جرينبرج" في كتابه الرائع "اللسانيات الوراثية". وكانت المفاجأة من طراز العيار الثقيل، حيث أثبت د. سعيد الشريبي - أستاذ فقه اللغة بجامعة لندن - هذه الحقيقة بالدليل العلمي لا الديني وقبلتها الجامعة دون تحيز أو محاباة أو عنصرية، ولكن مازال هناك إلى الآن تعتيم ما حول القضية، لأنه غرد خارج السرب، وفكر خارج الصندوق! هناك جين وراثي لغوي سائد في العربية موجودة بصماته بين الأنسجة الصوتية لكافة لغات العالم أجمع، فلا تزال توجد مقاطع صوتية مماثلة للعربية في أصول أحشاء كلمات اللغات الأخرى، ولكن حدث تحريف فونولوجي وفونيمي في باقي مقاطع الكلمات وتوزيع أصواتها عند انتقالها من لغة إلى أخرى. فهناك عوامل كثيرة أدت إلى تغيير بنية الكلمة وصوتها المتعارف عليه كالعوامل الجغرافية وصعوبة النطق الناتجة عن التواصل والاحتكاك التجاري بين القبائل والشعوب المختلفة عبر الأزمنة السالفة، ولكن نتاج هذا التزاوج أثمر عن ميلاد لغة جديدة تحمل موروثات لغوية هجينة، تعكس الصفات اللغوية الوراثية لكلا الأبوين فكلمة "Sugar" في الإنجليزية أصلها "سكر" من العربية وكلمة "Camel" أصلها "جمل" وكلمة "Alcohol" أصلها "الكحول". فهذا التشابه الموجود في النسيج الصوتي للكلمات له دلالة واضحة على أن العربية هي أم اللغات، وهذا - بدوره - لا يقدر في أهمية اللغات الأخرى كما يتبادر للأذهان، فاختلاف الألسن آية من آيات الله في الكون البديع. وهذا إضاءة من إضاءات التفسير، فكم هي رائعة لغتنا الجميلة ! المعين الذي لا ينضب، والذي نشم عقب نسيمة من ملايين السنين.

تاريخياً بأنه القادر على نقل المفاهيم التاريخية إلى مستوى التطبيق في الحياة اليومية، بل ويصبح قادراً على التخطيط واختزال المعرفة، وعلى هذا لا يكون حفظ المعارف واستيعابها ونقلها إلى العقول هي الغاية المرجوة، وإنما قدرة الطلاب على استخدام المعرفة التاريخية وتطبيقها في الحياة اليومية.

مميزات الثقافة التاريخية

ويمكن القول: إن من مميزات الثقافة التاريخية بشكل عام أنها وعاء للفعل الحضاري، وميدان تنزيل القيم على الواقع، وذاكرة الأمة ومحل تجربتها وعبرتها، وهي مخزون غني يورثه الآباء للأبناء والأحفاد، ونهر متدفق يتجه من الماضي، ويمر بالحاضر، ويصب في المستقبل، ولذلك لا غنى عنها لكل العاملين في مجال التربية والتعليم، والثقافة، والإعلام، ولكل رواد الإصلاح لعالم الغد.

ولعل من أبرز ميزات الثقافة التاريخية أنها توسع اختبار الإنسان وتعمقه، وكذلك تعد بمثابة سبيل لإدراك الذات، أفراداً وأمة وإنسانية، وهذه الثقافة تبعث في النفس اعتزازاً بالأجيال الماضية، من شأنها بناء الفرد والأمة، وتوطيد كيانها، على أن تكون معرفة الذات المؤدية إلى احترام الذات، وتقدير الماضي، هي أيضاً نقد للذات وللماضي.

وأخيراً؛ فإن الثقافة التاريخية تمي الحكمة، التي يولدها عمق الاختبار وسعته، والتي تلح على الإنسان في التساؤل حتى يصل إلى الأعماق والجذور. إن الإنسان الحي الفاعل صانع التاريخ، ليس مستقبلياً مطلقاً، سائحاً في الأحلام، ولا حضارياً مطلقاً، غارقاً فيما حوله من مشكلات، ولا تاريخياً مطلقاً، يحن إلى الماضي ويبغي أن يرجعه كما كان، وإنما يعيش بإدراك متزن صحيح، وشعور دقيق نافذ بين الحاضر والماضي والمستقبل.

المراجع:

- دلال بنت مغلد الحربي، افتتاحية العدد: "كيف نقدم التاريخ؟" - دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، مُحَكَّمة) - العدد الخامس والعشرون؛ سبتمبر 2014، ص 8.
- عمار علي حسن، "حكمة التاريخ والنبوءة" - الوطن (www.elwatannews.com) - منشور بتاريخ 18 فبراير 2014.
- ياسر عبد الحافظ، "احجز مكانك في كتاب التاريخ" - أخبار الأدب - ع 1108؛ أكتوبر 2014، ص 5.



د. أمير العزب

جامعة قطر



عام من العزلة و الرحيل المدوي



بقلم حمزة شباب

ناقد فلسطيني

الموت والأدب شريكان لا ينفصلان، يقدمه الأديب كوجبة دسمة يطرح فيه عصارة فكره ونتاجه الأدبي لمرحلة تأمل قوية، لطالما حدثته روحه بالبحث عنها، ويخوض في تفسير جدلية الوجود والموت، بناء على نظريته للأعمال التي قدمها لتلقى مصيرها المجهول بعد أن يجفّ الذهن، وتنضب منابع الإبداع، ويضع نفسه نصب فنائه ليجعل أعماله المتمركزة حول ذاته وسيلة يدافع فيها عن البقاء، حتى وإن وافاه غده المنتظر باللا حياة المادية في مقابل الحياة الروحية، التي قد يلقاها عند محبيه، لأن الإنسان لا يموت ما حيي ذكره كما قال الشاعر، ثم إن الأدياء كانوا ولا زالوا يبحثون عن تفسير لهذه النهاية الحتمية كغيرهم من علماء الإنثروبولوجيا وما يرافق ذلك من مشاعر القلق والحرمان على آثارهم التي سيتركونها بعد حين، إلا أنهم قد برعوا في تصويره والسخرية منه، بل وجعله طريقاً لاكتشاف الذات، فالموت فكرة تختمر في عقلية المبدع، ولها إرهابات داخلية تمنعه من بوحها في بداية مشواره نحو الإبداع، لأن الحديث عنه في تلك المدة يعد عائقاً في سبيل تحقيق المجد والتغني بالانتصارات، وبما أن الموت موضوع واضح المعالم ومشترك الخصائص في هذا العالم، فمن الطبيعي أن يكون مائدة المبدع التي يتحدث عن عالمه كيف يشاء، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون فكراً مبنياً على جدار من العالمية دون أن يحتوي على أيديولوجيات أو نظريات مرتبطة بجوانب سياسية أو اجتماعية أو تاريخية.

ظهر أبو العلاء المعري في قصيدته " غير مجد في ملتي واعتقادي . . . " متناولاً الموضوع بقدر من السوداوية البحتة لنهاية المطاف الدائر حول موت الإنسان، حيث لا

فالموت فكرة تختمر في عقلية المبدع، ولها إرهابات داخلية تمنعه من بوحها في بداية مشواره نحو الإبداع، لأن الحديث عنه في تلك المدة يعد عائقاً في سبيل تحقيق المجد والتغني بالانتصارات

ينفع نوح ولا ترنم، لأن صوت الحمامة المبنى على النواح خلق ليزيد في التفكير فيه، ولا يشكل أي معنى لموت أو حياة، أما الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث التي مثلت واقفاً أديباً في شهادتها على الموت بعد أن واجهها الاكتئاب، وكانت ترويه كأنه أشودة للحياة الأخرى، فالوصول إلى كمال المرأة - وليس جمالها الذي سينتهي في حياتها - هو غاية الوصول، فتقول في قصيدتها "الحافة": (أدركت المرأة كمالها أخيراً / جسدها الميت/ يحمل ابتسامة التحقق/ وهم قدر إغريقي/ ينساب بين طيات ثوبها / قدمها العاريتان كأنهما تقولان/ كثيراً مشينا، كفى)، وقد كتب محمود درويش جداريته على أنقاض التفكير بالموت في حالته المرضية، التي فرضت على أوتار ديوانه إيقاعاً خاصاً بمواجهته مواجهة شرسة لإثبات الأنا، أما على سعيد الرواية فما أن يشرع الروائي في رسم الخطوط الأولية لروايته حتى يعود في تأمل نهايتها المناسبة لحياتها التي أوجدها بفكره، غير أن الروائي الحاذق هو من يطرح الموت بسردية عالية مع تمام تام للأحداث وفق ما يقتضيه المأل، وليس من يخلق الموت للتخفيف من عبء السرد فيحاول إنقاص شخوصه وإزاحتها بعد أن تعددت السطور والأوراق التي خدمت روايته فينكر جميل شخصية ما صنعت الأحداث بفرضه عليها، فلا ينبغي له

غير أن الروائي الحاذق هو من يطرح الموت بسردية عالية مع تمام تام للأحداث وفق ما يقتضيه المأل، وليس من يخلق الموت للتخفيف من عبء السرد فيحاول إنقاص شخوصه وإزاحتها بعد أن تعددت السطور والأوراق التي خدمت روايته فينكر جميل شخصية ما صنعت الأحداث بفرضه عليها

أن يجد في الموت ملاذاً للخلاص، بل أن يتخذ عنصرًا فعالاً في تبجيل الرواية لكسب عقلية القارئ، ونرى في أعمال فرانز كافكا مثلاً على الاهتمام الوجودي به، وما يعترى النفس من حالات الإنطوائية والتوقع حول الذات في مواجهته - رغم حكمه عليها بالموت حرقاً - كروايته القصيرة التحول (المسخ)، ونرى في المسلسل الإيطالي "اعترافات زينو" عام 1966 م المأخوذ عن رواية للكاتب إيتالو سفينو ما يحاول إبقاءه على طبيعته، لتدور الأفكار حوله بخطوط بيانية طبيعية تبدأ من لحظة الولادة، فيعلو السهم ويرتفع، ثم يدنو ويهبط في مرحلة الضعف والموت، مما يشكل قصر الحياة، ويخلص إلى نتيجة لا جدواها، لكنه يعود يفعم صفحات الرواية عبثاً شديداً كما في "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي التي تبدأ بفقد البطل لأحد أطرافه في ظاهرة تمثل الموت الجزئي لعنصر رئيس في الرواية، التي لا تلبث إلا أن تتوسع دون التفكير بمحاكمة الجاني (الكاتب)، الذي بزخ الموت في وجوه تلك الشخصيات كأغاثا كريستي، التي ارتكبت أكثر من ستين جريمة في رواياتها.

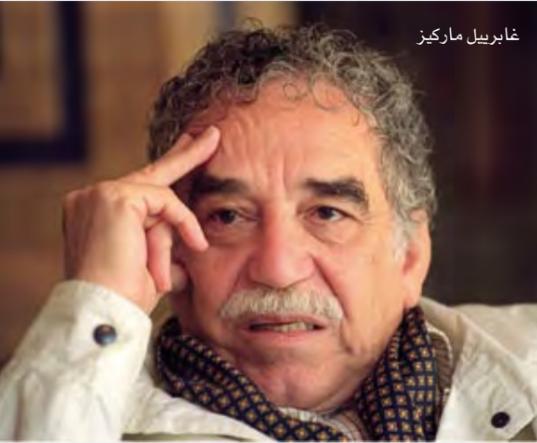
أطلق الناقد الفرنسي رولان بارت فكرة موت المؤلف لبلورة منظور جديد من البنيوية القائمة على عزل النص عن ظروف إنتاجه، فما وجدناه من أضاء بعد مضي عام من العزلة الأدبية والرحيل المدوي لشخصيات أهبنتنا أشعارهم، وأثارتنا أفلامهم، وطافت بأروقة الصفحات أنظارنا باحثين عن عقلية مبدع أغنى الأدب العالمي بنماذج راقية من المشاعر والأحاسيس والانفعالات التي تجسدها في يومياتنا، وإن كانت القضية النقدية موت المؤلف ضمناً كيف سيكون المشهد بعد وفاته الفعلي، وهل ذنبنا كقراء أننا عشنا معهم؟

عام 2014 كان أكثر الأعوام دموية في رحيل الأدياء، فقتضى نحبه عدد كبير منهم على فترات متقاربة، وتساقطت أوراق غالبيتهم في تشرين، رحل "غابرييل غارسيا ماركيز" تاركاً أعواماً من عزلته المئة، ورحل "أنسي الحاج" رائد قصيدة النثر العربية، ورحل "سعيد عقل" بعد قرن من الإبداع، ورحل شاعر الرواية العربية "محمد ناجي"، ورحلت قيامة فلسطين التي ستخرج من صورتها ذات يوم رحل "سميح القاسم"، ورحل "سيفريد لينز" في دقيقة من الصمت، ورحل صاحب طرب هذه ليلتي "جورج جرداق"، وما يكاد العام يلفظ

عام 2014 كان أكثر الأعوام دموية في رحيل الأدياء، فقتضى نحبه عدد كبير منهم على فترات متقاربة، وتساقطت أوراق غالبيتهم في تشرين

أنفاسه الأخيرة، حتى رحلت صاحبة ثلاثية غرناطة في جزئها الأخير "الرحيل"، رحلت رضوى عاشور، ولعلي لم آت على ذكرهم مرتين لهول الرحيل، وقد كررتها لفظاً ومعنى، لأنهم شكلوا تراثاً فريداً ونتاجاً عظم بيانه عند جمهور القراء والمتقنين، فأفردت لكل منهم كلمة الرحيل للتعبير عن وقع مدو، وخبر تجاوز الأسماع ليخاطب الوجدان الثقيل في مرحلة يكتنفها الحزن على الأنساق المخلفة لهؤلاء الأعلام.

لعل القضية التي تنشأ بعد رحيل الأديب هي سياسة تكريمه بناء على الواقع الذي قدمه وتأثيره في المجتمع، ولا يعد ذلك من باب (البرستيج)، لأن هذه الشخصية قضت إلى حياة مختلفة تماماً عن عالم مادي، وإن تعلق الأمر بالأحياء فتجيب محفوظ رفض مكافأة جائزة نوبل ومنحها لزوجته كي تتصرف بها، كما رفض عباس العقاد جائزة الدولة التقديرية لأنها تضعه في خانة تحد من إبداعه، مع الأخذ في الحسبان المفارقة الشاسعة بين التكريم في الغرب والعرب للأدياء، فهما تعددت أشكال التكريم في بناء التماثيل ووضع الصور على العملات والطابع ذات المظهر الغربي أو تسمية اسم شارع باسم ذلك المبدع في التقاليد والأعراف العربية، فإنها لا تحو منحى ثقلياً تبرز الخوف على تراث الأدب العالمي لفقد قلم قد لا يتكرر إنتاجه، وظاهرة قد تمحي معالمها في إطار مدرسة نقدية جديدة تدعو إلى التجديد في مرحلة تطلق على نفسها ما بعد بعد وبعدها بعد الحداثة، ومهما اختلفت الطرق المتبعة في إقامة حفلات التكريم الغربية والعربية في إيجاد بيئة حية للإبداع يقوم على أساسها شكر الأديب على صنيعه، وتوفير الصيت الأفضل له خاصة مع سرعة تأسيس المؤسسات الثقافية، التي تأخذ على عاتقها تكريم أديب/ة بناء على جهد روائي واحد أو قصيدة مترفة استطلت شعورها بظل مسابقة ثقافية مادية، وهذا يقودنا نحو حقيقة بناء أنطولوجيا لكيان ذلك المبدع تقديراً لنشاطه الإبداعي يتناسب وحجم إنتاجه وتنوعه في خدمة الأدب باعتباره مفهوماً عالمياً وليس قومياً ضيقاً، والمعنى الحقيقي لذلك التقدير هو إعطاء المبدع حقه من التقدير ثقافياً كي لا يعيش في حالة من الاغتراب المنهج فيظن الذين سيأتون من بعدنا أن ماركيز كان لاعب كرة قدم أو رضوى عاشور كانت نائبة معارضة في إحدى البرلمانات العربية، حري بنا أن ننظر للتكريم كرسالة شكر وتقدير ثقلياً وليس كواجب عزاء بيروقراطي يقودنا إلى أعوام من العزلة بعد هذا الرحيل المدوي.



غابرييل ماركيز



سميح القاسم



سعيد عقل



محمد ناجي



جورج جرداق



رضوى عاشور



أنسي الحاج



حين يجتمع الإيديولوجي والجمالي في القصة! سيميائية العنونة للقصة لدى سعيد تقي الدين

إن الأسلوب، كما عرّف، هو طريقة استعمال اللغة استعمالاً خاصاً وفريداً مختصاً بكتاب ما، من خلال اختيار مفرداته وصياغة عباراته وصوره؛ وذلك، لإحداث أثر ما في المتلقي واستمالاته، أو إقناعه... ما يعني أن للأسلوب بعداً سوسيوولوجياً. خلف العنوان، والأسطر الأولى، والكلمات الأخيرة، وخلف بنية النص القصصي الداخلية، ثمة منظومة من الإحالات المرجعية والجمالية. باعتبار "الأسلوب قائماً في مجمل العلاقات، وفي التكافؤ والانسجام والتناسب بين الأبنية الكبرى والصغرى". بحسب رومان جاكوبسون R. Jakobson.

فما الذي يميّز أسلوب سعيد تقي الدين (1904-1960)؟ وما الذي يجعل الجمال فيه جميلاً بدءاً بالعنوان - العتبة الأولى للنص القصصي؟

وفق نظرية ابن طباطبا (في كتابه عيار الشعر) فإن الطرب المتأني عن "الفهم" أشدّ إطراباً من الفناء.

ثمة من أولى العنوان أهمية بيّنة في مقاربة النصوص، منهم جينيت G.Genette الذي حدّد وظائف أربع أساسية للعنونة، وهي: الإغراء، والإيجاء، والوصف، والتعيين. ويضيف جميل الحمداوي إلى ما تقدّم وظيفة تناصية. كما وصفه جاكوبسون بأنه عبارة عن «رسالة مستنّة بشيفرة لغوية ذات وظيفة شاعرية أو جمالية قابلة للتفكيك والتأويل بلغة واصفة». أو بأنه مسند إليه والخطاب النصي بأفكاره مسند، كما يرى جون كوهن J. Cohen.

ليس بعيداً عن هذه التصوّرات، نرى أن سعيد تقي الدين يختار عناوينه مؤثرة ودالة. ودلالة عناوينه أرادها أن تكون ليس من طريق الكشف والإيضاح، إنما عبر الاستنطاق والتأويل. حيث يقول: «عنوان القصة يجب أن يكون، عدا عن جماله، لغزاً... وحادراً أن يفصح عنوانك قصتك». شرطان جدليان إذاً، في العنونة: الجمالية والغموض.

من هنا، تأتي أهمية فك الشفرات الجمالية

والإيديولوجية لعناوين المجموعات القصصية الأربع لديه: الثلج الأسود (1946)، موجة نار (1948)، غابة الكافور (1951)، وربيع الخريف (1954).

أ- الثلج الأسود:

البنية العميقة لهذا العنوان تكشف عن علاقة تناقض وتناظر بين الموصوف وصفته. وفي العرف الاجتماعي، بات الثلج - الأبيض - رمزاً للطهر والنقاء، لفعله التطهيري للطبيعة، وفي توليداته - بما يتركه في النفوس البشرية - من معاني السكينة والدعة؛ وما يحيل إلى أفعال التضامن الاجتماعي حين يحلّ وأينما يحل. فتبرز المعاني الإيجابية لهذه اللفظة. إنما باقترائها بالسواد، يقع اللبس واللامعقولية واللامنطق السببي. إلا أنه يظهر التحول من الإيجاب إلى السلب، لأن السواد في جوهره مجموعة من اللآات: اللالون، اللانور، اللارؤية البصرية. وهو علامة رمزية - عرّفية، تشير إلى الظلمة وانحجاب الرؤية، وانسداد الأمل، مع كل ما يوئده من مشاعر بالفزع والوحدة والانكفاء، وما يُستخدّم لوصف الفساد والظلم... فالسواد إذاً، ينفي البياض، ونفي "اجتماع الألوان الأساسية" في تشكيلها للابيض ينتج عنه "انعدام اللون" الذي هو الأسود. وهذا ما يعدل بنية النص القصصي الموسوم بالتحول القيمي على المستويين الاجتماعي والسياسي.

الثلج الأسود صيغة مجرّدة ومكتمّة، قلقة، وسوداوية - بما توسم به من مدلولات للونين المشفرين اجتماعياً وسياسياً - في حركتها من البياض إلى السواد، من السكينة إلى السكون، من النقاء والطهر إلى الظلمة والمجهول. عنوان يحمل في طياته هذه الدلالة للتحول في الوضعيات والمفاهيم في القصص، ويرسم خط النهايات المأساوية أو التشاؤمية. وهذا التناظر يثير السخرية أيضاً، معنى ذلك أنه محمّل برؤية نقدية لاذعة ترصد التحول وتهزأ به، ومحدّرة من مغبّة الانعزال وفعل العزل ورفض التعددية والاختلاف المفضي إلى العدم.

ب- موجة نار:

مركب إضافي نكرة، يضمّ عنصرًا من عناصر الطبيعة، ومن مكونات الوجود بحسب الفلسفات القديمة، وهو النار؛ موسومة بلفظة تختصّ بعنصر طبيعي آخر هو عنصر الماء: "موجة". وبحسب تعيينها المعجمي، هي ما ارتفع من الماء على سطحه وهاج واضطرب. والنار برموزيتها تحمل مدلولات متناقضة. وهي لهيب وإشعال وتدمير، ومصدر نور وإشعاع ودفء. كما توسّم العواطف الإنسانية المتباينة بها عبر الانزياح. من حب ملتهب واندفاع وحمية، وعنفوان وحماسة، وغضب. والموجة، بمعناها الضمني، هي "الصحو" التي تهزّ الكيان وتثير حواسه، وتوقظه. هذه التعددية في الاحتمالات، تضي على العنوان جاذبيته وقوته التأثيرية. فهو عنوان انفعالي بامتياز، بوصفه "ملفوظة حالة" تحيل إلى الذات البشرية، وحرّكي مندفع. يأتي تارةً، على كل شيء بطريقه، وطورًا ينير ما أظلم في خبايا النفس. عنوان مكثّف وكاشف في عموميته وتكثيره وتجريده، يفترض حركة مرسومة من السلب إلى الإيجاب ابتغاء التغيير والتحوّل نحو الأفضل.

ج- غابة الكافور:

يحمل هذا العنوان دلالة التعيين في إشارة إلى مكان بعينه، إلى عنصر طبيعي خيّر هو الأشجار عندما تتكاثف مشكّلة غابة. والكافور هو شجرة أريجية/ من فصيلة الغاريات، أوراقها دائمة، وأزهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة. يُستخرج من الكافور مادة عطرية. والغابة هي الطبيعة البكر في مدلول أول، وربما تتدخّل يد الإنسان في تشكيلها عن طريق الزرع والفرس والعناية، وهي أفعال إيجابية مُنتجة. فيتواءم العمل الإنساني مع الناموس الطبيعي، فلا تناظر بين الطبيعة والثقافة، إنما تلاؤم وانسجام. والغابة بمفهومها الإشاري، تحيل إلى علاقة احتواء واحتضان في بُعد أول، وعلاقة شعورية بالغموض والدهشة الأولى حيالها وإيجاء بالفطرة والعزلة في أبعاد أخرى. غابة الكافور عنوان ترميزي يغلب فيه العنصر الطبيعي والبكارة، والحنين إلى العودة إلى زمن الفطرة. يشيع جواً عطراً مستمداً من رائحة الكافور المسكّية. كما يوحي بالتكثير والإخصاب والانتشار في تعادل دلالي بنيوي - فونيمي، بتكثير المد في لفظيته، فيضفي سحرًا بمؤثراته البصرية والشمية والشعورية، من خلال تراسل الحواس في بنيته.

د- ربيع الخريف:

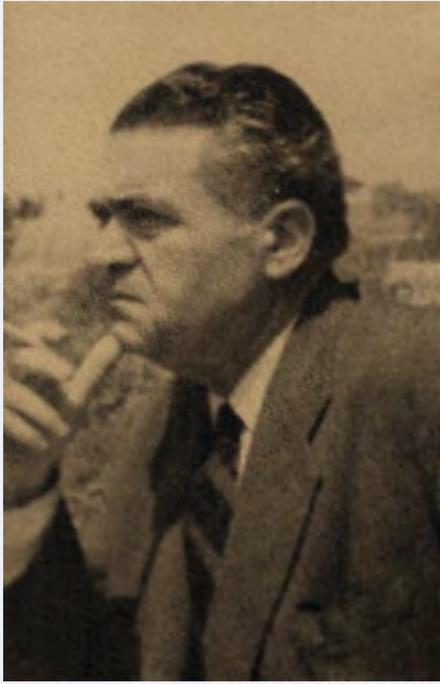
يجمع هذا العنوان ظاهرتين زمنيّتين طبيعيتين، تحيلان إلى دلالة تحويلية تأثيرية متناقضة. وفي الوقت عينه، ثمة تماثل بين الانقلابين اللذين يميّزان المناخ المعتدل. فالانقلاب الربيعي هو تحوّل من قسوة في الطقس إلى اعتدال فيه، كما الانقلاب الخريفي يؤثر في تغيير المناخ من التطرّف إلى الاعتدال. والربيع هو ولادة جديدة لعناصر الطبيعة، يحمل دلالة العودية وصخب الحياة

والإخصاب، والأمل بترميز لحالة الإنسان، إذ يحاكي الطبيعة ومظاهرها في هذه المرحلة الزمنية. والخريف، على النقيض من ذلك، يمثّل حالة الكهولة والاندثار والتناثر؛ ويرمز إلى نهاية المطاف من عمر الطبيعة، كما بالنسبة إلى عمر الإنسان تمثيلاً. غير أن الفجاءة والغرابة تكمن في إضافة الربيع إلى الخريف. وهكذا تكون حركة هذه المرسلّة بين نقطتين معلومتين - بداية ونهاية - في خط تصاعدي متنام. فهذا المركّب المشفّر بأبعاده الزمنية والتماثلية يحيل حكماً إلى حالة - وضع، فيحمل تالياً مدلول بداية النهاية، وهنا مكمن الجمال. ربيع الخريف عنوان الأمل والنهوض واليقظة، يتضمّن دلالات ثقافية/ موضوعية وشعورية/ ذاتية، يحجب بتكثيفه المعاني ويكشف برموزيته المعلومة.

من هنا، فإن العناوين الأربعة تتضمّن عناصر وظواهر طبيعية، ما يحيل إلى مذهب الرومانسية القائل بالعودة إلى الطبيعة، بعد إعلان التمرد الفردي والثورة على الواقع. إنما هذه النزعة الفردية تعبّر عن شعور إنساني ذاتي وعام في الوقت نفسه، أي أنها محمّلة برؤية شخص تخطى فرديته في نزوعه الإنساني الثوري. كما أنها مزيج من ألوان متباينة وحائرة في تشكيلة من انزياحات هذا التآزر الحسي، أو ما يُسمّى بتراسل الحواس يضي حركة ودينامية على هذه "النصوص الموازية" - أي العناوين.

وهي، إذا جُمعت معاً بحسب تسلسل ظهورها الزمني، في تدرّجها الدلالي - من نقد ساخر لوضع يتحدّر في تحوّل، إلى دلالة واصفة لحالة الصحو والغضب، فألى إحالة مكانية من الفطرة والإخصاب والاحتضان، ومن ثم إلى دلالة زمنية تحويلية ناهضة - تنمو في مشهد تصاعدي درامي لتروي حكاية. حيث إن الوضع الأول في لحظة مفارقة، إيجابي؛ والوضع الأخير لدى التحوّل النهائي إيجابي مع كل ما يمرّ به المشهد من كوص وارتداد، فثمة ومن ثم ثورة وانتفاضة براغماتية من أجل تصحيح الأوضاع. هذا التماهي المُحكّم بين دورة الطبيعة ومراحلها، وحياة البشرية وصعود الحضارات وانحدارها / العمران البشري، يبرز تكتيكاً أسلوبياً مؤثراً لدى الكاتب ويظهره بناءً بارعاً، بل لغوياً يتنقل بين لعبة الإخفاء ولعبة الكشف.

حمل سعيد تقي الدين السخرية شعاراً حكماً يسرّبه إلى ما يكتب ويصوّر، وهو القائل: «إن السخرية حكمة لأنها تفلسف الحياة قوة إذ هي تستخفّ بكل قوة... والحياة وقد أخصبت في نفسي تجاربها وأهوالها وأخطارها، نعيمها وجحيمها، ما تركت في نفسي إلا الهزء بنفسي وبكل ما مرّ بي ومنّ مرّ بي». فتقاطع إذ ذاك، الفني والفكري في أدبه القصصي، فحفل بالجمالي، ولم يستطع الإيديولوجي إقصاء الشاعرية عنه. وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على قدرة الكاتب على بناء القضايا الشخصية والوجودية - العامة - بناءً أدبياً.



سعيد الدين تقي

في العرف الاجتماعي، بات الثلج - الأبيض - رمزاً للطهر والنقاء، لفعله التطهيري للطبيعة، وفي توليداته - بما يتركه في النفوس البشرية - من معاني السكينة والدعة؛ وما يحيل إلى أفعال التضامن الاجتماعي حين يحلّ وأينما يحل. فتبرز المعاني الإيجابية لهذه اللفظة. إنما باقترائها بالسواد، يقع اللبس واللامعقولية واللامنطق السببي.

إن العناوين الأربعة تتضمّن عناصر وظواهر طبيعية، ما يحيل إلى مذهب الرومانسية القائل بالعودة إلى الطبيعة، بعد إعلان التمرد الفردي والثورة على الواقع. إنما هذه النزعة الفردية تعبّر عن شعور إنساني ذاتي وعام في الوقت نفسه، أي أنها محمّلة برؤية شخص تخطى فرديته في نزوعه الإنساني الثوري.



في مفهوم التناص



رشيد الخديري - المغرب

جهة أخرى، فمن مصطلح " السرقة الأدبية"، الذي شاع في الشعرية العربية القديمة، مروراً باصطلاحات " عصر النهضة" كالتقليد والمحاكاة كنوع من التراجع عن "قدحية" مصطلح " السرقة"، ووصولاً إلى اصطلاحات أخرى بدأت في الانتشار والتداول على نطاق واسع مع التحولات التي شهدتها القصيدة العربية مع رواد الشعر الحر" في مطلع خمسينيات القرن الماضي، ك" توظيف التراث"، " والنص الغائب"، وأخيراً " التناص".

فهذه العودات المستمرة إلى التراث الإنساني، - وإن اختلفت التسمية- ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة الثقافية العربية، سواء كمصطلح " تهجيبي" - سرقة- أو كمصطلحات أكثر مرونة وتهذيباً مثل "العلاقات النصية" أو " التناصات"، وإن كان مصطلح " التناص" أكثر ملاءمة لطبيعة الافتراض الشعري، إذا سلّمنا -ضمنياً- بأن حتمية السيرورة تؤمن بمبدأ " لا نص يُولد من فراغ"، صحيح، أن " التناص" له أصول غربية، مرتبط ب" ثورة النص" عند النقاد الفرنسيين أمثال " جوليا كريستيفا" و" رولان بارت" وجماعة " شعر"، إلا أنه ظهر عند العرب كتعبير اصطلاحى، ثم أخذ في الانكماش والتراجع نتيجة " الثورات" في مفهوم النص، وانتقاله من المعنى الواحد إلى معنى متعدد، حافل بالإشارات والرموز، وهذا ما يُفسّر طاقاته التفسيرية- الانفجارية- في التفاعل مع غيره من النصوص الأخرى، وقد أشار سعيد علوش في كتابه " المصطلحات الأدبية المعاصرة" إلى مجموعة من التعاريف لمفهوم التناص عند النقاد الغربيين، فبارث مثلاً يعتبر أن " أهم قانون يميز التناص لانهائيته"، ثم ميشيل فوكو يرى " بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيراً آخر، ولا وجود لما يتولد من ذاته، بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة، ومن توزيع للوظائف والأدوار"، في حين يرى سولير أن " التناص في كل نص يتموضع في ملتقى نصوص كثيرة بحيث يعتبر قراءة جديدة"، ليخلص سعيد علوش في النهاية إلى تعريف شامل له، وهو أنه " يُكوّن طبقات جيولوجية كتابية تتم عبر إعادة استيعاب غير محدد لمواد النص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي عبارة عن تحويلات لمقاطع مأخوذة من خطابات أخرى داخل مكون إيديولوجي شامل"¹.

إن النص الشعري- أي نص- هو أولاً وأخيراً كتلة من

الأصوات المندغمة بعضها مع بعض، أو بمعنى آخر هو شبكة تلتقي فيها عدة نصوص، تكون بمثابة ذاكرة معرفية وثقافية للشاعر، تظهر في كتاباته علناً أو سراً، وعياً أو لا وعياً، برغم ما قد يُقال من ثبوت جنائية " السرقة" تستوجب محاكمة كفاوية، أو أن هذا الأمر مقبول ومحمود جمالياً، ك" بنية محتجبة" داخل النص الشعري كتبرير لهذه الآثار الخفية كما يشير إلى ذلك رشيد بنحدو²، والواقع، أن هذه " البنيات المحتجبة" داخل كل نص شعري، تظهر وتختفي كتغلب محمد زفراف، تعيب وتحضر في تشكيل كل النصوص الأدبية مهما بلغ شووها، لأن تدخل ضمن أولويات التلقي، وشرط من شروط الكتابة، تتحصن بالذاكرة الثقافية والجمالية لكل شاعر، ومع ذلك فإمكانية الانفجار تختلف من شاعر إلى آخر، بتنوع روافده وخلفياته ودرجة تمثله للأشياء والقدرة على التخيل والفوس في السرايد السفلي للذات، ثم نقل تلك الشحنات الوجدانية إلى معاني ودلالات على أساس الامتناس" كأعلى درجة من التناص الشعري، ومهما يكن، فالتناس لا يفقد النص الشعري "صوته الخاص"، بمعنى آخر، تفاعل النص مع النصوص الأخرى لا يفقده جماليته وشخصيته، لكونه كتابة إبداعية جديدة، مغايرة لتلك النصوص الأخرى، ثم أن ذلك التفرد لا ينطلق من فراغ، أو من الداخل فقط، بل هناك خارج يفرض ذاته كمرجعية، يتصادى مع الداخل، يحدده، ويؤثر فيه، وصفوة القول، فوجود النصوص الغائبة في النص الشعري، يكتسي طابع التكيف مع البنيات الأسلوبية والبلاغية و الدلالية لباقي النصوص، لكون العلاقة بينهما علاقة مركبة وعميقة، وتحتاج إلى جهد جهيد من أجل اكتشاف أبعادها وسبر أغوارها، وهذا لا يتم بمعزل عن الإحالة إلى نص سابق أو عدة نصوص محتجبة وراء بنيات وشفرات مضمرة.

هوامش:

1- للتوسع يمكن مراجعة كتاب "المصطلحات الأدبية المعاصرة"، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبيريس، البيضاء، ط 1، 1985، ثم كتاب " ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب" محمد بنيس، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط 2، 1985.
2- راجع مقال "كشف المستور وما تحت السطور"، عن البنيات المحتجبة في النص الشعري، رشيد بنحدو، مجلة الرافد، يوليو 2014، ص 61 - 64.



في البدء كنت أغنيتي و ملحمتي...

يوم انتظرت على روابي المنتهى
دقات ناقوس الحضور،
ونبوءة النجم البشير،
ومواكب الطير المهاجر..

* * *

فأعود
أجتري اللججات الرزينة
في ذيول القهر والتغريب..
تتكسر المجاديف الهزال،
والعوم يسعفني..

* * *

فأراك
أسفرت النهار لكوكب ثان
من قبل يا ذا الحب دوما
كنت أغنيتي،
و ملحمتي..

* * *

أهديته القيثارة
لا يهوى الغناء
لم يحسن العزف الضريد
فمزق الأوتار...

* * *

حاورت فيروز السواحل والمحيط

الشك سيدتي
بلا عنوان ..
فكتابك الممزوق /
أخيلة الصبا /

آهات طائر الجريح،
وحكاية الحظ المخادع..

* * *

يا ليتني عانقت فيك بواكر
الأحلام
في مهد الربيع
قبل الأوان..

يا ليتني أحرقت أوراق الرزينة
بالشعاع المجتلي في صدري
المحروم
في ذاك الزمان..

* * *

في البدء يا ذا الحب حقاً
كنت أغنيتي
حط الغياب على مشارق وجهك
السّمح،
فتشقت رائحة الجزائر والمدن
كي أشتي فيها رواحك
التي أدمنتها..

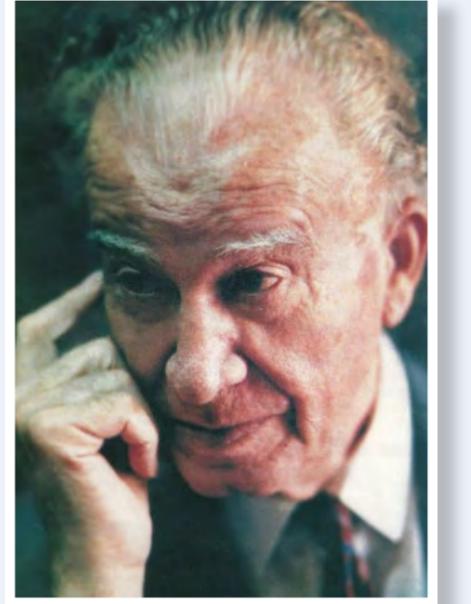
حاورت فيروز السواحل والمحيط



شعر

عباس محمود عامر - مصر

عمر أبو ريشة .. الشاعر الدبلوماسي



عاد والد عمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى حلب وأقام فيها. وكانت عائلته قد سكنت في عكا طيلة سنوات اعتقاله. وفي عكا أتم عمر أبو ريشة تحصيله الابتدائي ثم انتقل إلى حلب ثم انتقل إلى المدرسة النموذجية الابتدائية.

يتحدث عن جانب مهم منها، هو جانب الصوفية، فيقول: «عالم من الأنوثة زاخر بالحب مضيء بالبرقة والحنان. غلبت عليها النزعة الصوفية، تشعر بالألم فتغني بصوتها الرخيم لتبدي الأمل. أحببت من الشعراء المتصوفين علي وفا وبحر الصفا وعبد القادر الحمصي وحسن الحكيم». ويضيف: «لقد اتسع حديثها دائماً للحب المحدود والحب المطلق للذات الكبرى، وعلاقة الإنسان بها».

ومما هو جدير بالذكر أن أم عمر كانت تروي الشعر وبخاصة الشعر الصوفي.

وقد عرف عمر أبو ريشة التصوف منها، وكذلك أخذ عنها نظرتة إلى الدين والحياة والحب، وكذلك مفهومه للتصوف، وكلفه بالجمال، وصدافته للموت.

يذكر عمر أن والده ألحقه بعد عودته من المنفى بمدرسة النموذج الابتدائية في حلب. كما يذكر سامي الدمان أن عمر التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1924، وكان عمر التلميذ يُعزف بالخطيب والشاعر والمؤلف المسرحي قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره.

وكان من بين أساتذته الجامعيين بعض فحول اللغة العربية آنذاك مثل أنيس المقدسي وجبرائيل جبور، فاستفاد منهم كثيراً، حتى إنه بدأ يكتب الشعر مقلداً

شعراء الجاهلية والعصر العباسي، وبخاصة في شعر المديح والاستجداء والتقليد. وفي هذه المدة الزمنية من حياته كان يقرأ التراث الأدبي القديم بنهم واستيعاب فاستقامت لغته وبدأت أدواته التعبيرية تتجه نحو الإبداع والخروج عن إطار الموروث عبر التجديد والتحديث.

كما أدرك أبو ريشة الشعراء الثلاثة الذين أنجبهم الجامعة الأمريكية، وهم "إبراهيم طوقان"، و"حافظ جميل"، و"وجيه البارودي" عن طريق الندوات التي كان يجتمع فيها إليهم أو عن طريق إدراكه لآثارهم أو بقايا شعرهم الغزلي المشترك.

حاول الأب أن يثني عمر عن الشعر والأدب فأرسله إلى إنكلترا سنة 1929. ليدرس كيمياء الأصباغ والنسيج في مانشستر، لكنه على ما يبدو انصرف إلى الشعر يقرأ عيون الشعر الإنكليزي، وعلى الخصوص شعر شكسبير، شلي، كيتس، ميلتون، تيسون، براونينغ، بو، غراي. كما أنه درس بودلير بوصفه شاعره المفضل، بالإضافة إلى بو.

عاد عمر إلى حلب في سنة 1932 واستقر فيها ودخل معترك السياسة فانتفى إلى (الشباب الوطني) الذي كان فرغاً من الكتلة الوطنية التي ضمت عدداً من كبار السياسيين السوريين المطالبين بإنهاء الانتداب الفرنسي.

غير أن انضمامه إلى الشباب الوطني لم يطل، إذ خرج من هذا التنظيم سنة 1936 بعد رفضه للمعاهدة المنقوصة التي وقعها رجال الكتلة الوطنية مع الفرنسيين.

ولم ينتم إلى أي حزب بعد ذلك. لكنه تحول إلى الشعر الوطني والقومي مهاجماً الاستعمار، محرّضاً الجماهير.

وعن بدايته الشعرية وتأثره بوالديه في طفولته فيما كانا يتلوانه من الشعر الصوفي. وهو يقول في ذلك: «في البيئة المتصوفة، حيث نشأت، أتيت لي الإصغاء، وأنا بعد طفل إلى أناشيد لم أكن أسمع مثلها في غير تلك البيئة، فأرددتها برفقة أهلي، وأصدقاء أهلي، دون أن أدرك أبعاد معانيها».

كان الشاعر قد بدأ بعيون الشعر العربي ينهل منها ويتمثلها، إلا أن مصدرها جديداً أغنى ثقافته أثناء إقامته في بريطانيا، وفي هذا نسمة يصرّح: «خلال إقامتي في بريطانيا، أتيت لي مجال التعمق في دراسة الشعر الإنكليزي بصورة خاصة والشعر العالمي بصورة عامة».

والمصدر الأخير الذي يشير إليه د. جميل علوش، فهو تجربته الدبلوماسية التي جعلته على احتكاك بعدد من الأمم والشعوب، مما هيا له مناخاً ليطلع على لغات جديدة، ويذكر البعض أنه كان يتقن ست لغات أو أكثر، وأنه كان يرفض قراءة الشعر مترجماً، فيصر على قراءته بلغته، ومن ثم مكنته هذه اللغات الكثيرة التي أتقنها أن يطلع على إنتاج أدبي وافر ومتنوع.

انتخب عمر أبو ريشة في المجمع العلمي في دمشق سنة 1940. وعين في السنة نفسها محافظاً لدار الكتب الوطنية في حلب. وفي سنة 1942 حكمت عليه السلطة الفرنسية بالإعدام بسبب قصيدة عنيفة هاجم فيها المستعمر. وكانت القصيدة في رثاء صديق أعدمه الفرنسيون.

التحق عمر أبو ريشة بالسلك الخارجي السوري سنة 1949 وعين سنة 1949 مفوضاً في البرازيل، ثم نقل بعد ثلاث سنوات إلى الأرجنتين، ومنها إلى الهند سفيراً، ومنها نقل إلى فيينا فواشنطن، وأعيد مرة ثانية إلى الهند سنة 1964.

وعن تجربته في احتكاكه بالأمم والشعوب وأثرها في ثقافة الشاعر من جهة وشعره من جهة أخرى، ما يذكره أ. عبد الإله الملاح: «كيف كانت الحكومات البريطانية في الهند تقفل معابد كاجورا في وجه العامة، بدعوى فحش منحوتاتها وانحطاط تماثيلها، إلى أن استطاع سفيرنا أبو ريشة في الهند إقناع السيد جواهر لال نهرو، رئيس مجلس الوزراء هناك، بفتحها أمام جماهير الفنانين والمتفرجين، وكيف تمت بعد ذلك تسمية إحدى القاعات فيها باسم عمر أبي ريشة اعترافاً بفضله».

أحيل سنة 1971 على التقاعد، وجعل بيروت مقراً له، ولكن تفاقم الأحداث فيها حال دون ذلك، فسكن مدة في دمشق، ثم انتقل إلى الرياض في المملكة العربية السعودية. حصل الشاعر الكبير عمر أبو ريشة على أوسمة من البرازيل، الأرجنتين، النمسا، لبنان وسوريا، وآخر وسام ناله وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وقد منحه إياه الرئيس اللبناني إلياس الهراوي. وكرم في العديد من المؤتمرات العربية والدولية والعالمية.

توفي الشاعر عمر أبو ريشة في الرياض يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 1410هـ، الموافق 1990/7/14م بعد إصابته بجلطة دماغية، لزم الفراش على أثرها لمدة سبعة أشهر في مستشفى الملك فيصل في الرياض. وتم نقل جثمانه ودفن في مدينة حلب في سوريا. ترك عمر أبو ريشة شعراً مبعثراً في أكثر من جهة إلى أن جمعت قصائده في مجموعة كاملة في بيروت.

عودي

قالت ملئك . إذهب . لستُ نادمةً على فراقك .. إن الحب ليس لنا سقيتك المر من كأس . شفيتُ بها حقدِي عليك .. وما لي عن شقاك غنى ! لن أشتي بعد هذا اليوم أمنيةً لقد حملتُ إليها النعش والكفنأ قالت .. قالت .. ولم أهمسُ بمسمعها ما ثار من غصصي الحرى وما سَكنا تركتُ حجرتها .. والدفء منسرحاً والعطّر منسكباً .. والعمر مُرتهانا وسرتُ في وحشتي .. والليل ملتحفٌ بالزمهرير . وما في الأفق ومضُ سنا ولم أكد أجتلي دربي على حدسٍ وأستلينُ عليه المركب الخشنا حتى .. سمعتُ .. ورائي رجعَ زفرتها حتى لمستُ حيالي قدها اللدنا نسيتُ ما بي ... هزنتي فجاءتها وفجرتُ من حناني كل ما كمننا وصحتُ .. يا فتنتي ! ما تفعلين هنا ؟؟ البردُ يؤذيكَ عودي ... لن أعود أنا !

وداع

قفي ، لا تخجلي مني فما أشقاك أشقاني

كلانا مرّاً بالنعمى مرور المتعب الواني

وغادرها .. كومض الشوق في أحداق سكران

قفي ، لن تسمعي مني عتاب المدنف العاني

فبعد اليوم ، لن أسأل عن كأسِي وندماني

خذي ما سطرت كفاك من وجدٍ وأشجان

صحائفٌ ... طالما هزت بوحِي منك ألحاني

خلعتُ بها على قدميك حُلم العالم الفاني!

لنطو الأمس ، ولنسدل عليه ذيل نسيان

فإن أبصرتني ابتمسي وحييني بتحنان

وسيري ، سير حاملة وقولي كان يهواني!

يعد عمر أبو ريشة من كبار شعراء وأدباء العصر الحديث، وله مكانة مرموقة في ديوان الشعر العربي، وهو الإنسان الشاعر الأديب الدبلوماسي، الذي حمل في عقله وقلبه الحب والعاطفة للوطن وللإنسان وللتاريخ السوري والعربي وعبر في أعماله وشعره بأرقى وأبدع الصور والكلمات والمعاني.

ولد عمر أبو ريشة في 10 نيسان/ أبريل 1910 في عكا بفلسطين أثناء زيارة أمه لأهلها الذين كانوا يقيمون هناك. وكان والده شافع أبو ريشة يعمل قائم مقامًا للسلطات العثمانية في مدينة منبج السورية.

وعندما اكتشف الأتراك أن للوالد شافع اتصالات سرية مع الثوار السوريين مثل شفيق مؤيد العظم وشكري القوتلي وعبد الوهاب الإنكليزي اعتقلته وأرسلته إلى استنبول ليواجه محاكمة كانت ستؤدي حتمًا إلى إعدامه. إلا أن مفتي الجيش التركي الشيخ أسعد الشقيري والد أحمد الشقيري والمقيم في عكا تدخل لحماية شافع أبو ريشة بضغط من جد الشاعر الشيخ إبراهيم البيهقي.

رواية المحاكمة: الجميع مذنب¹

بقلم: ميلان كونديرا



ترجمة: د. سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

تقديم: كافكا ورواية المحاكمة

فرانز كافكا (1883-1924)، ولد في براغ وسط عائلة يهودية بوجوازية. أنهى، دراساته بالحصول على دكتوراه في القانون، ثم اشتغل في قطاع التأمين، لكنه سيكرس وقته الشاعر للكتابة. أنجز القسم الأكبر، من كتاباته باللغة الألمانية، لن تصدر إلا بعد وفاته، من بينها رواياته: أمريكا، المحاكمة، ثم القصر. على الرغم من رغبته التي أوصت، بحرق جميع مسوداته.

ترصد رواية "المحاكمة"، حكاية شخص اسمه "جوزيف ك" Joseph K.، اعتقل ذات صباح، بسبب جريمة يجهلها ولا يعرف عنها شيئاً. بعد نهاية وقائع المحاكمة، سيقتل مثل كلب.

نص روايتي، يبدو للوهلة الأولى عبيثاً، استمر دائماً في إثارة تأويلات جد متنوعة. قد يكون تليغاً، عن لا-إنسانية البيروقراطية، وتحذيراً من التوتاليتارية، أو تعبيراً مجازياً عن مناهضة السامية. بين هذا وذاك، سيتم النظر أكثر لرواية "المحاكمة" باعتبارها رافعة للمزاج العبيثي، بل السورياتي.

بالنسبة لميلان كونديرا، ف"جوزيف ك" ليس بريئاً ولا متهماً. ما يفصح عنه كافكا، من خلال هذه النزوة "فوق-الواقعية"، أن "الشعور بالذنب"، يشكل جزءاً من الوضع البشري.

2 - جوزيف ك"، بطل على غير المعتاد:

تراكمت صفحات عديدة حول فرانز كافكا، مع ذلك، بقي (ربما بالضبط نتيجة لهذا الكم الهائل من الصفحات) الأقل فهمًا من بين كل الكتاب الكبار المنتمين

للقرون الماضي. المحاكمة، روايته الأكثر شهرة، شرع في كتابتها سنة 1914، بمعنى عشر سنوات بالضبط، قبل صدور أول بيان للسورياليين، لم يكن له أدنى فكرة عن هاجس يتجاوز الواقع، لكاتب مجهول يسمى كافكا، ستصدر رواياته بعد مرور مدة على وفاته.

من الواضح، أن رواياته تلك التي لا تشبه شيئاً، ستظهر بمثابة نصوص خارج روزنامة التاريخ الأدبي، متوارية داخل حيز ينتمي فقط إلى مؤلفه. مع ذلك، وبالرغم من هذا التفرّد، فمستجداتها الجمالية، التي نضجت قبل موعدها، تعكس حدّاً لا يمكنه إلا التأثير (ولو متأخراً) في تاريخ الرواية. بهذا الخصوص، أخبرني ذات مرة غابريل غارسيا ماركيز، قائلاً: «لقد جعلني كافكا، أفهم أن رواية ما، يمكننا كتابتها بكيفية أخرى».

اختبر كافكا أبطال رواياته، بطريقة خاصة جداً، مثلما يمكننا ملاحظة ذلك بوضوح في "المحاكمة": لم يقل كلمة واحدة عن المظهر الفيزيائي ل"ك"، وحياته قبل وقائع الرواية، بل ولم يشر إلى اسمه، وجعلنا نكتفي منه بحرف واحد. في المقابل، سيركز كافكا كلياً ابتداء من الفقرة الأولى وحتى نهاية العمل، على الوضعية الوجودية لشخصية "ك".

تشير رواية "المحاكمة"، إلى وضعية متهم. اتهام، تجلّى أولاً بطريقة غريبة: شخصان عاديان جداً، يأتيان ذات صباح عند "ك" الذي لازال مستلقياً على سريريه، كي يخبرانه عبر سجل امتح حقيقة، أنه متهم وينبغي له أن يتوقع فيما يخص الاستقصاء حول حيثيات قضيته، مدة لن تكون هينة. سجل عبيثي، بقدر عجائبيته، لذلك

عندما قرأ كافكا هذا الفصل للمرة الأولى، على مسامع زملائه انتابهم جميعاً موجة من الضحك.

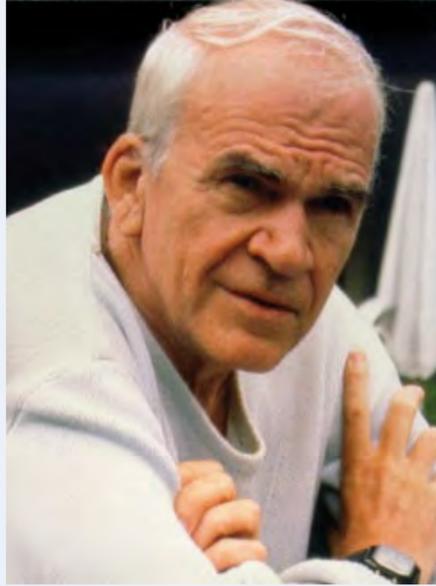
الجريمة والعقاب؟ أه لا، مفهومًا ديستوفسكي، لا مكان لهما هنا. وإن ظننا شراح كافكاويون، بمثابة التيمة الأساسية لرواية المحاكمة. ماكس برود، صديق كافكا الوفي، لم يكن له أدنى شك، بخصوص حضور خطأ مهول، يخفيه "ك"، معتقداً بأن الأخير، متهم ب"العجز عن الحب".

بدوره، "إدوارد غولدستوكر"، كافكاوي آخر مشهور، يدين "ك": «لأنه سمح لحياته، الاتصاف بالميكانيكية والآلية، وجعلها من ثم مستلبة»، فاعتدى على القاعدة: «التي خضعت لها البشرية قاطبة، وتقول لنا: كن إنساناً». أيضاً، التأويل الأكثر تواتراً - وأضيف كذلك أكثر بلاهة- هو تفسير لكافكا مخالف تماماً، يستند على مرجعية تستحضر "أورويل" تحسب أن: "ك" اضطهد، قبل الأدب، من طرف مجرمي سلطة توتاليتارية، موقف جسده مثلاً الإخراج السينمائي للرواية، الذي قام به أورسون ويلز سنة 1962.

لكن "ك" ليس بريئاً ولا متهماً. إنه شخص يشعر بالذنب، وهو وضع مختلف جداً. عندما أتصفح المعجم، أجد أن فعل: "أذنب"، قد استعمل لأول مرة سنة 1946، أما وصف "شعور بالذنب"، فتأخر تداوله كثيراً وبالضبط انتظرنا إلى غاية 1968. النشأة المتأخرة، لهاته الكلمات، يؤكد أنها لم تكن مبتدلة: تقهمن بأن كل شخص (إذا أمكنني أيضاً التلاعب بالألفاظ الجديدة)، هو مذنب، وأن الإحساس بالذنب، يشكل جزءاً من الوضع الإنساني. إذن، سواء بسبب طبيويتنا، التي تأبى أن ترح الضعفاء، أو نتيجة لجبننا الذي يتحاشى إثارة غضب من هم أقوى منا، فالشعور بالذنب، يصاحبنا باستمرار.

كافكا، لم يبلور قط تأملات مجردة، حول قضايا الحياة الإنسانية، لأنه رفض دائماً إنشاء نظريات، والقيام بدور الفيلسوف، بحيث لا يشبه سواء سارتر أو كامو. ملاحظاته الحياتية، تروم على الفور نحو تخيل شعري، وقصيدة نثرية.

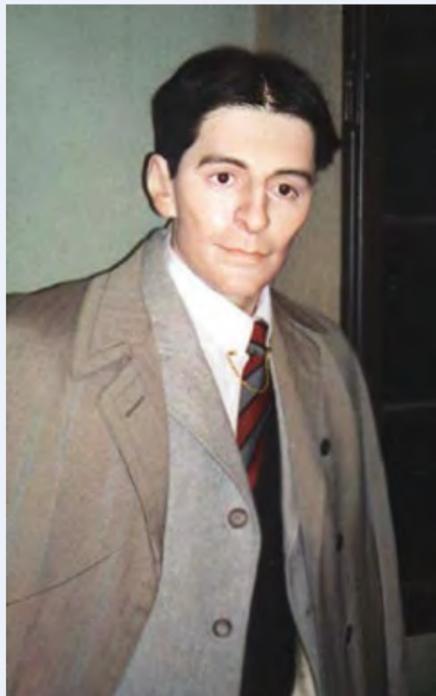
ذات يوم، استدعي "ك" هاتقياً من طرف مجهول، كي يحضر الأحد المقبل إلى إحدى منازل أطراف المدينة، بهدف إجراء تحقيق صغير معه. وحتى لا يعقد مجريات محاكمته، متوخياً عدم إطلالتها بدون جدوى، قرر الإذعان ومن ثم الذهاب مسرعاً، وإن لم تقبده الدعوة بساعة محددة. فكر أولاً، في ركوب التراموي، ثم تراجع ثانية عن الفكرة كي لا يتعرض لسخرية قضاته، بسبب



ميلان كونديرا

امتثاله الطيع جدا لدقة الموعد. لكنه في الآن ذاته، يتمنى عدم إطالة مسار محاكمته، هكذا شرع يجري ويجري ثم يجري، لأنه يريد المحافظة على كرامته، وإدراك الموعد في لحظته، مع أن ساعة الحضور غير محددة.

هذا التداخل بين الجسيم والطفيف، الكوميدي والمأساوي، المعنى واللا-معنى، سيصاحب النص الروائي، حتى صدور حكم الإدانة في حق "ك"، فتجلت إيسيتيقا غريبة لأمثيل لها، أبتغي حقاً تبين ملامحها، لكنني أعترف بعجزتي على هذا المستوى.



فرانز كافكا

المحاكمة، روايته الأكثر شهرة، شرع في كتابتها سنة 1914، بمعنى عشر سنوات بالضبط، قبل صدور أول بيان للسورياليين، لم يكن له أدنى فكرة عن هاجس يتجاوز الواقع، لكاتب مجهول يسمى كافكا، ستصدر رواياته بعد مرور فترة على وفاته.

اختبر كافكا أبطال رواياته، بطريقة خاصة جداً، مثلما يمكننا ملاحظة ذلك بوضوح في "المحاكمة": لم يقل كلمة واحدة عن المظهر الفيزيائي ل"ك"، وحياته قبل وقائع الرواية، بل ولم يشر إلى اسمه، وجعلنا نكتفي منه بحرف واحد.

كافكا، لم يبلور قط تأملات مجردة، حول قضايا الحياة الإنسانية، لأنه رفض دائماً إنشاء نظريات، والقيام بدور الفيلسوف، بحيث لا يشبه سواء سارتر أو كامو. ملاحظاته الحياتية، تروم على الفور نحو تخيل شعري، وقصيدة نثرية.

1-Le nouvel observateur: Hors-série: juin-juillet.2013.PP53- 54

التاريخ في مهب الريح:

التنوع المنهجي وإشكالية قراءة وتفسير التاريخ



د. مولاي المصطفى البرجاوي

باحث في علوم التربية (تخصص ديداكتيك العلوم الاجتماعية)

في حماة التردّي والنكوصية يتم اللجوء إلى التاريخ: إِمَّا لَصَبِّ جام الغضب عليه، بآنه مرحلة ولت، ويجب قطع الصلة بها، والشروع في البدء والانطلاق من نقطة الصفر (التاريخانية) (historicism)، وإِمَّا الاحتماء به كآلية للتخفيف من وطأة الفقر العلمي والتكنولوجي، وإنتاج عقلية منحطة تراوح مكانها (التيار الماضي)، وبين هذا وذلك فريق وسط يأخذ الدروس والعبر من الماضي، يعمل جاهداً لصهره وتنقيته من الشوائب؛ للتعامل مع الحاضر بطريقة شرعية، مَعْقَلنة لاستشراف المستقبل...

من ذلك ما قد يتبادر إلى الذهن من أسئلة متشابكة: هل ضاع التاريخ بين أحضان التجاذبات؟ هل التاريخ لقيط العلوم؟ هل التاريخ مرض العصر بما يُلغفه من تزويرات وتأويلات، مصداقاً لقول الشاعر:

فَمَا مَا كُتِبَ التَّارِيخُ فِي كُلِّ مَآرَوْتٍ
لِقَرَأَتِهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُلْتَقَى
إِنْ نَظَرْنَا لِأَمْرِ الحَاصِرِينَ فَرَأَيْنَا
فَكَيْفَ بِأَمْرِ الغَابِرِينَ نُصَدِّقُ

أو وسيلة وذاكرة يستحيل مَحْوُها واقتلاعها؟ ووسيلة إثبات في الوقت نفسه، ولسان حال التَّارِيخِ الفلستيني يقول: "لَتِنَّ كَسَرُوا جُدُوعِي، فَلَنْ يَمْتَلِعُوا جُدُورِي". أي: تاريخ فلسطين المتغلغل، الذي يحاول الكيان الصهيوني الظالم - بكل ما أوتي من علم ومكيدة وتَجَبَّر - طمس تاريخها، لكن أغلب المحاولات باءت بالفشل.

مُساءلة التاريخ مُساءلة للغة في نصاعتها ومَكْرَها، في حيلتها وجُمودها، مِساءلة التَّارِيخِ مِساءلة للفكر في يقظته واستقامته، في غفوته وأَعْوَجاجه؛ وَمِنْ ثَمَّ فَالتَّارِيخُ فِكر يقظ، وعين لاقطة، وحاسة واعية، إذا استلهمت ذلك من شَرَعِ رَبِّها، وما على الإنسان إلا أن يعيش وقائعَه بهدي ربَّاني ونبوي، باعتباره المُستفيد منهما.

بصفة عامَّة، «فالإنسان الحي الفاعل صانع التاريخ، ليس مستقبلياً مطلقاً، سائحاً في الرؤى والأحلام، ولا حاضرياً مطلقاً، غارقاً فيما حوله من مشكلات، ولا تاريخياً مطلقاً، يحن إلى الماضي، ويبغي أن يرجعه كما كان، وإنما يعيش في توتر دائم بين الحاضر والماضي والمستقبل، تتفاعل قُوَاهُ وعناصرها في ذاته، بإدراك متزن صحيح، وشعور دقيق ناخذ، فيكون من أثر هذا التفاعل العملي تاريخياً مبدعاً؛ (نحن والتاريخ - قسطنطين زريق).

في محاولة معالجة الموضوع من زوايا المتعددة، أو من خلفياته الأيديولوجية؛ فَالتَّارِيخُ في مجمله تَحَكُّمٌ فيه أليآت، تُكوِّن ما يطلق عليه الدورة الحلزونية المتمثلة

في الأسئلة الثلاثة التي يستحضرها المؤرِّخ في تدوينه التاريخي، وهي: متى؟ أين؟ لماذا؟ وكيف؟ أو كما يقول الدكتور محمود إسماعيل: «إن الخلاف الدائر بين المؤرِّخين ودارسي التاريخ يكمن في مسألة التفسير: أي: معرفة الأسباب والعلل الكامنة وراء أحداث التاريخ ووقائعها، ذلك أن المؤرِّخ حين يُؤرِّخ لموضوع ما، عليه أن يُجيب عن أسئلة ثلاثة هي: ماذا حَدَث؟ وكيف حَدَث؟ ولماذا حَدَث؟ والإجابة عن السؤالين الأولين لا تُثير أي خلاف، إنما يشجر أي خلاف أصلاً في الإجابة عن السؤال الثالث، لا لشيء إلا لأنها تكس منظور أو "مخيال" المؤرِّخ، الذي هو نتاج ثقافته وأيديولوجيته».

وهنا أتدخل لأتصرف في الثالوث التاريخي، الذي سَيَطَّرُ وَيَسَيَطِّرُ على فِكر المؤرِّخين، ودارسي التاريخ، لأحدت تغييراً طفيفاً في شكل الصيغة التالية: ما الحدث التاريخي؟ وكيف وَقَعَ الحدث؟ لِمَ؟ ولصالح من أُوْرِّخ؟ وبصيغة أخرى، فإن المؤرِّخين يُتفقون في غالب الأحيان على وقوع حَدَثٍ تاريخي ما، وتاريخ وقوعه، لكن تفسير المعلومات التاريخية يختلف من مؤرِّخ إلى آخر؛ من هنا تتدخل الذاتية والموضوعية في التاريخ والأيديولوجية، والبُعد الثقافي والتغريب.

قد يخضع المؤرِّخ أثناء كتابته التاريخية لشتى أنواع الضغوط الشخصية، أو الاجتماعية، أو السياسية، ومن ثم تكون كتابته صورة مشوهة لما حَدَث، فقد تملئ عليه تحيزات أو تعصباته الشخصية إغفال أشياء معينة من الحدث، لا تتفق مع ميوله أو رغباته، أو قد يتصور أشياء وهمية لا وجود لها، مما يحمله على الزيادة أو النقصان، ظَهَرَ ذلك جلياً في الحرب الأخيرة التي كانت بين حزب الله الشيعي وإسرائيل، والتي نَظَرَ لها البعض من منطلق التعصب العرقي وثقافة التعاطف مع المستضعف على أنها انتصار للبنان، رغم التدمير الكبير الذي أتى على الأخضر واليابس فيها، وهو ما يؤثر بالطبع على دقة تسجيله للأحداث، وقد يكون الجؤالسياسي أو الاجتماعي

العام الذي يعيش فيه حائلاً.

على ضوء ما سبق يُمكن التمييز بين أربعة تصوُّرات فكرية مُعاصرة، في التعامل مع المشهد التاريخي:

- **الرؤية التجزيئية للتاريخ:** لها مثالبها وإيجابياتها؛ فأهم العيوب والثغرات التي تعترضها التركيز على الجانب السياسي، وكأنَّ التاريخ وَضَع بوقاً دعائياً لأصحاب التَّفُؤد والسُّلطة، أمَّا الطرف الإيجابي في التاريخ ذي الموضوع الواحد، فيَنجَلِي في تَخُصُّص كل مؤرِّخ في دراسة ظاهرة معينة، والتفصيل فيها، التي تتوزع على المكان أكثر من توزعها على الزمان؛ أي: (الطريقة الأفيقية)، في مقابل (الطريقة العمودية)، التي يتولى فيها المؤرِّخ تدوين الأحداث التاريخية منذ الخليقة حتى ينتهي بعصره، وهي طريقة - كما نرى - لها بداية ونهاية، يُحاول من خلالها المؤرِّخ طَرَق أكبر عدد من المحطات التاريخية، ويكلفه ذلك جهداً مُضنياً، دون ملامسة جوانب أكثر أهمية؛ أي: التركيز على الكم من الأحداث، دون مُراعاة مدى صحتها وإخضاعها لميزان العدالة التاريخية، أو علم الجرح والتعديل، على تعبير علماء الحديث.

وقد صور ابن خلدون - رحمه الله - ذلك بأسلوب رائع ورفقاً؛ حيث يرى أن: «التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، ولكنه في باطنه: نَظَرٌ وتحقيقٌ وتعليل لكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق؛ فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، جدير بأن يُعد في علومها خَلِيق»؛ (المقدمة).

كما زكى هذا الطرح المؤرِّخ المغربي المعاصر محمد زنيبر - رحمه الله - بقوله: «إن النصوص التاريخية لها ظاهر وباطن، وهذا شيء لا يعرفه إلا من تَمَرَسَ بها، ووَقَفَ عندها ومعها وقفات طويلة، فالظاهر هو تلك المعلومات التي يلتقطها القارئ العجлан التقاطاً يكاد يكون ميكانيكياً، وأمَّا الباطن فهو ما تدفع إليه تلك المعلومات من استنتاجات وعمليَّات استكشافية؛ أي: من اقتناص المجهول من المعلوم، فإذا عَرَفْنَا كيف نستخرج بطريقة الاستنتاج المنهجي ما يكمن في النص من خبايا، نكون آنذاك قد نفذنا إلى باطنه» (محمد زنيبر: حفريات عن شخصية يعقوب المنصور، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع: 5 - السنة 1982 ص: 23).

لذلك يبقى التَّوَقُّم والتَّعَدُّ البناء في صناعة التاريخ جزءاً لا يتجزأ من عملية البناء الفكري والتربوي والأدبي والثقافي، وإن التَّاقُدَ والمنتج شريكان في العمل.

ومن أهم ما استحدثت البيروني في مجال المنهج، بخصوص المَرَجِعِيَّات، يقول: «فليس الخبر كالعيان؛ لأنَّ العيان هو إدراك عين الناظر المنظور إليه في زمان وجوده، أمَّا الخبر فيكون عن الشيء الممكن الوجود».

وهذه بصفة عامة أهم المعايير والمؤشرات التي استعملها المؤرِّخ الناقد لتوجيه مسار كتاباته التاريخية؛ نظراً

لطغيان التاريخ التجزيئي (التاريخ السياسي - التاريخ المتعصب الإثني...)، سعيًا منه للحصول على بعض النُتف التي توصله إلى القضية والإشكالية الجوهرية الغائبة، والتأثرة بين أحضان الرُكام الهائل من المقاطع السياسية التي لا نهاية لها.



الرؤية الإسقاطية:

وهي الخطة التي يتبناها مجموعة من المؤرِّخين، الذين يُحاولون الظهور بمظهر جديد ومقرَّر في نفس الآن - حسب اعتقادي - من خلال استبدال واستتبات مصطلح ميَّزت ثقافة معينة بمفاهيم لها ظروفها التاريخية، (الثورة الفرنسية، النهضة الأوربية، البرجوازية...)، كما يقال: «النخلة العوجاء بطاؤها في حوض غيرها»، أو تطبيق ما يسمى ب(عالمية التاريخ الأوربي)، وكأنَّ العالم مُختَصَّر في قارة واحدة، وهي القارة الأوربية، وما ميَّزها من ضروب الأحداث التاريخية.

وحتى تتضح الصورة أكثر للقارئ الكريم؛ أَضْرِبُ لذلك أمثلة ساطعة وناصعة، قلماً تجد نقداً وتصويماً من قبل دارسي التاريخ والمهتمين بالبحث التاريخي؛ ويتعلق الأمر بما يَجْتَرُه أغلب الباحثين في التحقيب التاريخي، من إسقاط وإلصاق المحطات التاريخية الأوربية على العالم العربي والإسلامي، وهي:

ونعني مبدئياً توضيح ما يعد مُسَلِّماً به عند الدارسين للماضي، وهو تقسيم هذا التاريخ إلى عصور وحقب معينة، ونعني بذلك أيضاً نقد هذا الاتجاه المؤلف، وظهور اتجاهات تسعى جاهدة لاصطناع تحقيب جديد، يُواكب مستجدات العصر. فَالتَّحْقِيبُ المَعْتَمَدُ حالياً في الدراسات التاريخية العربية والإسلامية - وإن خرجت من أسر التحقيب الأوربي، فقد انغمست في الرؤية السياسية؛ مثل الذي قسم التاريخ وفقاً للأسر الحاكمة؛ مثل المؤرخ المكناسي محمد المنوني - اجترار للتحقيب الأوربي.

مُساءلة التاريخ مُساءلة للغة في نصاعتها ومَكْرَها، في حيلتها وجُمودها، مِساءلة التَّارِيخِ مِساءلة للفكر في يقظته واستقامته، في غفوته وأَعْوَجاجه؛ وَمِنْ ثَمَّ فَالتَّارِيخُ فِكر يقظ، وعين لاقطة، وحاسة واعية، إذا استلهمت ذلك من شَرَعِ رَبِّها، وما على الإنسان إلا أن يعيش وقائعَه بهدي ربَّاني ونبوي، باعتباره المُستفيد منهما.

قد يخضع المؤرِّخ أثناء كتابته التاريخية لشتى أنواع الضغوط الشخصية، أو الاجتماعية، أو السياسية، ومن ثم تكون كتابته صورة مشوهة لما حَدَث، فقد تملئ عليه تحيزات أو تعصباته الشخصية إغفال أشياء معينة من الحدث، لا تتفق مع ميوله أو رغباته



والغالب في التقسيم السائد عند أغلب المؤرخين نلمس فيه النظرة الأوربية الغربية للتاريخ، مثل: سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد القبائل الجرمانية سنة 476م، ومثل: سقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين سنة 1453م، أو سقوط غرناطة سنة 1492م، وظهور الثورة الصناعية في القرن 18م، وعلى هذا الأساس فالمؤرخون يُقسّمون التاريخ إلى ثلاثة أقسام كبرى، وهي:

أولاً: حقبة التاريخ القديم، ويعالج فيها ماضي الإنسانية قبل سقوط الإمبراطورية الرومانية 476م. ثانياً: حقبة التاريخ الوسيط، الذي يمتد من سقوط الإمبراطورية الرومانية (476م)، إلى نهاية القرن الخامس عشر (1453م، أو 1492م).

ثالثاً: حقبة التاريخ الحديث: ويمتد من القرن 15 إلى اليوم، وإن تميّزت بمرحلتين: عصور حديثة، ومرحلة معاصرة، وهذا التقسيم هو السائد والمتبع في الدراسات التاريخية الأوربية والمقلدة لها، مع العلم أن الانتقال من إحدى هذه المراحل الثلاثة إلى القسم الذي يليه، لا يتم بصورة فجائية وتامة؛ لأن التاريخ مستمرّ الحلقات، لا انفصام في أحداثه.

والواقع أن التاريخ مترابط ومتصل الحلقات، وينتج عن ذلك أن فهم حاضر أمة يستوجب معرفة ماضيها القريب والبعيد، ومن أجل أن يفهم المرء دقائق التاريخ يلزمه أن يأخذ في الحسبان العلاقات المكانية، والعلاقات الزمنية. فالتقسيم الثلاثي للتاريخ (قديم، وسيط، حديث)، تقسيمٌ أوروبي، اعتمده الأوروبيون؛ لأن التقسيم السابق واتخاذ الأعوام 476م، و1453م، أو 1492م، تواريخ ضابطة للفصل بين عصر وعصر، فإن رؤيتهم كانت ملائمة لحياتهم الدينية والثقافية، ويعني هذا أن هذا التقسيم جاء من مؤرخين غربيين نصارى، ومن ثم عدوا سقوط روما هزيمةً للنصرانية في الشرق والغرب، وهذا المنظور الذي طبّوه عندما سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين المسلمين.

من هنا نستخلص أن التحقيب التاريخي المهيمن في أغلب الدراسات التاريخية، هو نتاج تدخل الكنيسة الغربية في توجيه العقليّة الغربية.

إذا يجب في الدراسات التطبيقية التاريخية الاعتماد على رؤية علمية شرعية في مجال التقسيم التاريخي، بالتركيز على الدراسات القرآنية، والجوانب الحضارية للمجتمع والثقافة، التي أمرنا بالإبداع فيها وتطويرها؛ لتواكب مستجدات العصر.

وهناك من سعى إلى تحقيق اليوتوبيا الشيوعية، فسُطر (كارل ماركس) تحقيباً مادياً يخالف التحقيب النصراني السابق، باعتماده وحدة العامل الاقتصادي لدراسة المراحل التي يمرّ منها تطوّر المجتمع، وهذه المراحل هي:

الواقع أن التاريخ مترابط ومتصل الحلقات، وينتج عن ذلك أن فهم حاضر أمة يستوجب معرفة ماضيها القريب والبعيد، ومن أجل أن يفهم المرء دقائق التاريخ يلزمه أن يأخذ في الحسبان العلاقات المكانية، والعلاقات الزمنية.

- 1 - المشاعية البدائية.
- 2 - نظام الرق (العبودية)
- 3 - النظام الفيودالي.
- 4 - الرأسمالية.
- 5 - الاشتراكية.

هذا التحقيب الكرونولوجي جاء نتيجة محطات التسلط في التاريخ الغربي: من رق، واستعباد، ورأسمالية متوحشة، هضمت حقوق المستضعفين في الأرض.

كما يستوقفنا في هذا المجال (التحقيب التاريخي)، الذي أنجزه المؤرخ الفرنسي (فرناند بروديل Braudel)، حول تاريخ حوض البحر المتوسط في القرن السادس عشر، الذي فكر في التحلي عن الكرونولوجية السابقة المنحطة، والمنمطة، والمستهلكة، والتي يتم أتباعها في المؤسسات التعليمية، وللأسف حتى في المراحل الجامعية، كأنها طريقة مُقدّسة، ولا يمكن مساءلتها، والتصرف فيها، حيث أبداع طريقة تخالف المؤلف، والتي تتمثل في:

- زمن جغرافي ثابت (الجغرافية التاريخية).
- زمن حضاري، اجتماعي، ثقافي بطيء التغير.
- من سياسي متقلب وسريع.

هذا عن نقل فكرة التحقيب التاريخي الأوربي إلى البيئة الإسلامية؛ سواء في المؤسسات التعليمية الإعدادية، أم الثانوية، أم الجامعية، أما عملية الإسقاط المأولية في التاريخ؛ ما أقدم عليه بعض المؤرخين المعاصرين العرب، وهذا ربما السعي لاكتشاف اللامألوف من المطروق من البحوث التاريخية، من تزيف وتطاول على الفرسان في الفكر التاريخي العربي والإسلامي، يظهر ذلك جلياً في كتابات المفكر والمؤرخ الماركسي المصري محمود إسماعيل، الذي حاول نفي المجهود الضخم الذي أنتجه المؤرخ ابن خلدون، من خلال الضجة الفكرية التي أطلق صيحاتها في كتابه (نهاية الأسطورة.. نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا)، الذي أشار فيه إلى ما قام به ابن خلدون، من عملية النقل - وإن شئت السرعة - من كتابات إخوان الصفا، دون الإشارة لصاحبها، وهنا على ماذا يدل هذا الإجراء؟ هل هو تعصب أو محاولة الانتقاص من قيمة الترسنة الفكرية، التي جادت وما زالت توجد بها العقليّة الخلدونية، التي استخلصت أغلب نظريتها

- خاصة علم العمران، وفلسفة التاريخ؟ أم هي ثقافة المُرفقات)، والخروج عن المؤلف؟ أم هي الأركيولوجية الجديدة؟ أو هو فتح جديد كما قد يُتوهم؟

بالرجوع إلى كتاباته نجدتها حبلت بمصطلحات غريبة؛ فمثلاً كتابه: (الحركات السرية في الإسلام)، حاول عبثاً إطلاق تسميات نبّئت من سحت المجتمع الغربي على محطات تاريخية في الفكر الإسلامي، مثال: أرستقراطية إسلامية، تيوقراطية الحكم الفردي في العصر العباسي، أضف إلى ذلك ما يسعى إليه البعض من معالجة الأحداث التاريخية المحلية، من زاوية نظر مركزية، ويتعلّق الأمر بالمقارنة التي وضعها المفكر المغربي عبد الله العروي في كتابه: (ثقافتنا في ضوء التاريخ)، بين ابن خلدون وميكافيللي، وشتان بين الثرى والثريّا، وهي حسب اعتقادي أصبح المفكر الغربي وسيلة للحكم على الأسود في العقيدة الثقافية الإسلامية، لله دُرّ الشاعر إذ يقول:

ألم تر أن السيِّف ينقص قدره

إذ قيل إن السيِّف أمضى من العَصا
وهنا يطرح سؤال: لماذا الإصرار على "ثقافة الاجترار"، ورغم ما تتخبّط فيه مصداقية البحث التاريخي في أمتى دول العالم المركزي الغربي، من تزوير للحقائق، وتشويه للتفاصيل؟

وهذا يظهر جلياً في الرؤية المأولية، التي تحاول نفذ الغبار، وإزالة الستار عن عجوب المنهج التاريخي المركزي، أم المغلوب مولع بتقليد الغالب على حد تعبير ابن خلدون، ألم يكن من الأجدى التكبير في رؤية تنطلق من الذات، دون نسيان المحيط العالمي، ومن ثمّ الحكم على تجاربه. هنا تحضرنى مقولة لابن رشد بقوله: «إنا الفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقاً للحق فبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه».

وفي نفسه: لماذا لا يتم الأخذ بالرؤية اليابانية، التي انطلقت من ثقافتها في تغيير المعالم الاقتصادية؟ يقول براتراند راسل: «كانت اليابان دولة متخلّفة اقتصادياً، إلا أنها لم تكن تشعر أبداً أنها دولة متخلّفة ثقافياً».

- الرؤية الذاتية "اللوبيّة":

ويتمثل في هذا العصر ما تقدم عليه، وما تمارسه الدول التي تتبجج بالديمقراطية من مضايقات في حق المؤرخين الموضوعيين المنصفين.

القائمة طويلة في هذا الباب، لكن سنركّز على الحدّث القريب منّا جدّاً، ألا وهو محاكمة المؤرخ البريطاني (دافيد جون تاوديل إيرفينغ)، الذي حكمت عليه المحكمة النمساوية بثلاث سنوات سجناً؛ إثر تشكيكه في وجود عُرف للغاز، وقضاء ستة ملايين من يهود أوروبا فيها (الهولوكست)، بناء على تلك الحقائق الجديدة التي طمّت على السطح، باعتبار مهنية وتخصّص هذا المؤرخ في تاريخ الحرب العالمية الثانية، يقول روبرت هاريس في

حقّه: «ليس هناك مؤرخ متخصص في الحرب العالمية الثانية يُمكنه أن يجهل إيرفينغ، فالمعاصرون لا يُضاهونه في علمه بدقائق وتفصيل الحرب العالمية الثانية».

حرية التعبير هاته التي أصبح يُفعل بها، ولا يُحتّم بلوائها إلا إذا كانت تخدم المصالح الذاتية للدول المنضوية تحت لواء الردع الإسرائيلي، عندئذ تطرح أسئلة متقابلة: هل بعد هذه العنجهيّة والتسلط على الفكر التاريخي من هرولة وراء أذنان المركزية الأوربية؟ أو ثقافة الاختراق التي عبّر عنها المفكر المغربي محمد الجابري هي التي ألقّت بظلالها، وأمسكت بالنواجذ على طرح بعض مُتقفيننا؟

- النظرة الشمولية في الدراسات التاريخية:

تتمثل في مدرسة الحوليات، التي حاولت تقزيم ما كان مُضخماً في مرحلة من المراحل: أي: إعطاء كل جانب حقه من التحليل، وقيل ظهور هذه المدرسة طفا على سطح المصادر التاريخية بأنواعها الأوربية؛ أي: الكتب المعاصرة للأحداث التاريخية، أو الثانوية، كتب تُؤرخ لمرحلة لم يتم معاصرتها، الحوادث السياسية، وأميط اللثام عن جوانب أخرى أكثر أهمية، باستثناء بعض كتب الرحالة والجغرافيين من قبيل ابن بطوطة في كتابه (عجائب الآثار)، وابن حوقل في (وصف الأرض)، وأصحاب (المسالك والممالك) (الإصطخري)، التي تتأولت بعض هذه التثنت التي يعتمد عليها الباحث في دراسة مثلاً موضوع غير مطروق بشكل موسّع: (تاريخ العوام بالمغرب، ظاهرة الأوبئة، المشكلة الديمغرافية).

ففي السابق كان جُل تركيز المؤرخين يُعطي الأُسَر الحاكمة، ويهْمش المجتمع العادي، وما كان يعانیه، وكأنّ التاريخ ما وُضِعَ إلا ليُلبّي رغبات وطموحات السلطان، يقول أحد المشاركين في بروز ولعمان مدرسة الحوليات، وهو (أربيس): «إن كل ما تنفق فيه الوقت في دراسة الحوادث التاريخية - التاريخ السياسي، تاريخ الأشخاص، الأبطال، النجم...- ربما لا يكون في الواقع إلا الواجهة الظاهرة للتاريخ، وإنّ التاريخ الحقيقي يقع وراء ذلك في حياة الناس العاديين، وآمالهم وآلامهم، ومخاوفهم»....

ذلك أن التاريخ إذا انقلب ليصبح مجرد حروب ومعاهدات وسير أشخاص، وموارث حكم، بعيداً عن التاريخ الديني والثقافي والحضاري، واستكناه حقائقه وموجهاته، قد لا يستحق المعرفة والجهد؛ لأن ذلك لا يضيف شيئاً يُذكر، وقد يكون مضية للأجر والعمر معاً. فالتعامل مع الأحداث من زاوية ضيقة وتهميش قضايا أكثر وقفاً ودينامكية، يسهم في تسطيح وتخدير الوعي البشري، فيصبح عقلاً من الدرّجة الثالثة، والرابعة، والعاشرة؛ يقول من يسمي ب(فيلسوف عصر الأنوار)، مبتكر مصطلح (فلسفة التاريخ) سنة 1756 في كتابه الموسوم ب(طبائع الأمم وفلسفة التاريخ): «ولكنني بعد

ومنها ما صنّف في التاريخ لأصحاب التصانيف العلمية، بغض النظر عن طبيعة ما سطره من علوم، وعمّا يعتقدونه من عقائد، ومنها ما صنّفه العلماء في تاريخ الفرق، والمذاهب، والنحل، وما طرأ عليها من تطورات عبر العصور، سواء كانت التطورات الفكرية، أم المكانية، أم غيرها، ومنها ما كان من تأريخ لظواهر اجتماعية معينة، كالبلخ، أو كوارث ونكبات لها مردودها على حال المجتمع في كافة جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، كاطاعون، إلى غير ذلك مما يطول تتبّعه من مناهج المؤرخين، الذين لا يمكن حصرهم في أولئك الذين صنفوا كمؤرخين فحسب؛ فإن علم التاريخ كان علماً مُشبكاً بغيره من العلوم على مدار التاريخ الإسلامي، مما جعل أغلب المشتغلين بالعلوم لهم مشاركة في التاريخ، كل حسب فنه، وموسوعيته.

قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة، وبضع مئات من المعاهدات، لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، حيث لم أعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة» (أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، الإسكندرية ص180 و181).

فلو رجّعنا إلى تراثنا الإسلامي، لوجدناه زاخراً بما هو أنفع وأقوم من ذلك، يقول الإمام السبكي: «إن أهل التاريخ ربما وضّعوا من أناس، أو رفعوا أناساً، إما لتعصب، أو جهل، أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به»، وقال: «والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب، قل أن رأيت تاريخاً خالياً منه»: (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)؛ للسخاوي 73 - 76.

ويقول ابن خلدون: «كثيراً ما وقع المؤرخون والمفسرون وأئمة النقل في المغالط والحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميماً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار»: (مقدمة ابن خلدون).

- الرؤية العربية والإسلامية:

بلا شك أن التاريخ الإسلامي ليس تاريخاً معصوماً، ويخطئ من يعتقد عكس ذلك؛ إذ تأرّجج بين الصعود والنزول كما أن تاريخ الأمة الإسلامية لا يمكن بتاتا تجزيه وتمزيقه، فهو وحدة متكاملة، فتشريحه إلى وحدات منفصلة أمر طارئ، إما لظروف عداوية خارجية، أو دعائية داخلية.

أما عملية التأريخ العربي والإسلامي، إن كانت قد أتبعت - في غالب الأحيان - منهج الحوليات العمودية؛ فإن المصنفات في التاريخ الإسلامي كثيرة المناهج، فمنها التواريخ المرتبة على السنين بذكر أهم الأحداث، وأهم الوقيات، ومنها التواريخ المرتبة على الحروف، ومنها التواريخ الموضوعية التي تهتم بظاهرة معينة عبر التاريخ، ومنها التواريخ التي تُمنى بطوائف معينة من المجتمع: كالأدباء، والأطباء، والأدكياء، والمعلمين، وأصحاب العاهات... إلى غير ذلك من التواريخ الموضوعية، ومنها التواريخ الجغرافية - إن صحّ التعبير - وهي التي صنّفت في البلدان، والمدن، والقرى، وهي تُعرض لتاريخ تلك

المدن، وطبائع أهلها، وتقلباتها عبر الزمن، وأحوال أهلها الاقتصادية، وأنشطتهم المهنية، وغيرها، ومنها ما صنّف في التاريخ لأصحاب التصانيف العلمية، بغض النظر عن طبيعة ما سطره من علوم، وعمّا يعتقدونه من عقائد، ومنها ما صنّفه العلماء في تاريخ الفرق، والمذاهب، والنحل، وما طرأ عليها من تطورات عبر العصور، سواء كانت التطورات الفكرية، أم المكانية، أم غيرها، ومنها ما كان من تأريخ لظواهر اجتماعية معينة، كالبلخ، أو كوارث ونكبات لها مردودها على حال المجتمع في كافة جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها، كاطاعون، إلى غير ذلك مما يطول تتبّعه من مناهج المؤرخين، الذين لا يمكن حصرهم في أولئك الذين صنفوا كمؤرخين فحسب؛ فإن علم التاريخ كان علماً مُشبكاً بغيره من العلوم على مدار التاريخ الإسلامي، مما جعل أغلب المشتغلين بالعلوم لهم مشاركة في التاريخ، كل حسب فنه، وموسوعيته.

خلاصة القول:

إن منهجية كتابة وتفسير التاريخ في أزمنة خاتمة، وفي الوقت نفسه في حالة تأهب قصوى، تستجد بمن ينقذها ويخرجها من يد الأضنام الفكرية التائهة البائدة.

إذا وكما الطحين بحاجة إلى غربال، يزيل عنه قشوره وشوائبه، فما يُقرأ ويُدون من الأحداث التاريخية، أيضاً بحاجة إلى عين ناقدة، تستخلص ذهيبه من نحاسه، (كما هو متبع عند علماء الجرح والتعديل في تقبل الأخبار والروايات).

والناس يتعاملون مع هذه المطبوعات والروايات - خاصة التاريخية - على ضروب كثيرة كما سطر أحد الباحثين، أبرزها ثلاثة:

- أما الأول: فهو المتلقي الواعي، الذي يُعربل ما يقرأ، ثم يتأني في قبول أو رد رأي يُعرض عليه، فيعرف الفت من السمين، ويراعي قبل ذلك، حال صاحبه، أوثقة، أم مجهول لا يعرف منبته؟ وهذا الضرب لا يخاف منه، ولا عليه.

والثاني: هو الذي لا يقبل أي رأي، لا يملك أي دربة في التمحيص، ينظر من وجود عليه بمعلومات، ربما الناقل لها أخطأ من مصدرها، فيتعرض المتلقي للاضطراب الفكري والجهل المتنامي.

أما الأخير: فهو المستهدف، واليه توجّه السهام، فهو الذي يقبل ما هبّ ودبّ، ليس له رأي معين، وليس عنده مُسلمات، ولا يعرف الثوابت، فهو طوع لكل فصيح، فهذا مصدر الداء، وأُسُ البلاء، وعوّن الأعداء.

الأمن الفكري: مستويات التفكير

واتجاهات التطبيق



لم تعد سياسات المنع والحجب مجدية مع هذا التدفق المعلوماتي الهائل، وقنوات التقنية التي تحاصر البشر من كل مكان، والبدائل المختلفة للحصول على المعلومة المحجوبة، ولم يعد مقبولاً اختكار الحقيقة وفرض الرأي الواحد.

على المستوى المجتمعي يجب اتباع منظومة من المبادئ والأسس لتبنيها كافة المؤسسات الاجتماعية والدينية كالشفافية، والتوعية، والانتماء، والوحدة، والمواطنة، والتفاعل، والمشاركة، وتكوين الجبهات الفكرية للتصدي للحملات المفرضة. مع أهمية تقليص الفجوة بين ما يحدث على أرض الواقع؛ وما يشاع عنه من معلومات مغلوطة، ويكون السبيل الوحيد حينئذ هو طرح المعلومات الصحيحة دائماً.

غير أن هناك أسباباً مجتمعية ربما أسهمت في هشاشة البناءات الفكرية أمام الأفكار الدخيلة، وعدم قدرتها على مواجهة الأفكار ما تستند إليه على أرض الواقع من أسانيد اجتماعية وإدارية واقتصادية تتمثل في قصور برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات، وارتفاع معدلات البطالة والفقر وغياب العدالة الاجتماعية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، والتساهل في حماية الحقوق وتطبيق العدالة الاجتماعية وتحقق مبدأ تكافؤ الفرص في هذه المجتمعات، والتهاون في توفير حياة كريمة للمواطنين، وعدم الاهتمام بمشكلاتهم ومطالبهم، في ظل تراجع أداء المؤسسات الحكومية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، وفشلها في التخطيط للتنمية المستدامة، وقصورها في مواجهة المشكلات والأزمات التي تتزل بمجتمعاتها.

الأجيال والتفاعل بين الفرد والمجتمع من أجل المحافظة على وحدة البناء الفكري وثبات الهوية وامتداد الموروث الثقافي، فضلاً عن ضرورة إيجاد الآليات لهذه المؤسسات لأداء أدوارها الحقيقية، والاستفادة من الفرص التي تمنحها العولمة والانفتاح المعلوماتي دون أن يمتد تأثيرها إلى المساس بالهوية والمألوف الثقافي الوطني.

غير أن هناك أسباباً مجتمعية ربما أسهمت في هشاشة البناءات الفكرية أمام الأفكار الدخيلة، وعدم قدرتها على مواجهة بالشكل المطلوب، خاصة إذا وجدت هذه الأفكار ما تستند إليه على أرض الواقع من أسانيد اجتماعية وإدارية واقتصادية تتمثل في قصور برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية عن تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات، وارتفاع معدلات البطالة والفقر وغياب العدالة الاجتماعية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، والتساهل في حماية الحقوق وتطبيق العدالة الاجتماعية وتحقق مبدأ تكافؤ الفرص في هذه المجتمعات، والتهاون في توفير حياة كريمة للمواطنين، وعدم الاهتمام بمشكلاتهم ومطالبهم، في ظل تراجع أداء المؤسسات الحكومية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، وفشلها في التخطيط للتنمية المستدامة، وقصورها في مواجهة المشكلات والأزمات التي تتزل بمجتمعاتها.

ومن هنا فإن الأمن الفكري يبدأ بالتفكير الناقد وإعمال العقل، ويمتد للتوسع في فرص التنمية وإتاحة فرص الاندماج المجتمعي بهدف القضاء على ذرائع الاستقطاب، مع إعلاء قيمة العمل والانتاج والمشاركة المجتمعية، وتعزيز اجتماع الكلمة ووحدة الصف حول القيادة، والحفاظ على حالة الإجماع الوطني داخل مجتمعاتنا حتى تصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. بهذا يتحقق الأمن الفكري الذي نشده لديارنا ومجتمعاتنا وأجيالنا القادمة.

فإعمال العقل في التفكير الناقد وما يرتبط بذلك من مهارات فرعية يشكّل السبيل الواقي للعقل من تسرب الأفكار والمعتقدات غير المقبولة إليه، التي تتنافى مع البناء الفكري الذي تضمنه هذا العقل، والتي من شأنها أن تلتف ما حولها من أفكار. والتفكير الناقد يعني قدرة الفرد على إبداء الرأي المؤيد أو المعارض في المواقف المختلفة، لذا فهو تفكير تأملي يهدف إلى إصدار حكم أو إبداء رأي وذلك بإخضاع المعلومات والبيانات الواردة لاختبارات عقلية ومنطقية وذلك لإقامة الأدلة أو الشواهد والتعرف على القرائن؛ ومن ثم قبولها أو لفظها. فالعقل هنا يمثل الحارس أو مكافح الفيروسات الذي يتحقق من هوية كل الداخلين إلى بنائه الفكري، حتى يظل البناء الفكري للإنسان آمناً محمياً.

وعلى المستوى المجتمعي يجب اتباع منظومة من المبادئ والأسس لتبنيها كافة المؤسسات الاجتماعية والدينية كالشفافية، والتوعية، والانتماء، والوحدة، والمواطنة، والتفاعل، والمشاركة، وتكوين الجبهات الفكرية للتصدي للحملات المفرضة. مع أهمية تقليص الفجوة بين ما يحدث على أرض الواقع؛ وما يشاع عنه من معلومات مغلوطة، ويكون السبيل الوحيد حينئذ هو طرح المعلومات الصحيحة دائماً.

ويكون دور الإعلام والخطاب هنا هو الحد من التأجيج والتصنيف والاستعداد لأنها تسبب في موجات كبيرة من الصراعات المنهكة للطاقة الوطنية، مع نشر ثقافة العمل وثقافة الرقي في الحوار والنقاش، والتعامل بحيادية وموضوعية مع الآخر المختلف، وكذلك تثقيف الأجيال القادمة بمسؤولية السلوك ليس في العالم الواقعي فقط بل في العالم الافتراضي أيضاً، مع تفعيل لدور المؤسسات المجتمعية سواء الدينية أو السياسية أو التربوية.. وغيرها، أو مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق التواصل بين

والعرفي والقبلي وخلافه، مما يُعدُّ من العوامل المساعدة لتغلب أفكار وأطروحات على أخرى. ومن هنا أجد أن هذا الاتجاه أيضاً لم يعد هو الاتجاه الأفضل والأقوى تأثيراً في تحقيق الأمن الفكري، فهناك منظومات فكرية متباينة لدى الأفراد قد لا تقوى على مواجهة الأفكار الواردة المتلحفة بعباءات تصادف هوى في نفس البعض، وتجد قبولاً لدى البعض الآخر، ومن ثم كان من الضروري إيجاد مستوى آخر من التناول يملك آلية لفترة الأفكار، ومعرفة أهدافها وغايتها، والتخلص من الفاسد منها والموجه.

لذا أرى أن إعمال العقل بتحصيله من خلال تنمية مهاراته في التفكير والنقد والإبداع هوربما السبيل الأمثل لتحقيق الأمن الفكري على مستوى الفرد؛ فالعقل حين يستقبل المعلومات يكون لديه القدرة على تقييدها وفلترتها مما يشوبها من أوجه قصور ونقص وتداخل وأهداف مشبوهة، وربما تناقض حقائق ومنظومات فكرية وقناعات موثوق بها، فضلاً عن تقييمها؛ ومن ثم اتخاذ قرار قد يسمح لها بالولوج إلى العقل من عدمه. فهذا العقل لديه من الحجة والبرهان ما يفلتر به المعلومات الواردة إليه، ولا يأخذها على علتها فقط، فيبحث ليفهم ويتقن ليدرك، ويتوصل في تفكيره للإبداع والابتكار واستحداث الأفكار الجديدة والإبداعية.

وهذا الاتجاه في إعمال العقل في التفكير والنقد والتحليل طالبنا به ديننا الحنيف، فيقول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوهِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿آل عمران، الأيتان 190-191﴾. وقد عرّف البعض التفكير من هذا المنطلق بأنه "حركة العقل بين المعلوم والمجهول".

وعلى الرغم من نبيل الغايات التي يسعى الكثيرون لتحقيقها من خلال مستويات مختلفة ومقاربات متنوعة لضمان الأمن الفكري؛ إلا أن هذه المستويات لها إيجابياتها وسلبياتها؛ فالمستوى الأول الذي أنيط به تحقيق الأمن الفكري عند المنع والحجب، منع الأفكار والدعوات المختلفة من الوصول للأفراد، واختراق منظومتهم الفكرية، ومن ثم وجد أصحاب هذا المستوى أن المنع والحجب هو الضمانة الفعلية لتحقيق مفهوم الأمن الفكري على أرض الواقع.

لكن هذا المستوى من التناول ربما تجاوزه الزمن، فلم تعد سياسات المنع والحجب مجدية مع هذا التدفق المعلوماتي الهائل، وقنوات التقنية التي تحاصر البشر من كل مكان، والبدائل المختلفة للحصول على المعلومة المحجوبة، ولم يعد مقبولاً اختكار الحقيقة وفرض الرأي الواحد، فالأمن الفكري لا يتحقق مع الاتجاه الواحد، وعدم قبول الآخر المختلف، فالأمن الفكري في جوهره لا يتعايش مع الإملاء الفكري وإقصاء الآخر، ولعل هذا الاتجاه وجد طريقه نحو التهاوي مع ظهور الإعلام الجديد الذي تميز بعدة سمات أهمها؛ حرية الرأي وسعة الانتشار وسرعة التداول، وتنوع المصدر، فأصبح المتلقي هو صانع الخبر والحجب والمنع في ظل هذه التغيرات والمعطيات الجديدة؟

أما المستوى الثاني من التناول فهو يتجه لتحصيل الأفكار ومنحها التسليح الذاتي الذي تستطيع أن تواجه به الأفكار الفاسدة والدعوات المضللة، وهو ما يعرف بالتحصيل المعرفي، لكن هذا المستوى أيضاً ترد عليه ملاحظات؛ إذ إن صراع الأفكار- الأفكار تتغلب فيه الفكرة الأقوى حُجبة والمصحوبة بمجموعة من العوامل المساعدة المؤثرة في الوقت ذاته، ومنها التأثير العاطفي للفكرة، فضلاً عن إقحام ربما البعد الديني والإثني



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كثيرة تلك الدراسات والبحوث التي تناولت مفهوم الأمن الفكري، وتعرضت له باتجاهات ومداخل مختلفة؛ لكنني لا أتفق مع كثير منها؛ إذ تضع مفهومًا للأمن الفكري باعتباره شيئاً مانعاً يحجب الأفكار من الوصول للأفراد، وهذا ربما نظرياً يمكن تحقيقه؛ لكنه عملياً يصعب تنفيذه. ففي عصرنا الحالي لا تستطيع أن تمنع المعلومة والفكرة من الوصول للناس، فأضحت المعلومة متاحة في كل مكان، والفكرة ليس بينها وبين العقول حاجزاً، ولقد اجتهدت الكثير من الدول في منع وصول الأفكار لشعوبها، لكنها اجتهدات أخطأها الفشل، وأعيتهما الحيل، وبات تحقيق الأمن الفكري معضلة تواجه الأفراد والمجتمعات.

التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا



أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاث دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به، فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا

وينقل معه عاداته وتقاليده، وفكره، ومن نتاج هذا التفاعل تبرز الحضارة، فالإنسان عندما ينتقل من مكان لآخر فهو ينقل ثقافته معه، وعلى هذا يكون التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين أينما كانوا وأينما حلوا، والمؤثرات التي أثرت فيهم، ودورهم في التأثير في الآخر.

فتجد أن الإنسان عند وجوده في أي مجتمع فإنه يؤثر في هذا المجتمع ويتأثر به، فمثلاً الاحتلال الفرنسي للجزائر ترك بصمته الواضحة عليها، فقد أثر فيها وتأثر بها، ولذا فنحن نجد الآن أن الشعب الجزائري يتحدث الفرنسية بطلاقة، وكذلك نجد أنه عند ذهاب أي شخص إلى بلد ما فإنه يحاول التكيف معها ومع عاداتها وتقاليدها بما لا يتعارض مع مفاهيمه وديانته، فالإنسان يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، وبالبيئة التي تحيط به.

أما تاريخ أوروبا فيقصد به تاريخ الأرض (القارة الأوروبية) والبشر الذين يعيشون عليها فقط، والتفاعلات التي جرت عليها؛ دون النظر إلى امتدادهم خارج الأراضي الأوروبية، أي أنه نتاج تفاعل الناس في أوروبا مع الأرض الأوروبية في الزمان، فهو بذلك محدد جغرافياً وبشرياً. فيقتصر المؤرخون تاريخ أوروبا على تلك المنطقة من الكرة الأرضية التي تضم دول المجموعة الأوروبية،

لحدوثه يفقد تفاعله مع الإنسان، ولهذا كانت الاختلافات في تحديد خريطة أوروبا عبر العصور المختلفة عائقاً أمام تحديد التاريخ الأوروبي، لأن أوروبا لم يكن لها شكل واحد، فهي كمساحة جغرافية لم تكن بشكل ثابت على مر العصور، فهي مرة تتوسع، وأخرى تتضاءل.

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل قارة نزلوا فيها، وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به، فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا؛ فضلاً عن تاريخ العلاقات الدولية، على أساس العلاقات بين أوروبا والدول الأخرى في جميع نواحي الحياة. وعلى هذا النحو فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين داخل أوروبا وكذلك تاريخهم خارجها إلى حيث يصنع الأوروبيون التغيير في الحياة اليومية، بمعنى أنهم إذا وجدوا في أي بلد آخر فإنهم يعدون جزءاً من التاريخ الأوروبي أيضاً. وعلى ذلك فإن التاريخ الأوروبي أعم وأشمل من تاريخ أوروبا.

وأصحاب هذا التفسير يبنون رؤيتهم على أساس أن الفرد يمارس ثقافته في أي مكان ينزل فيه، ويستوطنه،

هو الزمن الإنساني أي عمر الجنس البشري فوق كوكب الأرض، ذلك لأن الفعل التاريخي في حقيقته فعل إنساني وقع داخل حدود الزمن الإنساني، وارتباط التاريخ بالزمن يتضح من خلال الحقيقة القائلة: إن الماضي الحضاري لبني الإنسان على سطح الأرض هو موضوع علم التاريخ. أما المكان أو البيئة فهي الركن الثاني من أركان الظاهرة أو الحدث التاريخي؛ لأن البيئة هي مسرح العملية التاريخية؛ فلا نستطيع تصور وجود الفعل التاريخي في فراغ بعيداً عن المكان أو البيئة، فالتفاعل بين الإنسان والبيئة في إطار الظرف الزمني هو الذي يُنتج لنا الظاهرة التاريخية في أي عصر من العصور، ذلك لأن الإنسان هو منفذ العملية التاريخية ما دام ميدان التاريخ ومجال بحثه هو ماضي النشاط البشري، فالارتباط بين الإنسان بوصفه فاعلاً تاريخياً؛ والتاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الإنساني ومحاولة تفسيره يبدو في غاية الوضوح، وليس بوسعنا أن نتصور وجود ظاهرة تاريخية لا ترتبط بالإنسان؛ فذلك لن يكون تاريخاً بالمعنى المقصود، وإنما سيكون نوعاً من التاريخ الطبيعي الذي يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ كعلم الإنسان؛ فالتاريخ يميل إلى حفظ كل ما له قيمة بالنسبة لبني الإنسان ويترك ما عدا ذلك للفناء والهلاك.

وعلى هذا فإن الحدث التاريخي يتكون من ثلاث عناصر رئيسية هي وجود الإنسان في مكان ما، وزمان معين، وهذه العناصر الثلاث الإنسان والزمان والمكان تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج الحادثة التاريخية، وهذا الحدث يحتاج إلى منهج وكذلك مؤرخ لكي يصبح مادة تاريخية مكتوبة خاضعة للنقد والتحقيق. ولا بد أن يكون هناك منطقة يستمد منها الحدث التاريخي ماهيته، أو يحدث على أرضها، فالحدث التاريخي بدون تحديد منطقة

للوهلة الأولى يشعر القارئ بأن المصطلح عنوان هذا المقال يتشابهان إلى حد كبير، بحيث يصعب التمييز بينهما. وربما يكون ذلك حقيقة، ولكن هذه محاولة بقدر الاستطاعة لكي نميز بين دلالتهما، لتحقيق فهم أعمق لـ "التاريخ الأوروبي" بصفته فرع من فروع التاريخ.

وبدئ ذي بدء، لا بد أن نوضح أن الآراء قد اختلفت وتعددت حول ماهية التاريخ وأهميته، واهتم المؤرخون بذلك الأمر، ودليلنا على ذلك قيام عدد كبير من المؤرخين بتناول تفسير التاريخ من حيث معناه وأهميته وتفسير حركته ومسيرته، وذلك من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وغيرها. واختلف المؤرخون العرب أيضاً في تفسير التاريخ، فمنهم من ذكر أنه سجل لكل ما تركه الإنسان من آثار نتيجة لتفاعله مع البيئة المحيطة به، مشتغلاً على كافة نواحي الحياة، وقصر بعضهم معنى التاريخ على "بحث واستقصاء حوادث الماضي".

وقد طُرح سؤال حول ماهية التاريخ الأوروبي على مجموعة من المؤرخين والأساتذة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، واختلفت الإجابات فكل مؤرخ يعرض إجابته وفقاً لوجهة نظره الخاصة، ووفقاً لبعض الظروف التي إن وجدت استطاع أن يجيب عن هذا التساؤل، ولهذا وجدت مجموعة من الآراء تمثل رأي المؤرخ وفكره.

وقبل أن نوضح الفروق بين التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا، يستوجب الأمر أن نشير إلى أن أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاثة دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة، فالزمان هو الذي يجعل للحادثة التاريخية صفتها التاريخية، ومن المستحيل تماماً تصور أي حادثة تاريخية خارج نطاق الزمن، والزمن الذي نعنيه



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي



المسافات لم يشغلها وميض الفرح

علي سليمان الدبعي - اليمن - تعز

كم مرة وهبتك الرياح
أريج شذاها من زهرة الأبقوان
أنتاك التي عصرتها سكرًا
وسافرت بها مع الذكريات

وقالوا : أنت كطرفة

تحمل رسالة موتك

فلم تستجب ولم تلتفت لنصل السهام

وسفك دمانك لأجل ماذا؟!

لأجلها أم لكبرياء جنونك؟

إذا أنت قتيل جنونك

شاهد الهيام

وفي شهقة موتك

حمامم روحك توزع الأغنيات

وتنبت على مشارف قبرك

زهرة أبقوان

تسافر وأنت لم تبارح ذلك
تسافر وأنت الذي من لهيب الضراق اكتويت
وتأبى البقاء على شرفة الوقت المريح
(فؤادك لن تستقر به الأغنيات)

تستظل بحر التردد

وينهش فيك الندم

ويهتف فيك النداء البعيد

تحاول أن تحرق الضوء

وتحرق خطاك الطريق

وتبقى كما أنت رهين الشتات

ليكبر فيك الضياع

وتخبو جذوة الأمنيات

أيا دنيا ما بيننا؟

سوى ساعة الاحتضار لعمر الحياة

موصد بالفراع

والمسافات لم يشغلها وميض الفرح

وانجلترا وهولندا وإيطاليا، وأشاروا إليها في عهد بطرس الأكبر (1689-1725) "أوروبات" ويظهر من اللفظ إدراكهم للتنوع والاختلاف، وحاول المفكرون الروس الإبتعاد بروسيا عن الإطار الأوروبي، والاتجاهات الفكرية الأوروبية.

وجهود المفكرين الروس للابتعاد عن الإطار الأوروبي بأفكاره وافتراضاته الفكرية تأثرت بنفس الاتجاهات الفكرية الأوروبية التي يرغبون في الإبتعاد أو الانفصال عنها، ولهذا لم ينظر الروس إلى أنفسهم على أنهم جزء من أوروبا، ولم ينظر الأوروبيون إلى الروس على أنهم جزء من أوروبا، وكانت منطقة البلقان والبحر المتوسط في النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تمثل أطراف أوروبا.

والتاريخ الأوروبي يحتوي على ثلاث معطيات تتمثل في تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية بحدود القارات الحالية، وأن كل دولة معاصرة لها تاريخ، وأن التاريخ الأوروبي جوهر هذه التواريخ القومية، وتواريخ الدول الصغيرة.

وعلى ذلك يمكن تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية باستخدام الحدود الحالية للقارات، وهذه النظرة تقترض أن كل دولة معاصرة في أوروبا لها تاريخ، والتاريخ الأوروبي هو جوهر هذه التواريخ القومية للدول الصغيرة، كذلك فالتاريخ الأوروبي هو تاريخ ارتقاء أو تدهور العالم الغربي، وذلك يعني أن أوروبا في وقت اتساعها وقوتها وضمتها لبلاد مختلفة تختلف عن أوروبا الضعيفة التي فقدت مستعمراتها.

ويمكن تحديد أوروبا من الناحية الثقافية على أنها تقليد حضاري، والتاريخ الأوروبي هنا هو تاريخ ارتقاء أو تدهور العالم الغربي، وهنا نجد ترابط بين النواحي الثقافية والحضارية، وذلك على أساس أن النواحي الثقافية تتعلق بالأشخاص وكيف يفكرون، وكيف يتعاملون مع الآخرين، أما الحضارة فهي المنتج الذي يفرزه هذا التفاعل.

ونستخلص مما سبق أن مفهوم التاريخ الأوروبي قد اختلف من حقبة زمنية إلى أخرى، فأوروبا العصور الوسطى تختلف عن أوروبا الحديثة، حيث تغيرت معالمها بتغير مستعمراتها في الخارج، حيث أثرت فيها وتأثرت بها، وتختلف عن أوروبا المعاصرة بعد انهيار أيديولوجياتها الإستعمارية في الخارج، وتقلص مساحتها لتقتصر على القارة الأوروبية الصغيرة، وعلى هذا فإننا نرى أن حدود القارة الأوروبية المتغيرة قد أثرت في تفسير مفهوم التاريخ الأوروبي، وأثرت في تغيره من مدة زمنية إلى أخرى.

ونخلص من هذا أنه لا يمكن دراسة تاريخ أي دولة أو منطقة بمعزل عن تاريخ أوروبا، وعلى هذا فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيون في أي مكان سواء في القارة الأوروبية أم في أمريكا أو أفريقيا أو آسيا.

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقيم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزاً بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق

وعلاقتها مع غيرها، فنجد أن التاريخ الأوروبي لم يكن سوى تاريخ يرى فقط بأعين أوروبا وبرؤية أوروبية للتاريخ، وخدمته كل القيم التي استخدمت كأساس للحكم، وهي مجد الدولة، والدين الشامل، وفكرة التقدم التي ارتبطت بأوروبا في إشارة إلى تفوقها وسيادتها.

ومن هنا ارتبطت فكرة التاريخ بالمؤسسات الاجتماعية التي وقع عليها حكم المجتمع مثل الكنيسة والدولة والحزب السياسي، فالتاريخ هنا يخدم قضية أو مشاريع أولئك الذين يمثلهم، في محاولة لمقارنة ماضي وحاضر الدول الأوروبية مع المجتمعات الأخرى.

ويرى آخرون أنه ليس هناك تاريخ أوروبي واحد وإنما تواريخ كثيرة كل منها يتعلق بمشكلة محددة أو سياق محدد ولذلك يجب التمييز بينه من النواحي الجغرافية والزمانية، فمثلاً المؤرخين البريطانيين يرون أن التاريخ الأوروبي هو تاريخ القارة الأوروبية فقط ولا يشمل بريطانيا الجزيرة المنعزلة عنها جغرافياً، أما مؤرخي القارة الآخرين فيرون أن التاريخ الأوروبي يشمل بريطانيا العظمى التي لم تكن تغيب عنها الشمس أيضاً. وينظر هؤلاء إلى الولايات المتحدة على أنها مجرد امتداد للتاريخ الأوروبي.

أما المؤرخون الروس فقد كانت أوروبا هي المعيار الذي قيم به الروس أنفسهم، وكان واجباً على المؤرخ الروسي أن يدرس ويفهم الظروف الأوروبية وثيقة الصلة بروسيا في وقت معين، فيما يتعلق بقضية معينة، وهذه الرؤية توضح أن الشيء ذو الأهمية لروسيا ليس بالضرورة أن يشكل أهمية بالنسبة لأوروبا.

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقيم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزاً بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت منذ منتصف القرن السابع عشر حيث أقامت موسكو علاقات تجارية ودبلوماسية وثقافية قوية مع الدول الأوروبية، وبصفة خاصة مع بولندا وألمانيا والسويد

ويقصدون بتاريخها تاريخ التجمعات الإنسانية التي تعيش عليها وتعمرها، ونتاجها الثقافي والفكري والأثري. ولكن أصحاب هذا الاتجاه وجدوا أنفسهم في حيرة حول المعنى الحقيقي للمنطقة المسماة أوروبا، لذلك اختلف المؤرخون حول المعنى الحقيقي لتاريخ أوروبا، فبعضهم اعتمد على عامل الزمان، بينما ركز بعضهم على عامل المكان، وبما أن التاريخ الأوروبي هو في مجمله تاريخ، فإنه لا بد أن يكون نتيجة لتفاعل الإنسان مع المكان في وجود عامل الزمان.

وفيما يخص عامل الزمان، فإن القارة الأوروبية قد اختلفت من قرن إلى آخر، فآلهند كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، كذلك الأمريكتين كانت مستعمرة لعدد من الدول الأوروبية، لكن حينما نالت أمريكا استقلالها فإن مساحة أوروبا قد تقلصت عن الأحقاب السابقة.

أما عن عامل المكان، فقد اختلف معنى التاريخ الأوروبي تبعاً لإختلاف المكان، فنجد أن حدود القارة الأوروبية متغيرة، فهي لا تشمل الدول الداخلية في القارة فقط، وإنما تشمل على مستعمراتها الأوروبية في الخارج مثل الهند التي كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، وبالتالي تأثرت الدول الأوروبية بالدول التي قامت باستعمارها، فنجد أنها تأثرت ثقافياً وحضارياً بتلك الدول فتقلت حضارتهم إليها مثل حضارات الفينيقيين والعبرانيين والمصريين الفراعنة وغيرهم.

كذلك نجد أنه مع زيادة عدد البلدان التي تحررت من الاستعمار، والتي بدأت تبحث عن أصولها وجذورها، بدأت تتهار فكرة تاريخها الأوروبي والتي لم تكن سوى جزء من أوروبا، وبأعين الأوروبيين، وذلك يعني أن الدول التي كانت تابعة لأوروبا، والتي كانت تشكل التاريخ الأوروبي في وقت معين حين استقلت عن أوروبا، أعيد تشكيل خريطة أوروبا من جديد، وتاريخ أوروبي جديد، ليس به تلك المستعمرات، وهو ما يوضح أن التاريخ الأوروبي اختلف من حقبة تاريخية إلى أخرى تبعاً لعامل المكان أو تبعاً للمساحة التي كان ينظر إليها على أنها جزء من القارة الأوروبية.

وذهب البعض إلى أن التاريخ الأوروبي ممكن أن يتطابق مع تاريخ أوروبا الذي هو تاريخ الشعوب الأوروبية وثقافتها والأراضي التي يحتلونها، واختلف البعض مع هذا الرأي فيرون أنه إن كان هناك تشابه أو تطابق بين اللغتين، فإن هناك اختلافاً كبيراً في مفردات كل من التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا على أساس أن تاريخ أوروبا هو تاريخ القارة الأوروبية جغرافياً والبشر الذين يعيشون عليها، أما التاريخ الأوروبي فهو تاريخ الأوروبيين سواء كانوا على أرض أوروبا أم لا متضمناً الشعوب والأراضي التي بقيت مرتبطة باستمرار بأوروبا.

ومن هنا نرى أن التاريخ الأوروبي ينظر إلى أوروبا



شاماني يقوم بأحد الطقوس



ظل الإنسان.. تنعائر سوداء

... وبعد مدة من الزمان (تطول أو تقصر)، يعود الميت مرة أخرى ليقض مضاجع الأحياء" هكذا كانت التصرفات الغربية في أماكن مثل جبال "الهمالايا" وبين قبائل "الليبو" و"الشربا" تعزى جميعاً إلى عالم خاص، عالم مجهول شديد الغموض.

الميت العائد حسبما يؤمن القوم في شعب "الليبو"، هو الإنسان عندما يموت ميته الطبيعية، فإن "الشاماني" (الذي يؤدي شعائر الدفن) يذهب في صحبة هذا الميت إلى العالم الآخر... ويعتقد أهل "الليبو" أن هذا العالم يقع إلى الغرب من عالمهم إلى جانب الشمس والقمر، وبالرغم من هذا فإن ضوءهما لا يخفي هذا العالم، بل إن ضوءهما يسطع خافتاً إلى جواره...

في "ليبانج" ظهرت إحدى الحالات، وذلك عند ما نسي أهل الدار قطة داخل الدار التي أغلقت في ليلة التهجد على جثمان الجدة المتوفاة، هذه القطة راحت تتمسح في الجسد المسجي، فعلت هذه القطة نجست الجسد المتوفى، مما جعل هذه الجدة لا تصل أبداً إلى مرحلة الأسلاف. ونادراً ما تحدث مثل هذه الحالات، فقد جرت العادة أن الميت يصل إلى منتهاه في قرية الموتى، وذلك بفضل الأحياء الذين يوفون بالعهد دائماً.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعرف أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع، وفي الحقيقة فإن معايير التقاليد هناك تتطلب ألا يطمح الشاماني في الربحية طالما أن روحه الحارسة تطالبه بأن

الميت العائد حسبما يؤمن القوم في شعب "الليبو"، هو الإنسان عندما يموت ميته الطبيعية، فإن "الشاماني" (الذي يؤدي شعائر الدفن) يذهب في صحبة هذا الميت إلى العالم الآخر... ويعتقد أهل "الليبو" أن هذا العالم يقع إلى الغرب من عالمهم إلى جانب الشمس والقمر، وبالرغم من هذا فإن ضوءهما لا يخفي هذا العالم، بل إن ضوءهما يسطع خافتاً إلى جواره...

وفي نهاية رحلته يصل "الشاماني" بالميت إلى منطقة البحيرات، ليغرقه في بحر الدموع، الذي يمتد وراءه أول حد لقرية الموت، وهناك ينادي على الأسلاف البادية ظلالم على الصفة الأخرى، و... ويطلب منهم أن يعتنوا به... وفي هذه الأثناء، تتعلق به بعض الأرواح، وتصاحبه إلى عالم الأحياء... عالمنا.

على أي حال فإن هذه الطقوس ليست سرية تماماً بالنسبة للأحياء هناك، إذ إن هذه الشعائر تؤدي أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

ويعيش كل سكان القرية في منازل صغيرة، ويقدم حديثو الموت في مساكن تشبه مساكن "الليمبو" هذه الأيام، أما الموتى منذ مدة طويلة فإنهم (بطبيعة الحال) يعيشون في منزل كبير نسبياً.

وفي المقابلات التي توالى إجرائها مع شيوخ القبيلة



د. هاني حجاج - مصر

كاتب ومترجم

والشاماني يحتاج في عمله إلى آلة موسيقية، إنها آلة تشبه الطبلية، تخترق جلدتها فتحات صغيرة لاستقبال الأرواح التي يستدعيها الشاماني أثناء أداء الشعيرة. ويستخدم الشاماني أداة تشبه السوط يستخدمها في طرد الأرواح التي سبب أذى للمكابين، أما العصا والخيزرانة التي كان يستخدمها الشاماني من قبل فلم يعد يستخدمها إلا الدراويش.

ومع شعائر معينة يستخدم الشاماني مرآة، ودلوا ممثلي بالماء، كما أنه يستخدم في بعض الأحيان - كنتيجة لتأثير الإسلام - المسابح وكتب الصلوات (التي لا تقرأ، بل ولعلها لا تفتح من الأصل في أغلب الأحوال).

والشاماني يقيم مذبحاً صغيراً يحتفظ فيه بأدواته والأطعمة التي يقدمها إلى الأرواح، ولذلك يحجز منطقة شديدة الخصوصية في حالة طهارة شعائرية وذلك كي تستخدمها الأرواح التي يعتقدون إنها ترتبط بمصير عائلته الشاماني.

وعمليات الرصد البحثية تجد أن جلسة تحضير الأرواح الشاماني معني واضحاً بالنسبة للمشاركين فيها، لأنها تمثل رحلة الشاماني إلى العوالم الأخرى بحثاً عن روح المكابد، أو زيارة روح يتوقعون منها المساعدة، أو في البحث عن روح شريفة والمحاولة في التخلص منها.

والمعلومات المتاحة الآن تؤكد وجود حاجات اجتماعية

يكون زاهداً، أما بالنسبة لمركز الشاماني الاجتماعي فقد انحط على مرور الزمن خصوصاً بعد اعتناق الإسلام. والشاماني مثل العديد من المهن يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة، فالشامانيون في شعوب الأوزبك والتادجيك يغلب عليهم أن يكونوا من النساء، وبالنسبة للقوزاقين، والتركمانيين، والقرغيز، والكاركلباك، والأوكر فيغلب عليهم أن يكونوا رجالاً، ومرة أخرى فإن دخول الإسلام - الذي حد من انتشار النشاط الاجتماعي للشامانية هو الذي أدى إلى أن يقتصر النشاط الشاماني تقريباً إلى محيط المرأة.

أما الأدوات التي يستخدمها الشاماني، فإنه يرتدي ثياباً بيضاء غالباً (على الأقل أثناء تأدية الشعائر) وبعض الشامانيين الرجال يحيون ارتداء أزياء النساء (وهذه العادة كانت منتشرة في واحة خوارزم ووادي فيرجانا)، ويمكن تفسير عادة التخث في الثياب هذه (التي يعود تاريخها إلى الحقبة السقراطية) بالمعتقد القديم الذي كان سائداً في آسيا الوسطى بأن الروح الحارسة للشاماني كانت أنثى في الأصل، لهذا فإنها تحب أن ترى نفسها وهي محتواة في الشاماني (في المظهر الخارجي على الأقل)، هذه الفكرة يعارضها باحثون مثل "بوجوراس" و"سترانبرج" الذي يعتقد بوجود علاقة جنسية بين الشاماني وروحه الحارسة.

هذه الطقوس ليست سرية تماماً بالنسبة للأحياء هناك، إذ إن هذه الشعائر تؤدي أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعرف أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع.



الشاماني ليس إلا وارتاً لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع

والألعاب السحرية بغرض تهيئة الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني، وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)، ويضع الشاماني في أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي"، وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفافة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السمرديية لجواز المرور بين العوالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب)، الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تثور فيه تساؤلات معينة لا بد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية، يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثروبولوجي وأيضاً السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً معرفياً وأخلاقياً في الوقت نفسه.

الجمعي للطقوس المقدسة.

وفي حقيقة الأمر فإن اختيار الشاماني يتحكم فيه بالدرجة الأولى المجتمع الذي يكافح تحت وطأة تغييرات اجتماعية وثقافية لا ترحم، وتصرفات الأفراد الذين يعانون من هذا التغيير، وصنع الشاماني هنا يعد استجابة للقلق الاجتماعي والنفسي من جراء هذا التغيير، وفي هذه الحالة فإن تبني دور الشاماني (الذي يتحقق بدرجات متفاوتة من النجاح) يتم السعي وراءه وتبريره كدفاع ضد أحداث لا يمكن السيطرة عليها، كما يؤكد "ليني ستراوس" في نص شهير له لكي يضرب مثلاً على الدور الذي تلعبه الشامانية في مواجهه نزعات علم النفس المرضي، فإنه إذا كانت نسبة حدوث العصابيات والذهانيات تحت تأثير الاحتكاكات الحضارية، تتجه إلى الارتقاء في الجماعات التي لا تلعب فيها الشامانية أي دور، بينما في المجتمعات الأخرى فإن الشامانية نفسها هي التي تتطور، وإنما بدون نمو مناظر في المشكلات العقلية.

الذين تمكنوا من حضور بعض جلسات الشاماني، قد استطاعوا تسجيل شيء من الترائيل التي تعد جوهر هذه الجلسات، والكلام عن هذه الجلسات وما يدور فيها شرحه يطول لذلك سوف نقتصر هنا على تحديد الملامح الرئيسية لتلك الجلسات.

إن أساس هذه الجلسات كان تجلي في هذه الحقبة التي كان يتمتع فيها الشاماني بالقدرة على تجسيد الأرواح، كما أن تلك الجلسات المحدودة قد خلقت بالطبع من التأثيرات المسرحية الأخرى على غرار قرع الطبول والرقص

خشية أن تستمر في ممارستها المخيولة قد تمكنت من الفرار برغم القيود، وذلك أن روحها الحارسة قد أطلقت سراحها عبر المدخنة، وهذه الروح، أتت من رجل تقي صالح في زعمهم، فاصطحبها معه إلى الجبال المحيطة، وهناك تولي مهمة تعليمها وتعريفها بالأزمة الخوالي، وعلمها الكثير من الممارسات الشامانية: "ابتهلي من أجل الحياة الحاضرة، ومن أجل الحياة الآخرة، ابتهلي من أجل الناس، ابتهلي من أجل السعادة والعمر المديد، ابتهلي من أجل الرخاء والخصوبة".

وفي هذا ما يدل على نوع من التعليم تم تلقيه من خلال الأحلام، وهذه الأحلام لا تلعب دوراً مهماً في الممارسات الشامانية فحسب، بل إن لها دوراً مهماً جداً في الإدراك بكافة المعارف الخاصة بالشعيرة الشامانية.

وفي الواقع ليس هناك تقليد معين لتلقي الشخص المختار تعاليمه عن طريق شاماني ذو خبرة، فهذا الاتجاه مشكوك في صحته، ولكن هذا لا يمنع بطبيعة الحال الإنسان الطموح من السؤال الاستفسار عما يعن له، الحقيقة أن الأمر كله يتوقف على استعداده لاعتناق دوره ...

إلا أن معظم المعلومات الأثنوجرافية التي تشكلت حيثيات الأحكام في موضع شخصه الشاماني إنما أتت من مجتمعات تطبعت ثقافياً أو - على الأقل تمر بعملية تحول ثقافي عديد التسارع - مثل منطقة سيبيريا (وهي إحدى المناطق المحقق وجود الشامانية بها) كانت في غمار مرحلة تحول ثقافي في الوقت الذي بدأت فيه أول البحوث، والأمر ذاته بالنسبة لأمريكا الجنوبية، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار الشاماني بأنه شخص هامشي، شخصيته غير مستقرة، يعاني من عدم القدرة على الاندماج والتوافق لهذا فهو ينزع إلى العزلة والتوصف، ويجد في الشامانية وواجباتها حلاً لمشكلاته الشخصية وأزماته النفسية، إلا أنه في بعض الأماكن في أمريكا الجنوبية يكون للشاماني تألقاً اجتماعياً أكبر، إذ إن استدعائه ليؤدي الشعائر الشامانية يتم عن طريق الجماعات وليس الأفراد، وحتى في أثناء تلك الشعائر التي يؤديها فإنه يتحول إلى تجسيد حي لكل قيم جماعته، ومثل جميع الشعائر الأخرى، فإن شكل هذه التجربة ومضمونها وقيمها الروحية والمادية تحتشد في أنماط ثقافية، هذه الأنماط يجب أن ينقلها الشاماني المخصص في النهاية إلى الشاماني المبتدئ، الذي سوف تحكم الجماعة على قدراته في نهاية الأمر، وهذا التدريب على الشامانية يتطلب قدرات غير عادية مثل الصوم والتسك والاعتزال والإمسك عن الممارسات الجنسية، هذا بالإضافة إلى المجهود العقلي الذي قد يكون أكثر صعوبة، حيث يجب أن يظهر الشاماني قدراً هائلاً من البراعة الحرفية، ولا بد أن يمتلك الشاماني سعة الخيال والقدرة على الابتكار، وأن يكون قادراً على ارتجال الترائيل وإيجاد مساهمات شخصية إلى التراث

معينة كانت السبب في ظهور الشامانية، وليس على خصائص نفسية معينة لعدد محدود من الأفراد، واختيار المرشحين محدود بصفات معينة، مثل أن يعرف كيف يغني؟ وكيف يدق على الطبل؟ وأن يملك كامل السيطرة على جسده، وأن يتسم بالحساسية وخفة اليد وثقة زائدة بقدراته الخاصة وأن يكون متأكداً من مساندة الروح الحارسة له قبل أن يضع هذه القدرات موضع الاستخدام. والشاماني يبدأ مهمته بالسقوط في غيبوبة هي أقرب إلى حالات الهياج، نوبات التشنج يعتقدون أنها تطور طبيعي ومنطقي من إملاء الروح الحارسة، ثم يبدأ ابتهالاته الشامانية، وهي مزيج عجيب من الموسيقي والشعر والمقامات، ويؤمن الأوزبك أن موهبة الشاماني الفنائية هي من تأثير الأرواح، وأن منشد الشعر الملحي "ماناس" هو الذي يعلمه هذا الفن في الأحلام.

ولا ينبغي النظر إلى النجاح الغير عادي للشامانية المدنية على أنه أمر محدود بدوره الطبي، كما يقول الباحث "جان بييرشوميل"، فمن الواضح أن الشامانية: قد أصبحت الآن جزءاً من الحياة السياسية لعظم دول أمريكا اللاتينية، فالعديد من المرشحين للوظائف المهمة يتقدمون ويفوزون بها (جزئياً على الأقل) على أساس أنهم على علاقة (حقيقية أو غير حقيقية) بالشاماني المعروفين.

ففي مايو 1991 دعي "البرتو فوجيموري" رئيس بيرو شخصياً إلى "ليما" المعالج البرازيلي الشهير لعلاج "فوجيموري" من كسر كان مؤملاً للغاية، وقد امتلأ إستاذ "ليما" الكبير بعشرات الآلاف من المرض الذين جاءوا للعلاج بجانب رئيسهم، وعلى الرغم من أن معجزات البرازيلي كانت محبطة إلا أن خزانته كانت تحوي معجزات أخرى: إذ إن تمثالين من تماثيل العذراء في ميناء "كالو" بالقرب من "ليما"، بدأ في البكاء وبعدها كان آلاف المؤمنين المحبطين من صانع المعجزات البرازيلي قد اندفعوا ليتجمعوا أمام التمثالين الباكين، وكان من بينهم الرئيس "فوجيموري"، وقد اعترف فيما بعد بأنه طلب من العذراء المساعدة في إعطاء الأمل للشعب.

وإن أكثر الكلمات شيوعاً في الاستخدام لتسمية الشامانية قد اشتقت في الأصل من المصطلح التركي (كام kam)، حيث تدين أشكال الشامانية في وسط آسيا في ما يتعلق بتجانسها النسبي إلى تقليد عام مشترك وإلى تأثيرات الديانة الإسلامية، التي تتميز في اتجاهين واضحين يتوافقان مع مجموعتين عرقيتين تسكنان هذه المنطقة، المجموعة الأولى تتحدث التركية، والأخرى تتكلم الإيرانية.

والواجبات التي يشترك فيها كافة الشامانيين في منطقة وسط آسيا هي تشخيص أسباب المرض وعلاجها، البحث عن الأشخاص المفقودين، الكشف عن الأشياء المسروقة، وهذه الواجبات التي يقومون بها قد تقلصت إلى حد كبير

عندما بدأ العرافون والمعالجون يحلون محلهم، والانتشار الشعبي هنا ليس بالضرورة في صالح الشاماني، لأن العرافين والمطبيين يجرون بدورهم مراسم احتفال تشبه بدورها طقوس الشاماني. ومثله فإنهم يحاولون الاتصال بالأرواح.

أما البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء، فكانت عندما بدأ "تايلور" (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارتاً لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع، وقد سارع كثير من الباحثين الروس (ومنهم خاروزين وميخائيلوفيسكي وأنوكسين وبوتانين وكاجاروف وكسينوتوف وغيرهم) إلى متابعة هذه الدعوى، كما استمر البعض منهم (فينشتاين والكشيف وميخائيلوف وسميتشوف) في دعم هذا الجدل وتأييد، حتى بالرغم من أنه قد ثبت بالفعل خطؤه بعد تنفيذة منذ زمن طويل.

واعتماداً على المعلومات التي جمعت من منطقة وسط آسيا، يعد حامل الأرواح التي يتم التحرر منها من خلال الممارسات الشامانية محملاً بالعلل والأسقام، والحقيقة أن هذا المرض يعد أمراً لا بد منها منه، ويرى فيه الأوزبك والقرغيز عرفاناً بالجميل وعلامة على رضا الأرواح، وحتى وإن كان واضحاً بالنسبة للجميع أنه يتم استدعاء الشاماني لكي يتأكد من التشخيص الصحيح، ويعتقدون أن الأرواح لا بد وأن تحمل الشاماني الصغير إلى العالم السفلي وأن سبب المرض يكمن في كونه تخفيه هناك في خلال أغصان شجرة الحياة، وأن توفر له القوة وأن تحيطه بالرعاية والحنان بغرض إعادة خلق هذا الشخص المختار.

إنها تقطع جسمه إرباً وتطهوه، حتى تستطيع أن تأكل اللحم، ثم إنها بعد ذلك تقوم بتلفيق أعضاء معينة من الجسد مع بعضها البعض، وذلك قبل أن ترده إلى الحياة مرة أخرى.

ويحدثنا "رادولف" (1893) عن شامانية من الأوزبك اسمها "أوتشيل" من منطقة "سمرقند"، هذه المرأة كانت روحها الحارسة (حسب أقوال رجل عجوز صالح هناك) أنها كانت لرجل تقي أمراً أن تصبح شامانية حتى تقذف البشر، لقد جنت هذه المرأة وصارت سلوكها مثيراً للخرق والعار، حتى بلغ بها الأمر إلى حد إلقاء ابنها من سطح الدار، حتى طفح الكيل بزوجها فقيد يديها ورجليها وحبسها في غرفتها.

ويقول القوم: إن تلك المرأة التي حبسها زوجها في الدار

www.fikrmag.com العدد 11 - مايو - يوليو 2015

www.fikrmag.com العدد 11 - مايو - يوليو 2015

وجوه التمرد في أقصوصة: "الجدار العالي"

لإبراهيم درغوثي



عبّاس سليمان - تونس

الجدار العالي¹ أقصوصة من أقاصيص إبراهيم درغوثي كتبها خلال سنة 2009 أي بعد أكثر من عشرين عاما من أنخراطه في التأليف والنشر. جاءت ضمن مجموعته "منازل الكلام"² ثم ضمّتها مختاراته القصصية التي سماها "تصبحون على خير". قرأناها فأثارت فينا قراءتها الحيرة والتساؤل ونروم أن نضمّن هذه الورقة الحيرة التي ركبتنا والأسئلة التي ثارت فينا.

ونريد أن نبيّن منذ البدء أنّ مدار حيرتنا وأسئلتنا كان ما حفل به هذا النصّ من تعدّد لوجوه العدول والإرباك أو وجوه التمرد، التي ظهرت جليّة في الشكّل وفي المضمون، والتي سنشير بشكل برقيّ إلى أنّها تعلّقت بتعالق خصائص النصّ الشفاهي بخصائص النصّ المكتوب وبوقوف الكاتب مرارا ومطوّلاً عند التفاصيل الدقيقة وباختلاط الحقيقيّ بالمجازيّ بشكل مربك ويتداخل المعجم الفصيح بالمعجم العامّي في مواطن عديدة وبالغموض الذي اكتنف النصّ برغم ما تخلّله من توضيحات وما تلا مفرداته وجمله من شروح وتعليقات.

وعلى أهميّة هذه الوجوه التي ذكرنا فإنّنا سنعدّل عنها جميعا لنركّز اهتمامنا على وجه عدول واحد وجدناه أعمق وأشدّ للانتباه وأكثر جليّاً للاستفادة (على اعتبار أنّنا متفقون على أنّ النقد الأدبيّ إنّما يستفيد ويثري نفسه، ويطوّر آليّاته وطرائقه واتجاهاته انطلاقاً من النصّوص) ووجه العدول الذي نقصد هو ما ظهر في الأقصوصة من تداخل ظاهر بين الكاتب والسارد وهو تداخل سندرسة دراسة كميّة من خلال إحصاء أخضعناه إليه ثم سنترجّح نحو قراءة ما توجّه به نتائج الإحصاء تحليلاً وتأويلاً.

فقد احتوت أقصوصة "الجدار العالي" موضوع دراستنا هذه على 197 سطراً تعلّقت منها بالسارد 56 فيما ذهبت البقية وعددها 140 إلى الكاتب وعلى 82 جملة لم يحز منها السارد على غير 33. بينما ذهبت إلى الكاتب 49 وعلى 1747 كلمة أخذ منها السارد 489 فيما ارتبطت

البقية الباقية وقدرها 1258 بالكاتب.

ويقودنا هذا الإحصاء الى استنتاج لا ليس فيه مفاده هيمنة الذات الكاتبة على الذات الساردة واحتلالها في مساحة النصّ وفي ذهن المتلقّي مساحة فوق العادية افتكّتها عبر تدخّلاتها المتكرّرة التي تراوحت بين كلمتين أحياناً وأزيد من صفحة كاملة أحياناً أخرى.

نحن أولاً إزاء كاتب جرّد من نفسه سارداً وأوكل له أن يقصّ علينا حكاية رجل الجدار العالي، ولكنّه بدأ منذ السطور الأولى ينازعه مهمّته ويفتكّ منه دوره ويفرض عليه وعلينا نفسه.

ونحن ثانياً إزاء سارد يفقد منذ بدايات النصّ وقبل أن يصيبه التّعب أو الملل أو يلمّ به التّسيان السّيطرة على السرد ويفقد تقريباً دوره وإشعاعه حتّى ليكاد يُنسى وذلك لفائدة كاتب بدا له أنّه أقدر من سارده على الاضطلاع بمهمة الحكّي هذه، وعلى إيصال القصّة إلى القارئ كما يريد ما أن تصل: "ركن السّيارة الفارشة في الظلّ الممدود تحت الجدار العالي، وأسكت المحرّك بعصبيّة ظهرت في حركات أصابعه، وفي التّقطيعة بين الحاجبين، ثمّ دسّ المفتاح في حافظة جلديّة أخرجها من جيبه، ومدّ يده إلى قارورة صغيرة من العطر الفاخر(في الظاهر فقط، أمّا في الحقيقة فهو مغشوش/فالمصو، لأنّه مصنوع -سوليبيانس- في إحدى البلدان العربية) ص 78.

إنّنا إزاء انقلاب عناصره ثلاثة: البطل وهو الذات الكاتبة أي الذات الحقيقيّة (إبراهيم الكاتب)، والصّحية وهي الذات المتخيّلة (إبراهيم السارد) - فيما سنترك 2 للقارئ أن يحسم إن كان المسرود له ضحيّة هذا الانقلاب أم مستفيداً منه- وأدواته عملية اختراق هي اختراق كلام المؤلّف خطاب السارد اختراقاً توزّع بين الشرح والتعليق والتكذيب والتّصويب والسّخرية والتّعقيب حتّى ليتوهّم المسرود له أنّه إزاء شخصين لا شخصيّة واحدة جرّدت من نفسها حكاء تحيّلته.

وتقودنا هذه الاستنتاجات الأولىّ إلى الملاحظات التّقدّيّة الآتية:

1 - أصبح هذا النصّ بفعل هذا التّوزيع وفعل هذا التّوزيع الجديد للأدوار وهذه الإضافات المتراوحة بين الشّروح و التّعقيبات والتّكذيبات والهزء متمّعا بحيويّة غير عاديّة ما كانت لتتحقّق لو حافظ صاحبه على قطبين أحدهما بيتّ وهو السارد، وثانيهما يكتفي بالتّقبّل وهو القارئ، وذلك عندما أضاف قطباً ثالثاً ظاهراً غير مستتر هو الكاتب الحقيقيّ، فتحولّ المقروء من مشترك بين اثنين إلى جامع لثلاثة رؤوس، ومن مقروء عاديّ إلى مقروء مُربك محفّز على التّفكير، وفتح أبواب على النقد الجديدة، وتغيّرت وجهة النصّ القصصيّ من الانفتاح على شريحة عريضة من القراء إلى التّوجّه المخصوص نحو فئة هي فئة القراء المفكرين. أصبح النصّ إذا منتجاً لا للخيلات والمتعة والأحلام، بل لنوع جديد من القراء قادر على الحفر في ثنايا ومقاصد الأدب.

يتبدّى إذا أنّ من وجوه التمرد في هذا النصّ توسيع دائرة الأطراف المتدخّلة في الوضعيّة التواصلية برمتها عبر إضافة عنصر ثالث إضافة لم تأت عرضيّة ولا عاديّة، وعبر السّعي نحو الارتقاء بالمقروء من المعتاد إلى العجيب، وإيجاد صنف جديد من القراء يؤمنون بالقراءة المفكّرة الفاعلة المنتجة.

2 - ليس صعباً أن نتفق على تأويل آخر مفاده أنّ القصّة في حدّ ذاتها قد ذابت في خضمّ الجدل بين السارد والكاتب ويكفي الرجوع إلى نتائج الإحصاء الذي استهللنا به المداخلة للتأكد من ذلك، ومفاده أنّ مركز الأدوار، حتّى أنّه لم يعد ينتظر مأل الأحداث إنّما تدخّل الكاتب لردع السارد أو كشف سوء نواياه، أو توضيح ما أضمر إغماضه، أو التعليق عمّا أورده أو السّخرية من محتوى سرده ومن كينيّة نقله، أو تكذيب خبر من أخبار حكايته، ثمّ تصحيح الأمر بعد ذلك على طريقتة. "كان كلّما اقترب أحد الرّجال من المدخل،(مدخل بناية الجدار العالي الذي ذكره السارد في بداية القصّة، ولكنّه سكت عن التفاصيل) رأى وكأنّ رمحين متقاطعين يسدّانه. ثمّ وكأنّ بدأ تدسّ داخل جوفه (يعني جوف الرّجل الذي تقدّم ناحية الرّمحين) ص: 84

ولا يمكن تأويل كلامنا هذا سوى في اتّجاه إصرار الكاتب على تشييد جدار عال لا يضاهاي طوله بقيّة الأطوال أي على بناء نصّ جديد يعدل فيه عن تكثيف الأحداث وإبرادها جافّة ليخرجه بشكل جديد، يصبح فيه التعليق عن الحدث أهمّ من الحدث في حدّ ذاته، ويصبح فيه للقارئ حقّ في التمتعّ بالتّعقيب والشّروح والتّصحيح والتّكذيب.

3 - لنا أن نستنتج أيضاً أنّ الكاتب قد وفقّ من خلال

هذا التّوزيع الجديد للأدوار، ومن خلال هذا التّعدد المقصود للأصوات في أن يجعل قارئه يعيش الاضطراب والارتباك بخصوص حدود كلّ من السارد والكاتب، أو حدود كلّ من المجاز والواقع، فصي اللحظة التي يصدّق فيها هذا القارئ انسياب الخيال يتدخّل الواقع هازئاً أو مكذباً أو معلقاً أو واصفاً أو مفسّراً بما يعني إيمان الكاتب بأنّ الخيال لم يعد مثيراً إثارة الواقع، وبأنّ الواقع تجاوز في إثارته وإرباكه كلّ حدود المجاز.

تمحي إذا الحدود بين الخيال والواقع من خلال تدخّل الكاتب في السرد تدخّلاً يعمد فيه إلى استعمال ضمير المتكلم الذي هو ضمير الاعتراف وإلى إخراج هويّته كاملة واضحة للقارئ: "وأنا، أي إبراهيم بن محمّد بن خليفة الدرغوثي بلحمه وشحمه أراقب الموقع من بعيد" ص 85- وقد تكرّر تدخّل الكاتب للتعريف بنفسه ثلاث مرّات بأساليب مختلفة - كما تمحي الحدود بين الأصل والفرع بشكل يضاعف حيرة المتلقّي حتّى أنّه ليسأل وهو يقرأ: من يثور على من؟ لينتبه في الأخير إلى أنّ الثّورة ليست سوى من الكاتب على نفسه الأمّارة في البداية بايجاد سارد، والأمّارة بعد البداية بالتمرد عليه. يثور الكاتب على نفسه ويحتجّ على نهجه السّابق في الكتابة، وعلى تقنيته القديمة في البناء، وعلى كلّ الأنهج والتقنيات في اتّجاه اعتماد تقنية، تحقّق جدراً عالياً أعلى من جدرانها السّابقة وأعلى من الجدران المجاورة.

يثور الكاتب على صوته الذي جرّده منه، فيسكته دائماً بالحلول محلّه بمت صوت جديد مختلف يحقّق الجدّة والطرافة، ويشدّد الأسماع بغية الخروج بالنصّ القصصيّ إلى مدارات أرقى.

إنّنا لا نستطيع أن نفهم العلاقة بين العنوان "الجدار العالي" والأقصوصة إلاّ في هذا الاتّجاه، اتّجاه إصرار الكاتب على بناء نصّ جديد ينهل من التقنيات القديمة المتعارف عليها كالمقامة والخبر ثمّ يتجاوزها مستفيداً من رؤيته الخاصّة للتّجريب، ومن اطلاعه على تقنيّات السّينما والمسرح المعاصرين، وذلك بغية الوصول إلى نصّ راق وأسلوب في القصّ متفرّد.

إنّ تدخّل الكاتب إذا ليس غير ذريعة لتحويل النصّ القصصيّ من نصّ تقليديّ قائم على انسياب أو تتابع الأحداث إلى نصّ تجريبيّ يربك المتلقّي ويقطع عليه من حين لحن لذة القراءة ليحلّ محلّها إحساس الدّهشة وإلحاح السّؤال.

فحكاية الجدار العالي ليست إذا فرصة لكتابة قصّة، إنّما هي فرصة لإنتاج نصّ قصصيّ مختلف، لا يسير وفق قواعد القصّ العاديّ، ولا يؤمن بسلطة السارد ولا تعنيه درجة اطمئنان القارئ ومدى متعته، ولا تهّمه متانة الأحداث، إنّما هو ينبني وفق رؤية الكاتب لا السارد، لشكل قصّ جديد بأدوات خاصّة أو مخصوصة. فالمعركة إذا بين السارد والكاتب هي معركة بين التقليد والحداثة

إحالات:

1 - منازل الكلام: مجموعة قصصية / دار إشراق للنشر 2009.

2 - الجدار العالي: من مجموعة الكاتب القصصية: تصبحون على خير / الثقافية للنشر والتوزيع 2012/ص77-87.

وبين الاكتفاء بقصّ أحداث متعاقبة وإقحام مقاطع شرح وتفسير وتعليق وتكذيب وسخرية تززع بنية النصّ وتثريه وتحقّق له التمرّد، وهي بين الاكتفاء بتحقيق اللذة التي يمكن لكلّ قارئ أن ينالها وبثّ الحيرة وتعليم الصبر على النصّ، وهو ما لا يمكن أن يكون متاحاً لكلّ القراء.

فالعنصرية برمتها اقترنت بإعادة تشكيل النصّ القصصيّ التونسيّ أو العربيّ بما يُخرجه عن سيرته الأولى وعن انسيابه المألوف وذلك وفق رغبة في التّجريب وطموح للتّوجه نحو قارئ مختلف سيحطّ النصّ بين يديه إن كان موجوداً وسيبعثه إلى الوجود إن كان مفقوداً.

على سبيل التّليخيص

سارد غامض أو مُغمض يقابله كاتب محبّ للوقوف على التفاصيل.

سارد غير مبال بالقارئ يلقي الخبر كيفما اتفق يقابله كاتب محترّم للقارئ مهووس بإغراقه في الشّروح وفي التّعليق.

سارد غير منتهبه إلى أهميّة التّشويق يقابله كاتب راغب في إثراء النصّ بتقنيات تشويق حديثة أصلها ثابت في فنون كثيرة أخرى.

حكاء تقليديّ يجري منذ بداية النصّ نحو بلوغ الخاتمة يقابله حكاء متمرّد على

تقاليد القصّ المعتادة لئن كان يتبعها قليلاً فإنّه سرعان ما يحلّق بعيداً عنها.

ذات مجازيّة رغبة عن كل تشويش يهّمش النصّ ويبعث المتلقّي تقابلها ذات حقيقيّة لا تهّمها الأحداث في حدّ ذاتها بقدر ما يهّمها إرباك القارئ بحواشي الأحداث.

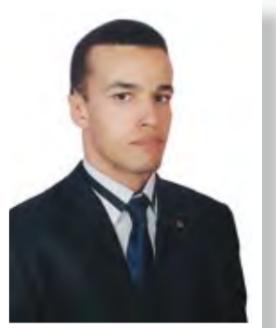
سارد يتّجه نحو قارئ تقليديّ لا يحبّ تعقيد الأمور مقابل كاتب عليم يرغب في الارتقاء عبر تحديث النصّ بقارئه من مجرد التلقّي السّلبّي إلى التّفكير والفعل ومن القراءة التي يعقبها نسيان إلى قراءة يعقبها تذكّر مستمرّ.

ذلك هو وجه التمرد الذي أفردنا له من بين الوجوه الأخرى، التي احتواها النصّ هذه الورقة، والذي أتاحت لنا ترجمته إحصائيّاً الوقوف على استنتاجات وملاحظات نقدية وتأويلات ملخصها: أنّ تمرّد الكاتب على سارده ومن خلاله على النصّ القصصيّ العاديّ إنّما كان بهدف تطوير الأقصوصة والخروج بها نحو أشكال ومضامين أرقى وإيجاد من خلال ذلك كلّ قارئ يتجاوز الوقوف على المتعة إلى الصبر على النصّ ومكابدة مشقّة السّؤال والإحساس بلذّة البحث.



الحدائثة وأزمة التقبل:

عودًا على كتاب فتنة الحدائثة



محمد طيفوري
أكاديمي مغربي

تكمن مشكلة الكاتب قاسم شعيب في سعيه للتبشير بحدائثة خاصة تفتقد إلى المقومات التي تؤهلها للدفاع عن نفسها⁴. فأطروحة الباحث اعترافها من التناقض ما يهد بنيانها من أساسه، سواء على مستوى المفاهيم أو مستوى الاستدلالات. كما وشابها من الغموض والالتباس والأحكام القيمية - بسبب نظرته الفوقية للحدائثة - ما جعلها أقرب إلى حديث لاهوتي منه إلى مقاربة فكرية وعلمية رصينة.

سقط الكاتب في التخبط المعرفي والمنهجي على مستوى المفاهيم في أكثر من مقام طي كتابه، من خلال استحضار ما بعد الحدائثة لانتقاد الحدائثة تارة، واعتبارها وجهين لعملة واحدة تارة أخرى. وأيضًا على مستوى الاستدلالات، وذلك بإساءة توظيف مقولات حدائثة في غير مقامها. واعتماد مقاربة انتقائية مخلة في مناقشة كل من مشروعى المفكرين طه عبد الرحمن وهشام جعيط.

وهذا ما سنعمل على بسط أمثلة منه في القادم من الأسطر، لكن نشير قبلا إلى أن هذه المقالة لا ترمي تبخيس العمل بقدر ما هي استجابة لدعوة للنقاش والتفكير، يفترض أن كل كاتب يتقدم بها لقراءه بعد كل إصدار.

بداية لتوافق على مقدمتين أساسيتين مفادهما الآتي: أولاً: في ظل ضبابية مفهوم الحدائثة لدى الكاتب، والتفافه حول ألفاظ عامة لتحديد ماهيتها مثل قوله: «حدائثة خاصة منطلقة من مفاهيم وقيم مستمدة من الاسلام ونصوصه»⁵. نحدد الحدائثة بأنها ذلك الأفق الكوني الذي تجاوز موطن النشأة وأصبح ملكاً مشاعاً لكل البشر، ويمكن أن نختصر التحديد في عبارة لفيلسوف تلخص هذا المشروع «الحدائثة هي القدرة على الممارسة النقدية». الفكرة ذاتها صاغها المفكر المغربي عبد الله

العروي صياغة بليغة في كتابه " مفهوم العقل " قائلاً: « لا يوجد فكر حديث ويجابه نقد، بل الفكر الحديث كله نقد. هذه هي الثورة الكوبرنيكية، فلا يكفي الكلام عنها بل يجب الكلام بها»⁶.

ثانياً: إن الحدائثة مشروع لم يكتمل من وجهة نظر يورغن هابرماس أحد رواد مدرسة فرانكفورت النقدية، ما يعني معه أن الحدائثة يمكنها أن تصح مسارها في كل مرة، وهي بذلك لا تدعي لنفسها الكمال⁷، بل تعترف في المقابل أنها منظومة ناقصة وقاصرة، وهذا من العناصر التي تستمد منها قوة الصمود في مواجهة البهلولانيات الفكرية لما بعد الحدائثة.

يجمع الكتاب بجملة من الأحكام القيمية والمصادرات من قبيل أن الحدائثة ولدت عرجاء منذ البداية⁸، وأن المسلمين يملكون أسلحة فكرية أقوى من أسلحة الفكر الحدائثي⁹، وأن القرن الثامن عشر في فرنسا سمي عصر الأنوار، رغم أنه لم ينتج فيلسوفاً واحداً يملك نسفاً فلسفياً متكاملًا¹⁰. بل وأحياناً محاكمة النوايا - بعيداً عن أي منهج علمي - كقوله: «لقد كان جعيط في الجزء الأول "الوحي والقرآن والنبى" أكثر تفهماً لظاهرة الوحي والنبوة وأقرب إلى المعقول الاسلامي برغم أنه كان يفعل ذلك تقيّة على ما يبدو»¹¹.

نود في هذا المقام تدقيق النقاش في نقطتين جوهريتين عنت محوريتهما فيما طرحه الكاتب، لما شابهما من غموض والتباس.

الحدائثة والعقل:

يرى الكاتب أن العقل الذي أعلت من قيمته فلسفة الحدائثة، لم يحترم حدوده... وفشل العقل فشلاً ذريعاً وهو يتمدد خارج نطاقه، فسقط الفرد ضحية القلق والتمزق والعدمية¹². بل يذهب أكثر من ذلك حين يعد أن

مقتل الحدائثة يتحدد في تأليه العقل وإعطائه قيمة تتجاوز قدراته في تصورنا. وفي المقابل تم إقصاء الدين وضربه والسخرية منه¹³.

إن الحديث عن إقصاء الحدائثة للدين والسخرية منه لا يعدو أن يكون مجرد افتراء، لأن أسس الحدائثة لا تقوم على القضاء على الشعور الديني بل تهدف فقط إلى تحويل قضاياها من احتكار الإكليروس والفقهاء إلى التأمل الإنساني الحر.

هذا ويبدو أن الباحث هنا يقفز عمداً أو سهواً على الآباء المتكلمين المؤسسين للعقلانية والفكر الديمقراطي في التاريخ الإسلامي، والذين دفعوا حياتهم ثمناً لذلك قبل قرون عصور محاكم التفتيش، وقبل أن يقاد غاليلي إلى المقصلة. ونقصد الأربعة الكبار من أهل القرن الأول الهجري، وهم: معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد ابن درهم والجهنم بن صفوان¹⁴.

يذهب الباحث في ذات النقطة إلى التأكيد على ضرورة معرفة حدود العقل عندما يتعلق الأمر بعلاقته بالإسلام، فالعقل الذي يحترم حدوده - من وجهة نظره - هو وحده الذي لا يتناقض مع الإسلام¹⁵. متناسياً فرقة المعتزلة التي مارست التعقل من داخل المنظومة النصية التي سادت في حقبتها، بل عد العقل أحد الأصول الخمسة التي يقوم عليها الفكر الاعتزالي، وبلغ التعقل بالقاضي عبد الجبار أحد رموزها مبلغاً جعله يناقش ما يجب على الله فعله مما لا يجب عليه من منطلق صفاته الواردة في القرآن.

ونختم بالسؤال عن حدود العقل التي ما فتئ الكاتب يقيم بها الحجة طي كتابه، من يحددها؟ وكيف تضبط؟ وهل هي قابلة للزيادة والنقصان مع تطور الإنسانية أم تبقى ثابتة؟ بمعنى هل حدود عقل الفرد في القرن السابع الهجري سوف تبقى هي ذاتها حدود إنسان يعيش في القرن الحادي والعشرين؟

الحدائثة والإسلام:

يصر الكاتب على أن الحدائثة ولدت عرجاء منذ البداية، ولا سبيل إلى تجاوز مطباتها إلا بالانطلاق من أسس نظرية جديدة لا تهمل في الإنسان أياً من جوانبه، كما فعل ذلك الإسلام من قبل¹⁶. والبديل في نظره حدائثة خاصة تؤسس من مرجعية وقيم إسلامية على اعتبار أن الإنسانية في نظره حتى الآن جربت كل المنظومات والأيديولوجيات الوضعية، ولكنها لم تجرب الإسلام إلا في مدة قصيرة جداً، وفي مساحة جغرافية محدودة بسبب المؤامرات التي حيكت ضده، ولم يكن يوسع تلك الحقبة القصيرة أن تأخذ مداها وتحقق أهدافها¹⁷.

يقح لنا أن نتساءل هنا عن أي إسلام يتحدث الباحث هل "إسلام النص" أم "إسلام التاريخ"، وإذا افترضنا جداً أنه الأول على اعتبار التحفظات التي يسجلها بين الفينة والأخرى على الثاني في كتابه، ففي أي النصوص

سوف نبحت عن الإسلام هل النص الخالص (القرآن) أم النص المؤسّس (الحديث)؟ وفي أي المنظومات سوف يكون ذلك إن قبلنا الافتراض الثاني هل داخل المنظومة السنة أم المنظومة الشيعية أم الدائرة الإباضية؟

كما ونسأل أيضاً عن هذه الحقبة التي طبق فيها الإسلام تطبيقاً كلياً من طرف الإنسانية؟ وكذلك متى استطاعت أيديولوجية بعينها أن تحظى بإجماع الإنسانية قاطبة؟

بسط الباحث تفسيراته بعيداً حين اعتبر أن مشروع العلمنة والتحديث قد فشل في العالم العربي، وهو ما يفسر الثورات العربية التي انطلقت في كل مكان لتطالب الأنظمة العلمانية الفاشلة بالرحيل¹⁸. إذا سلمنا جداً - وهذا غير صحيح - بعلمانية الأنظمة العربية، وصدق نواياها في التحديث لا الحدائثة والفارق بين الأمرين. فالظاهر في المطالب التي رفعت إبان الثورات العربية أنها من مقومات الدول الحديثة من حرية وديمقراطية وكرامة وعدالة... ورفض في المقابل لكل أشكال الاستبداد والقهر والسلطوية من كافة أطراف المجتمع وبمختلف أيديولوجياتهم السياسية ومشاربهم الفكرية رافعين شعار مدنيتها الدولية.

الهوامش:

- 1 - قاسم شعيب: "فتنة الحدائثة" مؤسسة مؤمنون بلا حدود الرباط، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2013.
- 2 - يقدم الكاتب قراءته "النقدية" من خلال قراءة في أعمال بعض المفكرين مثل طه عبد الرحمن وهشام جعيط ومحمد الشرعي.
- 3 - Voir Youssef bilal; le cheik et le calife. Sociologie (2012) religieuse de l'islam politique au Maroc.
- 4 - قاسم شعيب: م. س، ص 7 و 143 و 146.
- 5 - قاسم شعيب، م. س، ص 7.
- 6 - عبد الله العروي: "مفهوم العقل"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1997 ص 12.
- 7 - هذا ما حاول الكاتب انتقاد الحدائثة على مستواه، وهو نقد لم يكن في محله. انظر ص 33.
- 8 - قاسم شعيب، م. س، ص 61.
- 9 - قاسم شعيب: م. س، ص 8.
- 10 - قاسم شعيب: م. س، ص 16.
- 11 - قاسم شعيب: م. س، ص 100.
- 12 - قاسم شعيب: م. س، ص 22.
- 13 - قاسم شعيب: م. س، ص 32.
- 14 - لقد لقي هؤلاء الآباء مصائر مفرغة بسبب تعقلهم، فمعبد الجهني صلب بدمشق على يد الخليفة عبد الملك بن مروان. وغيلان الدمشقي قتل شر مقتله في مجلس الخلفية هشام بن عبد الملك بتقليع أظفاره. بينما قتل الجعد بن درهم على يد الأمير خالد القسري الذي ختم خطبة العيد قائلاً: «ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضج بالجعد بن درهم». في حين قتل الجهنم بن صفوان على يد الأمير سلم بن أحوز بأصبهان.
- 15 - قاسم شعيب: م. س، ص 159.
- 16 - قاسم شعيب: م. س، ص 61.
- 17 - قاسم شعيب: م. س، ص 40.
- 18 - قاسم شعيب: م. س، ص 158.

سقط الكاتب في التخبط المعرفي والمنهجي على مستوى المفاهيم في أكثر من مقام طي كتابه، من خلال استحضار ما بعد الحدائثة لانتقاد الحدائثة تارة، واعتبارها وجهين لعملة واحدة تارة أخرى. وأيضًا على مستوى الاستدلالات، وذلك بإساءة توظيف مقولات حدائثة في غير مقامها. واعتماد مقاربة انتقائية مخلة في مناقشة كل من مشروعى المفكرين طه عبد الرحمن وهشام جعيط.

ويبدو أن الباحث هنا يقفز عمداً أو سهواً على الآباء المتكلمين المؤسسين للعقلانية والفكر الديمقراطي في التاريخ الإسلامي، والذين دفعوا حياتهم ثمناً لذلك قبل قرون عصور محاكم التفتيش، وقبل أن يقاد غاليلي إلى المقصلة.





غادة السمان أيقونة السرد العربي وقصتها "إنهم يدعون الشمس تشرق من إسرائيل"



بقلم: شوقي بدر يوسف
مصر

نشرت هذه القصة في العدد 451 من مجلة الموقف الأدبي السورية في نوفمبر 2008، وقد وصلت بها غادة السمان إلى الذروة في التعبير الفني بالقصة القصيرة عن قضايا مهمة تمس الوجدان العربي في أهم إشكالياته السياسية والثقافية والاجتماعية، وهذه القصة في نظري تعد من أهم القصص التي كتبتها الكاتبة في مسيرتها الإبداعية.

وقصة "يدعون: الشمس تشرق من إسرائيل!!"، تعد من الأعمال القصصية ذات النزعة السياسية وهو نص يضاف إلى محور إبداع المقاومة مع العدو الصهيوني في كتابات المرأة، قدمت به غادة السمان رؤية أدانت فيه الإعلام العربي ووضعت أمام مسئولياته التاريخية والقومية تجاه تعريف العالم بقضايا العرب الملحة من خلال أدبها السردية بكل مقوماته.

وقد حظي أدب غادة السمان بعدد كبير من الدراسات النقدية والكتب البحثية والرسائل الأكاديمية، حقق فيه الكتاب والنقاد والباحثين دور هذه الكاتبة في مجال السرد الحديث. من خلال إبداعها خاصة في مجالات الرواية والقصة القصيرة والسيرة الذاتية، مما يعطى انطباًعاً مهماً عن أهمية إبداع الكاتبة على المستوى العربي والعالمي، فقد صدر عن أدبها العديد من الكتب والدراسات منها "غادة السمان والحرب والحرية.. دراسة في علم الاجتماع الأدبي" للدكتورة إلهام غالي وهي أطروحة دكتوراه كتبت

أصلاً بالفرنسية، وقدمت إلى جامعة باريس عام 1984، كما صدر عنها كتاب "غادة السمان بلا أجنحة" للدكتور غالي شكري، وكما جاء في تذييل هذا الكتاب فإنه يعد رؤيا مستقلة لعالم الكاتبة، صدر أيضاً كتاب "الفن الروائي عند غادة السمان" عبد العزيز شبيل، وفي هذا الكتاب يعرض الباحث التونسي عن القضايا المطروحة في روايات غادة السمان، ثم صدر كتاب "قضايا عربية في أدب غادة السمان.. في المدة ما بين 1962-1975" للباحثة حنان عواد، وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه قدمت باللغة الإنجليزية بإشراف الدكتور عيسى بلاطة، وصدر عنها كتاب "غادة السمان المهنة كاتبة متمردة" للكاتبة السورية سمر يزبك، وهو يتعرض لغادة السمان كإشكالية إبداعية متطرفة في رؤيتها الإبداعية، وكتاب "فض ذاكرة امرأة.. دراسة في أدب غادة السمان" للدكتور شاكرو النابلسي، وكتاب "تحرير المرأة عبر سيمون دي بوفوار وغادة السمان" للباحثة نجلاء نسيب، وكتاب "الجنس في أدب غادة السمان" لوفيق عزيزي، وفيها يعرض الباحث لإشكالية الجنس في أدب غادة السمان، كما صدر كتاب "غادة السمان رحلة في أعمالها غير الكاملة" عبد اللطيف الأرنؤوط، وكتاب "التنمر والالتزام في أدب غادة السمان" للناقد بولا دي كابو ترجمة نور السمان وينكل، وكتاب "جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان" للدكتورة ماجدة حمود. لقد كان لصدور

هذا الطرح النقدي الكبير عن عالم هذه الكاتبة ليوضح مدى أهمية هذا العالم الإبداعي بالنسبة للكاتبة النسوية العربية على إطلاقها.

وتتمثل غادة السمان مع كوليت خوري وليلى بعلبكي مثلثاً متساوي الأضلاع في الأدب النسائي - الشامي - السوري واللبناني كل ضلع من هذا المثلث يمثل حالة من حالات الإبداع النسوي المتميز والمؤثر في كتابات المرأة وكتابات عدد من المبدعين الذين ساروا على نهج هذا التالوث، إلا أن غادة السمان بمحبرتها الذاتية وقلمها المتميز وإبداعها المتوازن بين التخيل الذاتي والواقع المتعلق حول الشأن العربي بقضاياها المختلفة الاجتماعية والثقافية والسياسية حضرت لنفسها أهدوداً خاصاً متميزاً في الأدب العربي الحديث، كتبت في جميع المجالات الرواية والشعر والقصة والمقالة والخاطرة والسيرة الذاتية وأدب الرحلات.

ولدت غادة السمان في دمشق وكانت طفلة صغيرة عندما اشتعلت الحرب الأولى في فلسطين عام 1948، ولما اشتعلت حرب السويس عام 1956 لم تكن قد تجاوزت بعد سن المراهقة، ثم توالى الحروب في حياتها وحياة جيلها: 1967، 1973، 1975 حروب من كل نوع. وطنية وأهلية وطائفية، فكان من الطبيعي أن تصبح الحرب محوراً رئيسياً في حياتها وأدبها، كانت غادة السمان مفاجأة شديدة الرهافة لجيلها من الكاتبات، حيث قدمت نموذجاً جديداً من الإبداع المعبر عن الحياة العربية المحافظة وجديدها الإبداعي في الفكر المنظم، اتجهت غادة السمان في بداية عهدها بالعلم إلى الطب، ومن ثم هجرته إلى الأدب وكان نتيجة لهذا التحول أنها وهبت نفسها للتعبير بالقلم وفي الوقت نفسه التعبير عن الألم، وقد اختارت غادة السمان القصة للتعبير عن الواقع والخوف من المجهول وكانت قصتها "الأصابع المتمردة" هي البداية التي فتحت لها الأبواب في الصحف والدوريات ولفتت أنظار دور النشر إليها، وهي عندما قررت أن تهجر الطب إلى الأدب قالت: "قررت أن أبدأ من جديد.. أن أبعث الجمر الضائع في زوينة عمر يتألف من واحد وعشرين خريقاً، وهنا أصبحت الكتابة جزءاً من وجودي والشئ الوحيد الذي يساعدي على حمل أشعة الشمس فوق كاهلي طوال النهار، وحمل أكداش الظلام فوق صدري في الليل.. أدمنتها ووجدت فيها لغتي التي امتدت بها في عروق الزمان، وأنسل في نسخ الحياة". (صفحات من حياتهم، محمد نصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت ص 172) من هنا كان إبداعها مغايراً ومختلفاً لما كانت عليه القيم الأدبية السائدة في ذلك الوقت، بدأت حياتها العملية كأستاذة محاضرة في جامعة دمشق، لكنها سرعان ما تمردت على المجتمع البرجوازي السوري، فتركت الجامعة والأسرة ورحلت إلى أوروبا في جولات مع التجارب الإنسانية والعملية، ولكنها ما لبثت أن عادت لتستقر في لبنان وتعمل في مجال الصحافة والكتابة

حتى وقتنا هذا. كتبت غادة السمان القصة القصيرة طيلة أربعة عشر عاماً حتى عام 1974 حين بدأت في كتابة روايتها الأولى "بيروت 75"، ثم أتبعها برواية "كوايس بيروت"، تالت بعدها إبداعاتها المختلفة في كافة الأجناس الأدبية، وفي مجال القصة القصيرة صدرت لها مجموعات "عينك قدرتي" 1962، "لا بحر في بيروت" 1963، "ليل الغرباء" 1966، "رحيل المرافئ القديمة" 1973، ثم صدرت لها مجموعة مختارات من القصة القصيرة عام 1978، كما نشرت لها جريدة الأسبوع الأدبي السورية في عددها 451 الصادر في نوفمبر 2008 ملفاً نصياً خاصاً حوى ثلاثة وعشرين نصاً ما بين القصة وسرد شرائح قصيرة من السيرة، بعض هذه النصوص يتسم بالقصير والجد، ويحمل في طياته رؤية إما اجتماعية أو ذاتية أو سياسية، وتعد مجموعة "رحيل المرافئ القديمة" أهم مجموعات غادة السمان القصصية، حيث تتضمن ست قصص قصيرة كتبت على إثر الهزيمة العربية عام 1967، عبرت فيها الكاتبة عن آرائها بشأن هزيمة العرب عام 1967، والشرح الذي أحدثته هذه الهزيمة في جسد الأمة العربية، كذلك تتعامل الكاتبة مع الثورة الفلسطينية والجزائرية والنشاط الذي أحدثته المقاومة من خلال بعض قصص المجموعة، إلى جانب أحداث بارزة في العالم العربي آنئذ. وفي كتابه "الحرية في أدب المرأة" يقول عفيف فراج عن أدب غادة السمان القصصي: "إن الأصالة الفنية التي تقف وراء استمرارية غادة السمان هي أهم ما يميزها على جيلها من الكاتبات. فحين نجد أن الكاتبات ليلي بعلبكي، كوليت خوري، وليلى عسيان بدأت بأعمال قصصية وقفن معها على ذروة، ليتدرجن مع قصتهن الثانية إلى السفح، نجد أن غادة السمان تبدأ من السفح بمجموعة "لا بحر في بيروت" لتصل بمجموعتها القصصية "ليل الغرباء" إلى ذروة فنية تتجاوزها إلى ذروة أعلى بمجموعتها القصصية الأخيرة "رحيل المرافئ القديمة". الحرية في أدب المرأة، عفيف فراج، دار الفارابي، بيروت، 1975 ص 67)، وقد شرعت غادة السمان في أول مجموعاتها القصصية وهي مجموعة "عينك قدرتي" التي أهدتها إلى والدها، في تأصيل جوانب عالم المرأة من خلال الحياة والحب والعاطفة المستتارة في نسج قصص هذه المجموعة، وقد اختارت القصة الأولى كمنوان لقصص المجموعة، وفي هذه القصة تعبر الكاتبة عن مشاعرها بوصفها امرأة كليلها الحب، وسبب لها أزمات نفسية عديدة، وهي كما تصور في نهاية النص حين تقول: "عينك قدرتي، لا أستطيع أن أهرب منهما، وأنا أرسهما في كل مكان، وأرى الأشياء من خلالها"، "عينك قدرتي.. لا أحد يهرب من قدره يا عماد" نص "عينك قدرتي"، المجموعة، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979 ص 20)،



غادة السمان

قصة "يدعون: الشمس تشرق من إسرائيل!!"، تعد من الأعمال القصصية ذات النزعة السياسية، وهو نص يضاف إلى محور إبداع المقاومة مع العدو الصهيوني في كتابات المرأة

كانت غادة السمان مفاجأة شديدة الرهافة لجيلها من الكاتبات، حيث قدمت نموذجاً جديداً من الإبداع المعبر عن الحياة العربية المحافظة وجديدها الإبداعي في الفكر المنظم

القصة بفنيتها العالية ولغتها الكاشفة وحواريتها الدامغة، تجسد مدى تقصير وسائل الإعلام العربية في التعريف بالعرب، بلادهم وثقافتهم، بينما الآخر يهتم بهذه الناحية اهتماماً كبيراً، وهو ما رددته الكاتبة في قصتها، التي تعيد إلى الأذهان بداياتها مع القصة القصيرة في أوائل السبعينيات، حين أصلت رؤيتها الذاتية في تجسيد هذا الواقع المعيش



قصة قصيرة

المتني خلف حارس المعبد

انتظروا ملياً ساعة الحسم بقلوب واجفة.. مثلما توقع الجميع.. فرحلته الأخيرة خارج المعبد لن تدوم أكثر من المهدود.. حارس غريب ظل يساورهم مدة غيابه حتى شل تفكيرهم.. حارس يفضي إلى أن شيئاً مريباً.. رهيباً.. سيزلزلهم.. وقد كانوا على حق.. يومان لا أكثر ولا أقل.. عاد مسرعاً أمراً أهله أن يدثروه أن يزلموه.. بهتوا من حالته المرعبة ولم يقدروا على الحديث معه.. فقد ظل طوال الليل يهتف ويهاتف أشياء فوق التصور.. فهذا الذي ظل يحرس معبدهم منذ سنين وسنين حتى أحيطت به الهالة العظيمة.. وكاد أن يدرك النبوءة.. عاد مسرعاً من سفره.. زاده الأخير الارتجاف والهديان.. وبين أحضان الأحيبة فيها الكثير من السراب الذي لا يسد الظماً ولا يخفي الحقيقة الثكلى المتجلية للعنان.. الصغير قبل الكبير.. الأعمى قبل البصير..

حركات مريبة أوجس الجميع منها خيفة.. بدأت تتحرك في مختلف الاتجاهات الممكنة وغير الممكنة.. سقط القناع عن القناع.. وانتفضت الأحلام المؤجلة بعد أن سئمت الصبر والانتظار.. فقد أوهنها الظل الغائر بين ثنايا شقوق الجدران.. أرادت ركوب أمواج البحر العاتية المحيطة بالمعبد.. إصرارها شديد وعنيف لم يخطر على بال أحد ولم يكن قط في الحسبان.. إذ تجرأت على قرع الأجراس المعلقة فوق الأبواب الموصدة مع تعاضم أصواتها.. حتى هو حين أفاق من غيبوبته وحملق في وجوههم.. وجوه قديمة.. رثة.. زاعت عيناه ولم ينبس ببنت شفة.. بل تسمر في مكانه، وألقى بنظره إلى الأفق البعيد.. هناك إلى سقف المعبد، حيث المنارة الشاهقة.. تلك المنارة العتيقة! تساءل في قرارة نفسه.. هل من الممكن أنه أخطأ التقدير؟! وأن ضوءها كان يخدعه طوال هذه السنين؟!..

الأسئلة الموجعة أخذت تعنف هواجسه بكثير من القسوة المبالغ فيها حتى أوشكت أن تجعله يخمن كيف يلف حبلاً حول عنقه..

لم يجد بدأً من الصعود إليها.. ولم يجد بدأً من أن

يضرب بقبضة يده على زجاجها.. إذ تبين له أن الصباح عتيد وعتيد جداً.. وكيف أنه لم ينتبه أو بالأحرى كيف لم يخبره من ولاه أمرها بحقيقتها.. سأل عنه فجاءه الرد سريعاً.. مات منحرراً.. ربما أدرك ما أدركه فلم يقدر على البوح فأثر الكتمان الأبدي.. أثر الرحيل بطريقته.. مات منذ عشرين عاماً.. عشرون عاماً.. الأيام تضي كلمح البصر.. لم يفقه كيف برق في ذهنه أن يتلمس كف يده وخذو وشعره.. التجاعيد قطعت حبل الوصال بينه وبين الشعر الأبيض.. حتى المرأة.. أيقن أنها فعلت فعلتها.. ظلت تصور له كل صباح عالماً غارقاً في الأوهام..

أعاد البصر مرتين حيث السماء السابعة.. ما تبقى له يعيقه عن النزول مرة أخرى إلى الأسفل.. إنه يرفض ابتلاع الحقيقة المرة.. هل انتهى اللحم؟!.. هل أن الأوان لأن يكون للمعبد حارس آخر.. غيره.. مستحيل لا يمكن أن يحدث هذا.. أما الأحلام المؤجلة التي يراها الجميع سقمًا وسخطًا لا مثيل له يعلوها.. أراها أنا سحابة صيف عابرة لا أكثر ولا أقل.. فهي لا تفقه شيئاً ولا يمكن لها أن تدركه.. الموقف أكبر مما تتصور.. فالسما لم تعد هي السماء التي ندعوها.. والأرض ما عادت هي الأرض التي نرجوها.. والبحر ما عاد ذلك البحر الذي نلحم به.. بحر انقسم إلى بحرين.. هذا بحر ميت وهذا بحر أسود.. انتابته هلوسة مريضة.. عصفت به.. تمنى لو أن الوقت توقف منذ عشرين عاماً.. إنه يشعر بغثيان.. يتكئ على شقوق الجدران.. حرارة متوهجة تتغلغل داخل صدره.. يتحسسها.. ألم قاتل ينخره.. بصرة قاتمة تأتيه من الأسفل حيث الأحلام المؤجلة.. بالكاد تبينها.. شيئاً فشيئاً بدأت تتضح، ومعها تزداد عيناه جحوظاً.. عجوز في أرذل العمر تتصدر الجموع حاملة بندقية قديمة.. رثة.. تبكي بفرح وحرقة.. لم يستطع جسده أن يقاوم أكثر.. بدأ يتمايل كريحشة في مهب الريح أو كشمعة بدأت تآكل فتيلها.. ومعه شيدت العتمة أسوارها.. مستجيبة:

- أنت يا أُمي.. أنت

التي كنت أظنها تتبعث من البحر بفعل حرارة الجو قد تكون رائحتنا نحن.. نحن الناس المهزومون المقتولون دون أن ندري. الراكضون بجثثنا في شوارع العواصم العربية والمدن والقرى... (الحب والرعب في زمن الهزيمة، غادة السمان بلا أجنحة، د. غالي شكري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990 ص 67)، كان واقع الهزيمة هو الحاضر في هذه المجموعة، عبّرت عنه الكاتبة بثلاث نصوص جسدت الفعل الكبير الحادث على المستوى النفسي والقومي.

وفي قصتها " يدعون: الشمس تشرق من إسرائيل" وهي القصة موضوع القراءة، تسرد الرواية وهي فتاة سورية صغيرة في رحلة مع مجموعة من الطالبات والطلاب من جنسيات مختلفة اجتمعوا في إحدى بيوت الطالبات في كوخ على تل من الثلج بمدينة زيورخ بسويسرا. كان الهدف من الرحلة هو مراوحة النفس والسياحة والتعرف على العالم مع هذه الكوكبية الفاتنة من الأصدقاء. هاجس الرواية يتحلق حول المتعة بكافة مظاهر الطبيعة الخلابة في هذه المنطقة والاندماج مع هذه الصحبة من الأصدقاء والابتعاد عن تآزمات واقع، كما كان الهدف منها أيضاً نوع خاص من سياحة الشباب في هذه المنطقة الخلابة من العالم، تشير الكاتبة في صدر قصتها وهي تقول على لسان الرواية الساردة وهي من بلدة في سوريا تقول الفتاة في تقاؤها المشرق: " منذ يوم رحلتي الأول قررت: لن تقع عيناى إلا على الجميل والمبهج.. سأحدث عن شروق الشمس وأترك لسواى مشاهدة الغروب.. سأرسم نصف الكأس المملأ بالماء وأتجنب الحديث عن النصف الباقي الفارغ.. فنى وطنى العربى يعتب الجميع على كتاب جيلنا: «لماذا كل هذا التشاؤم؟!.. ضياعكم مستورد! حزنكم غير أصيل! بلادنا لم تتعرض لويلات الحروب العالمية! نحن بخير.. نريد أدباً أصيلاً.. نريد كلمات بيضاء فعلاً، لا من باب التسمية بأسماء الأضداد». لكنها عندما سمعت كلمة "إسرائيل" في حوار مع إحدى الصديقات بطريق الصدفة البحتة، فكأنما هو بركان انفجر فجأة. بدأ الحوار مع فتاة إنجليزية مشربة ببياض الثلج تدعى بامبلا: "سألنتى بفضول وهي تتأمل شعري الأسود وبشرتي الداكنة وارتعادي المستمر من برد الجو:

- وأنت، من أين جئت؟

- من بلاد داكنة دائماً.. مشمسة وجميلة..

- ما اسمها؟

- سورية.

وقلبت شفتيها بجهل وسألت: أين؟

- لبنان.. سورية.. ألم تسمعي بهما؟..

- قالت: لا!..

- على شاطئ البحر المتوسط.. شواطئ داكنة، مراعيها

قلما تعرف الثلج.

أجابت وقد أضاعت عيناها: تعنى إسرائيل!!..

وفي مجموعتها الثانية "لا بحر في بيروت" جسدت غادة السمان واقع الحياة من خلال شخصيات بعضها نمطى وبعضها غير مألوف تعبر فيها عن العلاقات السائدة بين الرجل والمرأة خاصة الموضوعات المتسمة بنزعة الحب والخيانة. حتى إنها تتساءل في قصة "لعنة اللحم الأسمر" عما إذا كان هناك رجل يستطيع أن يفهم مشاعر المرأة، بطريقة مباشرة وليس عن طريق العلاقات الجسدية، وهو ما أجابت عليه بعد ذلك في قصة "غجرية بلا مرآة". أما المجموعة الثالثة وهي مجموعة "ليل الغرباء"، فهي مجموعة تشي بعنوانها حيث تجسد المتناقضات الممتلئ بها طبائع المجتمع ومفارقات الحياة بقضاياها المربكة. ولتأخذ مثلاً من هذه المجموعة قصة "فزع طيور آخر"، القصة تحكى عن قاضي يؤمن بالصدفة البحتة فقط، ولا يبحث في أمور العدالة في القضايا التي ينظرها من جوانبها الموضوعية، يعتقد أن الصدفة هي سيدة العالم والحاكمة فيه، لذا لم يكن يصدر الأحكام انطلاقاً من الحيثيات الموضوعية للقضايا، إنما كان يختلي بنفسه ليلقي بقطعة نقود في الهواء، على إحدى وجهيها كتب "مذنب"، وعلى الوجه الآخر "برئ". والصدفة فقط هي التي تقرر مصير أي منهم. تكتشف زوجته سره وتخشى سطوة عذاباته معها، ثم تكتشف أيضاً بالصدفة أنها عاقرة وأن خادمها حامل في الشهر التاسع، والقطعة في البيت وضعت سبعة قطط دفعة واحدة... تتبنى الزوجة أفكار زوجها جراء المعاشية الفكرية والوجدانية، فتلقى بالقطط من النافذة، وحين يحين مخاض الولادة بالخادمة، تقرر: هل تركها تموت أم تحضر لها الطبيب؟ وتجد نفسها وقد فهمت للمرة الأولى وجهة نظر زوجها، وها هي تمسك القطعة النقدية وترمي بها في الهواء، وتحكم الصدفة: لا طبيب. ويهدوء ترك الخادمة تموت وتغادر البيت لتذهب إلى لعب البريد. القصة تجسد العدالة من وجهة نظر البشر الحاملين لطبيعة مستر جيكل ومستر هايد لستينسون. الشر المسيطر على واقع الحياة هو الذى يقرر مصير البشر. هكذا كانت رؤية غادة السمان في قصة "فزع طيور آخر". وهو ما ينسحب أيضاً على بعض قصص المجموعة. أما مجموعة "رحيل المرافئ القديمة" فقد رصدت غادة السمان فيها الهزيمة بكل سقطاتها وزلاتها، رصدت فعل الهزيمة كاملاً، كما رأته وكما عايشته في أزقة وشوارع بيروت، وهو ما انسحب بشدة وبقوة على أزقة وشوارع باقي المدن العربية الأخرى: " ... الأرصفة مرشوشة بالناس، يتكيفون الترانزستور كالبنادق المكسورة، ويمشون بتناقل الجنود المهزومين، ينصتون إلى الأخبار وإلى أغاني أم كلثوم وبين فتة وأخرى تتوح رائحة الحشيش الذى حشوا به لنفائهم.. الشعب الفقير الحزين المتعب، يترنح فوق الأرصفة وخلف نارجيلات المقاهي، كمن أصابته ضربة في رأسه لما يصح منها بعد.. وبعد لحظات بدأت أشعر أن رائحة العفونة

حوار مع جيرار جنيت أجراه: جون بيبي

تقديم:

جيرار جنيت (1930 Gérard Genette) أحد أقطاب "النقد الأدبي" و"التعريفية" في فرنسا. انخرط في تيار النقد الجديد. عرف باشتغاله منذ الستينيات على الأجناس الفنية والشفرة الأدبية. أستاذ مبرز في الآداب. عمل جيرار جنيت بالموازاة كمدير سابق للأبحاث في المدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية، مديرًا لسلسلة Poétique الشعرية بدار النشر سوي Seuil. ألف مجموعة من الكتب في سلسلة Poétique، والجمالية وعلم السرد. اعتبر خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات أحد أبرز الممثلين لنظرية الانتكال الأدبية، وفيما بعد أخذت أعماله وجهة أخرى نحو الجمالية الفلسفية وانبطوحيات العمل الفني. من بين كتبه: Métalepse, de la figure à la fiction, Seuil/ 2004.

الصورة البلاغية إلى التخيل. يمثل هذا الكتاب تأملًا في إجراء بلاغي كان قد ألحقه المؤلف بالنظرية السردية. مع اكتشاف مظهراته في أشكال التصوير الفني الأخرى غير الحكاية récit، يوظف هذا المفهوم في الحقل البلاغي بمعنى أن نفهم شيئًا بتشيء آخر يليه، أو يصاحبه. وكما يحددها أوليفييه ريبول كصورة بلاغية تقتضي تعويض اسم الشيء أو الشخص بسلسلة من الكنايات. يعرف جيرار جنيت الميغالبيس في كتابه "خطاب الحكاية" بقوله: «كل تدخل من السارد أو المسرود له الغير مستخلص في الحكاية في العالم (الحكايات) إلخ. أو العكس».



جون بيبي John Pier: لا يختلف إثنان في كون الدراسات السردية قد تحولت بطريقة عميقة من طرف سردانية سنوات 60 و70 الستينيات والسبعينيات. بل إنه حتى لو لم تتوقف المفاهيم والتقنيات التحليلية عن التطور بطريقة متنوعة جدا. تبقى الأذهان موسومة بفكرة سردانية جدا كون الحكاية récit يشكل نسقا. نجد من بين مواضيع البحث بلورة مناهج تسمح بإبراز النسق السردية. ألا يوجد باحث أدبي لم يتساءل في السنوات الأخيرة، ولو بطريقة عابرة عن العلاقات بين الصوت والمستوى السردية؟ بين الصوت والتبئير؟ وعن بنية الحكاية؟ على الأقل، يثير الفضول ملاحظة- وضد على وضعية التعريف مثلًا- وجود Métalepse الميغالبيس المفهوم الذي أدخلتموه في حقل النظرية السردية منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وهو مفهوم وضع على هامش انشغالات السردانيين. هل يتعلق الأمر بنسيان ما؟ هل سيكون Métalepse الميغالبيس مجرد تفصيل أسلوبية؟ أو أنه يطرح إشكالية بالنسبة للبحث السردية؟ كيف تفسرون الانبثاق الحالي نسبيًا للاهتمام بالميتالبيس؟

جيرار جنيت Gérard Genette: أعتقد أن الميغالبيس نفسه فعلاً هامشيًا (تقريبًا كما تقولون "مجرد تفصيل أسلوبية" أو شيئًا آخر) داخل حقل الممارسات السردية وبشكل أكثر عمومية في ممارسات التصوير الفني. إنه يشتغل أولاً كخرق لعبي (بين الصورة والتخيل حيث يوجد اللعب). وهو شيء لا يوجد في درجة

جون بيبي John Pier: اقترحتم في كتابكم خطاب الحكاية معالجة الحكاية ك"توسيع للفعل" واعتبار الملفوظات من نوع مثلًا "مارسيل أصبح كاتبًا" كحكاية أدنية: لكن في كتابك الميغالبيس نقرأ ما يلي "تعد الصورة جنينًا أو إذا فضلنا الخطوط الرئيسية للتخيل" (ص17) أما بالنسبة للذين يعرفون أعمالك، فإن هذا التطور لا يفتقر إلى الانسجام. ولكننا نتساءل. ما الذي دفعكم إلى تبني هذا التصور الجديد، وما هي المراحل التي مر بها هذا التطور. سيكون من المهم، معرفة- مع الأخذ في الحسبان المفهوم "التصويري" figurale للحكاية- ما إذا كانت فكرة الحكاية الأدنى مازالت سارية المفعول أو إعادة التفكير فيها من زاوية سياق آخر.

جيرار جنيت Gérard Genette: إن مفهوم "الحكاية الأدنى" هو فعلاً ذو طبيعة سردانية ما دام هذا التخصص العلمي الذي نعرفه طبعًا منذ بروب ينطبق على كل أنواع الحكايات récit ومن ضمنها الحكايات الأكثر أساسية والاهتمام كذلك بالطريقة التي يمكن أن يتوسع بها الحكاية الآتية (القطة تأكل الفأر) بواسطة امتدادات ووسائط، وإسهامات.. إلخ على عكس ملخص "مارسيل أصبح كاتبًا" الحكاية معقد جدًا (موسع) أو إذا تمكنا من وصف الصورة كجنين لتخيل ما. إنها مفهوم ما من طبيعة أخرى. فالأمر يتعلق بنظرية التخيل. فاستعارة "أخيل أسد" حرفيًا تعني تخيلًا صغيرًا إنني لست على استعداد كي أقفز" بدون أخذ الحيطة من المفهوم الأول إلى الثاني. ولا أعرف بعد ماذا يمكن أن يعني المفهوم "التصويري" للحكاية.

جون بيبي John Pier: من بين المرتكزات الجوهرية لعلم السرد، -ويعد ذلك من الاستحقاقات الكبرى لكتابك "خطاب الحكاية- تظهر تقنيات الوصف التي تجعل الحكاية قابلاً للتحقق، حيث تسمح بتجنب عقبات التأويلات الذاتية أو الإيديولوجية لكن منذ أول تدخلكم بخصوص الميغالبيس فقد ربطتم هذه الصورة بالفانطاستيك وبما هو عجائبي، فهما ليستا خاصيتان نصيتان موضوعيتان أما في كتابكم خطاب جديد للحكاية Nouveau discours du récit فإنكم تقترحون بأن الميغالبيس: "يشغل كصورة للخيال المبدع" (p59) فقي عملكم الحالي تذهبون بعيدًا أيضًا بتأكيدكم بأن métalepse يشوش على "التوقف الإرادي لانعدام اليقين" (p23) كي ينتج "تصنعًا لعبيًا لسرعة التصديق" p25 بالنسبة لكم، يبدو أن التشديد يقع منذ الآن على آثار الخطاب السردية، وليس على خواصه الوصفية وتصنيفها. نتساءل ما إذا كان هذا التطور لم يغير رهنات علم السرد، أو أيضًا ما إذا كانت الأرباح بشكل ما تصبح خسارات من نوع ما.....

جيرار جنيت Gérard Genette: يبدو لي أنني

قد أجبت عن هذا السؤال. فالتخيل المبدع هو تخيل المتلقي وهما فعلاً أثريين يشكلان أولاً عاملين محركين للخطاب السردية، وبالخصوص الخطاب التخيلي. وكذلك الأمر بالنسبة للممارسات التصويرية الأخرى. لا تبدو طبيعة الاهتمام بهذه الأسباب والآثار قد تدفع إلى تغيير رهنات السردانية بل بالأحرى الإهتمام برهنات (من بين الرهنات الأخرى) الحكاية نفسها. لا تكمن مهمة الحكاية بالضرورة تقديمية الأنشطة الوصفية أو التحليلية أو التصنيفية للسردانية، ولكن بتحفيز خيال متلقيه، وآثار الميغالبيس المحفزة بالخصوص للمظاهر اللغوية والعجائبية لهذا التخيل.

جون بيبي John Pier: لقد دافعتكم أكثر من مرة لصالح فكرة السردانية المقيّدة، مؤكداً على أن الحقل الخاص بعلم السرد هو الحكاية (récit) المكتوب أو الشفوي نتاج فعل السرد وأن امتداد المقولات السردية إلى السينما والمسرح مثلاً، يتناقض مع خصوصية ما هو سردي. من جهة أخرى، لقد أدخلتم الميغالبيس في السردانية بواسطة "ميغالبيس المؤلف" كنتاج لتأملاتكم لـ Fontanier و Dumarsais. ومع ذلك وفي كتابكم الأخير فقد أبرزتم عدت مظهرات للميغالبيس في السينما والمسرح فبرهنتم على أن الميغالبيس عرفت صيغاً معينة تجاوزت خصوصية الحكاية. هل يمكن أن تستنتج أن الميغالبيس ستفتح الطريق إلى سردانية أخرى وإلى سردانية مقارنة مثلاً، أو أنها ستثير أسئلة حول الإمكانات والقيود المتعلقة بمختلف أشكال التصاوير الفنية.

جيرار جنيت Gérard Genette: عندما تحدثت عن "السردانية المقيدة" narratologie restreinte كان يدور في رأسي قلق استخلاص وعزل مفهوم "خالص" نسبياً للحكاية اللفظية (الشفوي أو المكتوب)، وفي غالب الأحيان ذلك المتعلق بالحكاية الأدبية (حتى ولو أن الفرق الماهوي يبين ما يقوم أو ما لا يقوم على الأدب لم يكن في مركز كلامي وبسبب...)، بل أيضًا حتى الحكاية التخيلية لكي أحمي هذا الموضوع من كل خلط مع حكايات أخرى. إذا أضفتم إلى ذلك أنني لم أنشغل في أغلب الأحيان إلا بالبنيات الشكلية (و يظهر ذلك من خلال عنوان كتابي خطاب الحكاية) وتركت جانبًا البنيات الطيماتية التي درسها بروب والذين جاءوا من بعده (من بين البنيات التي تحدثت عنها يبدو أنها لم تكن ذات خصوصية فيما يتعلق بعرضها السردية كما أظهرت ذلك دراسات Souriau سوريو حول الطيماتية الدرامية، وكذلك مثيلاتها في الطيمات الفلمية (سينتج عن ذلك أربعة تحديات لحقول مندوجة بعضها في بعض، يكون فيها الحافز ذي طبيعة منهجية. ولكن لا يعني تخيلنا عن موضوع واحد أو أكثر أو وضعه بين قوسين أننا نشك

في وجوده أو أنه غير ملائم. لا أعرف طبعًا إن كانت الدراسة الضرورية التي تركها كتابي المحدث "خطاب الحكاية" لدارسين آخرين فرصة تبرير استعمال مصطلح "علم السرد المقارن" بالمقارنة شيء ضروري. لكن لا أعتقد أنه يجب البحث عن طريق السردانية المعممة narratologie généralisée إنني أهدر كثيرًا من هذه النزعة الإمبريالية بل بيساطة من النزعة المقاومة للتخصص العلمي، وأفضل التعايش السلمي إن أمكن بين عدة تخصصات علمية (مثلاً، قريبة لكنها مختلفة عن تخصصاتنا، علم الدراما dramatologie أو علم السينما filmologie).

جون بيبي John Pier: يبدو لي منذ عهد قريب أن العصر الذهبي للسردانية قد أصبح شيئًا من الماضي، وأن النظرية والنقد الأدبيين اتخذتا لهما طريقًا آخر للسردية فيه. ومع ذلك، نشهد منذ مدة زمنية على تجدد الأبحاث التي يقال عنها "سردانية" التي لم تثر لا البنيوية ولا ما بعد البنيوية، لكنها موزعة على أسس وأهداف مختلفة، وأحيانًا متنوعة جدًا. هل يوجد بين سردانية الأصول وأبحاث اليوم روابط للاستمرارية؟ هل سيكون التفكير في الميغالبيس مثلاً من بين أمثلة أخرى تضيء الطريق للسؤال في اتجاه المستقبل؟

جيرار جنيت Gérard Genette: لا أعرف ما إذا كانت السردانية قد عرفت "عصرًا ذهبيًا" (وهو مفهوم ارجاعي دائمًا ووهمي بشكل كبير) أعتقد أنه مازالت هناك مواد دسمة كي تشغل اهتمام الباحثين. لكن اليوم ودائمًا اعتبر نفسي جاهلاً هذه الأعمال لكي أحاول إنجاز فرضية حول علاقة الاستمرارية أو عدم إنجازها بين مختلف المراحل. ما يبدو لي شيئًا أكيدًا، أن النقد والنظرية الأدبيين كان لهما دائمًا طرقًا أخرى يسلكها غير تلك التي يسلكها تحليل الحكاية، وأتذكر أنني تبعت إحداها وبعد لقائتي (الدقيق وغير المتوقع تقريبًا) بالموضوع السردية: لم يكن حقل عملي هو السردانية الوحيدة لكن الشعرية بوجه عام، وبل أكثر عمومًا نظرية الفن بل أكثر من ذلك أيضًا الجمالية esthétique. لا أزعج أنني مثال يحتذى. لكنني أعتقد أن تخصص علميًا عليه أن يحافظ مع ذلك على الانغلاق أكثر في موضوعه الخصوصي أكثر من الرغبة في الالتحاق بالآخرين (أن يكون ملحقات). أما بخصوص التأمل حول الميغالبيس لا أعتقد أنه يجب تحميله وظائف يمكن أن يهشمه ثقلاً: فضلاً عن ذلك فالميغالبيس هو استثناء مُسلَّ يجب الحرص على تشييده بسرعة في شكل إبدال. إنها لعبة جذابة لكنها مجرد لعبة.

http://www.vox-poetica.com/entretiens/genette.html



ترجمة: سعيد بن الهاني - المغرب

باحث ومترجم



كتاب "جوهرة العالم:

كيف أنتنا المسلمون والمسيحيون واليهود حضارة التسامح في إسبانيا العصور الوسطى"

بقلم: جين لامبمان Jane Lampman



ترجمة: عمر عثمان جبق

محاضر في قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين في جامعة الملك سعود - الرياض

الكتاب: "جوهرة العالم: كيف أنشأ المسلمون والمسيحيون واليهود حضارة التسامح في إسبانيا العصور الوسطى"
المؤلف: ماريا روزا مينوكال

كان يا ما كان في قديم الزمان في مكان ما من هذا العالم المعمور كان هناك مسلمون ويهود ومسيحيون عاشوا مع بعضهم البعض، وشكلوا حضارة استثنائية تبيض بالحياة. قد تبدو هذه القصة إحدى الحكايات الخرافية بالنسبة للأوقات المضطربة التي نعيشها حالياً. وما يزيد هذه القصة إثارة وغرابة هو أنها قصة حقيقية تعج بالشخصيات البارزة والدروس التي تدعو للتأمل في زماننا هذا، بالإضافة إلى الإنجازات الفريدة والعثرات أيضاً.

يصف كتاب (جوهرة العالم) حقبة زمنية في إسبانيا العصور الوسطى امتدت من عام 750 حتى عام 1492 م، حيث تصادمت الديانات الثلاث الموحدة وتمازجت، وأنتجت ثقافة متسامحة وغنية، وبذلك يكون هذا الكتاب قد أعاد للحياة زماناً ومكاناً تجاهله التاريخ الغربي تجاهلاً كبيراً.

وكانت اللغة العربية اللغة السائدة آنذاك، وشغل المسيحيون واليهود مناصب مرموقة ورفيعة في الحكومة والمجتمع المسلم. وكان ازدهار الفن والفلسفة والعلوم شيئاً عظيماً جداً بحيث إن المسيحيين في شمال أوروبا كانوا يعدون الأندلس مركز القارة الأوروبية الفكري. ولقد أعادت الأندلس تشكيل تاريخ أوروبا رأساً على عقب من خلال مكتباتها الرائعة وثقافة الترجمة التي كانت رائجة

آنذاك؛ مما ساعد على إنهاء حقبة عصور الظلام في أوروبا. إلا أن قوى التطهير الثقافي والتعصب الديني التي جاء بها مسلمو شمال إفريقيا ومسيحيو شمال أوروبا أدت إلى تدمير هذا العالم المزدهر والناض بالحياة تدميراً مأساوياً.

تحكي لنا الكاتبة ماريا روزا مينوكال Maria Rosa Menocal وهي أستاذة جامعية مختصة باللغتين الإسبانية والبرتغالية في جامعة يال Yale University هذه القصة المثيرة من خلال سلسلة من الصور الموزجة التي تستحضر المراحل الثقافية المختلفة لحقبة زمنية امتدت حوالي 700 سنة، وتقدم لنا أعلاماً فكرية مؤثرة من هذه الديانات الثلاث.

والشخصية الأساسية جداً في قصتها هذه تتمثل في أمير شاب مسلم ينحدر من سلالة بني أمية التي حكمت الإمبراطورية الإسلامية في القرن الثامن الميلادي. هذا الأمير هو عبد الرحمن الداخل الذي فرّ من موطنه دمشق إلى شمال إفريقيا وصولاً إلى ميه قرطبة في شبه الجزيرة الإيبيرية، بعدما قتلت إحدى القبائل المنافسة عائلته كلها في عام 720 م. وهناك ولدت حضارة جديدة بفضل رؤيته الثقافية وقيادته الحكيمة. وكانت رحلته الشاقة وحنينه لوطنه الأم واضحاً من خلال حياته. فقد عبر عن مشاعر

الغربة والمنفى هذه في أبيات شعر أنشدها، إذ يقول فيها مخاطباً إحدى أشجار النخيل:
تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تتاءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في المغرب والنوى
وطول التائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
وتقول الكاتبة مينوكال: «عرّف الأمويون الذين خرجوا من الصحراء العربية نظيفين نقيين مفهومهم للإسلام كدين أحب حواراته مع العادات الأخرى». وتتابع قائلة: «كان هذا إنجازاً بارزاً جداً بحيث اتهم المؤرخون المسلمون اللاحقون الأمويين بأنهم أقل إسلاماً بسبب ذلك المفهوم».

وتعزو الكاتبة هذا التعقيد إلى المحافظة الدائمة داخل الخيال العربي على الإسلام والحب الشديد للغة والشعر الذي كان جزءاً لا يتجزأ من التقاليد العربية قبل الإسلام.

كان معظم اليهود والمسيحيين الذين يعيشون في أيبيريا معربين اعتنقوا اللغة العربية والثقافة التي أنشأتها تلك اللغة. إلا أن المسلمين العرب لم يطلبوا إليهم التخلي عن معتقداتهم الدينية؛ مع أن بعضهم فعل ذلك. ولقد تحسنت مكانة اليهود الذين قادوا «حياة مأساوية في ظل القوطيين» تحسناً كبيراً؛ واعتلى الكثير منهم مناصب رفيعة. فكان هناك على سبيل المثال هاسداي ابن شابروت أحد الوزراء اليهود الكبار لقرطبة في منتصف القرن العاشر الميلادي؛ وكان يدير العلاقات الخارجية للخليفة.

كان الكاتب الساكسوني هروسويوزا Hroswitha في القرن العشرين هو من أطلق اسم (جوهرة العالم) على مدينة قرطبة التي كانت مدينة غنية بألاف المحلات والمساجد والحدائق والقصور والمياه الجارية والشوارع المرصوفة والمضاءة. فقد كانت مكتبة الخليفة (وهي مكتبة من أصل سبعين مكتبة في المدينة) تضم 400000 مجلداً في الوقت الذي لم تكن أضخم مكتبة في أوروبا المسيحية تضم أكثر من 400 مخطوطاً.

فمن الأندلس جاءت الحكايات التي أنتجت شكلاً جديداً من الأدب في أوروبا والأغاني التي ألهمت الشعراء المغنيين الفرنسيين والعجائب العمرانية للعالم كله. كما و زودت الأندلس أوروبا بالترجمات اللاتينية لأعمال الإغريق بمن فيهم الفيلسوف أرسطو.

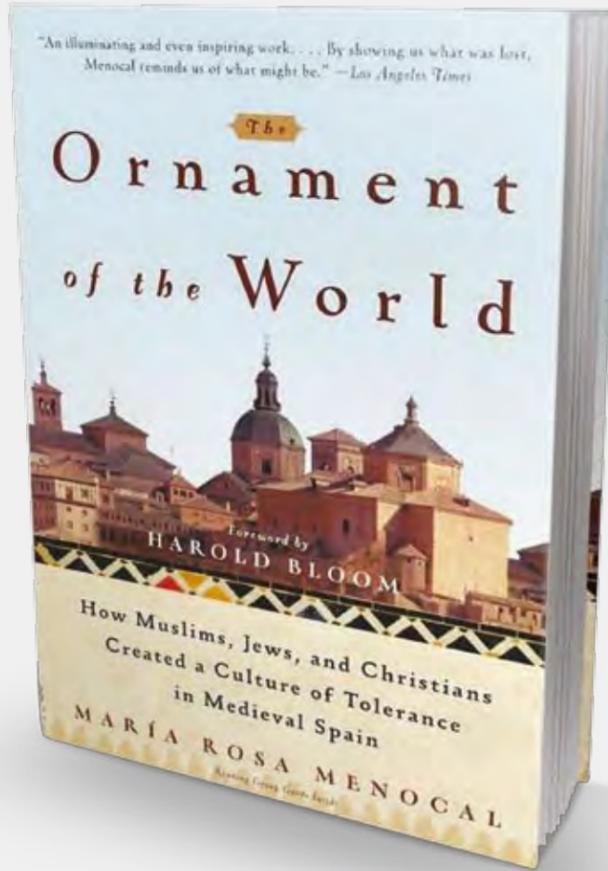
وكانت الطريقة التي تجاوز المجتمع من خلالها الخلافات الدينية وتقبل ذلك التعقيد حتى خلال أوقات الاضطرابات السياسية طريقة تحررية ملهمة. انتهى الحكم الأموي عام 1013 عندما فتحت الجيوش البربرية القادمة من شمال إفريقيا قرطبة وانقسمت الأندلس إلى

عشرات الدويلات. إلا أن الحياة الثقافية متعددة الأوجه ازدهرت لحوالي 450 سنة أخرى. وتوضح لنا الكاتبة أن تلك الحقبة لم تكن خالية من العنف والاضطهاد - فقد كانت هناك مجازر وشهداء. حتى إن مفهوم البرابرة للإسلام تسبب في خلافات وصراعات بين المسلمين أنفسهم. كما وتسببت عقلية "الحروب الصليبية" المسيحية القادمة من أوروبا في حروب بدأت في القرن الثالث عشر "لإعادة فتح" شبه الجزيرة الإيبيرية.

ويعدّ ضريح ملك صقلية المسيحي فرديناند الثالث المتوفى عام 1252 م رمزاً للثقافة الأندلسية، وتغطي هذا الضريح نقوش مكتوبة باللغة العربية واللاتينية والعبرية والإسبانية. وكذلك الأمر بالنسبة للكنيسة اليهودية في مدينة طليطلة الذي يمتاز بالنقوش المحفورة باللغة العربية والعبرية.

وتتساءل الكاتبة الأستاذة مينوكال عما قد يكون قد حدث لو كان فرديناند و إيزابيلا رفضا الضغوط من الكنيسة بعد فتح غرناطة آخر مدينة يحكمها المسلمون في عام 1492، و اختاروا عدم اتخاذ الخطوة النهائية في طرد كل المسلمين واليهود الذين رفضوا اعتناق المسيحية. ومن ثم أعطيا المحكمة الكاثوليكية

الرومانية صلاحيات مطلقة. extreme
يصور كتاب (جوهرة العالم) نطاقاً واسعاً من تلك الحضارة الغريبة يمتد من الشعر إلى الإنجازات العلمية والاجتماعية. ويرغب المرء أحياناً بالتوقف والتأمل ملياً بالحياة اليومية والأشخاص الاستثنائيين الذين شكلوا ذلك المجتمع الفريد، ويأتي هذا الكتاب الرائع والطموح في وقت مبشر بالخير ليعيد لنا تاريخاً ضائعاً تتناغم عبره ودروسه تناعماً كبيراً مع الخيارات الواجب اتخاذها اليوم.



مصدر المراجعة باللغة الإنجليزية:

<http://www.csmonitor.com/20020725/p15s02-bogn.html>

«كان معظم اليهود والمسيحيين الذين يعيشون في أيبيريا معربين اعتنقوا اللغة العربية والثقافة التي أنشأتها تلك اللغة. إلا أن المسلمين العرب لم يطلبوا إليهم التخلي عن معتقداتهم الدينية؛ مع أن بعضهم فعل ذلك.»

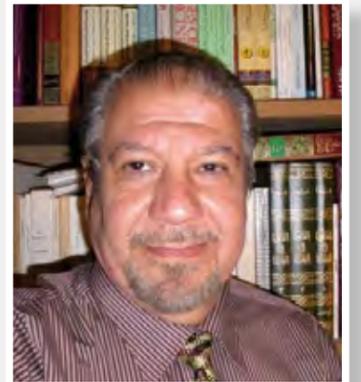
«كان الكاتب الساكسوني هروسويوزا Hroswitha في القرن العشرين هو من أطلق اسم (جوهرة العالم) على مدينة قرطبة التي كانت مدينة غنية بألاف المحلات والمساجد والحدائق والقصور والمياه الجارية والشوارع المرصوفة والمضاءة.»



جذور ثقافة الكراهية:

«التشيع العربي والتشيع الفارسي»

لنبيل الحيدري



البروفيسور: مهند الفلوجي

أستاذ الجراحة والمشرف على:

معهد تاريخ الطب والعلوم

عند العرب والمسلمين

(www.ihams.org)

عن دار الحكمة بلندن صدر كتاب «التشيع العربي والتشيع الفارسي» للباحث نبيل الحيدري، الذي قدم فيه دراسة أكاديمية مستفيضة تختزل عصور التاريخ الإسلامي بعد مسح واسع وغرابة لمراجع تليف على 1255 مصدراً. ويهدف الكتاب إلى سبر «جذور ثقافة البغض والكراهية بهدف تصحيح الممارسات التي جاءت بتراكم البدع والهرطقة المستوردة من هنا ومن هناك، بما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة».

بادئ ذي بدء، يُعرّف المؤلف التشيع العربي على أنه تشيع الإمام علي بن أبي طالب الذي يمثل الأساس الذي يجب أن يبنى عليه التشيع من مبادئ وقيم وعقائد وثقافة. ويعرض المؤلف الصور الناصعة لعلاقة الإمام علي بن أبي طالب الشخصية بالصحابة لا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه فضلاً عن الزواج والمصاهرة وتسمية أبنائه بأسمائهم.

ثم ينتقل الكاتب إلى كشف التأثيرات الفارسية التي تمثلت في الدول المتعاقبة الثلاث: البويهية في بغداد، والعبيدية في مصر، والصفوية في إيران، ومن قبلها بذور الغلو المتمثلة بتأثير عبد الله بن سبأ اليماني في تحريف التعاليم الإسلامية بما يشبه ما قام به بولص في تحريف النصرانية.

ويسهب المؤلف في خطر الدولة البويهية (334 - 447هـ/ 946 - 1055) كونها المنبع الأيديولوجي الذي ترعرعت فيه أولى البدع والغلو الغربية عن العقيدة الإسلامية

متمثلاً بتأليف الكتب الحديثية الأربعة: (الكافي) للكليني، (من لا يحضره الفقيه) للصدوق القمي، (والتهديب)، (والاستبصار) للطوسي. واحتوت هذه الكتب على آلاف من الأحاديث لغلاة لا علاقة لهم البتة بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا أقوال علي بن أبي طالب ولا الحسن أو الحسين (رضي الله عنهم جميعاً)، هذا إضافة إلى كتب (المفيد) في ثقافة البغضاء والتكفير بعد أن درس على يدي ثلاثة من فقهاءهم: الصدوق القمي، وابن قولويه القمي، وأبي الحسن القمي.

وبعد ذلك، يعرض المؤلف للفرق الإسلامية والفرقة الناجية في حديث ورد في سنن الترمذي وابن ماجه وأبي داود والحاكم وابن كثير، والفرقة الناجية يصفها الرسول بعد أن سُئل، بقوله: «الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي» يقصد سنته المطهرة وسيرة صحابته الكرام، خصوصاً الخلفاء الراشدين الأربعة.

كما ويركز المؤلف على المرجعين الأساسيين للأمة الإسلامية: القرآن والسنة، كما في قول علي في (نهج البلاغة): «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها، فلما أفضت إلي، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا به فاتبعته، وما استن النبي فاقترضته».

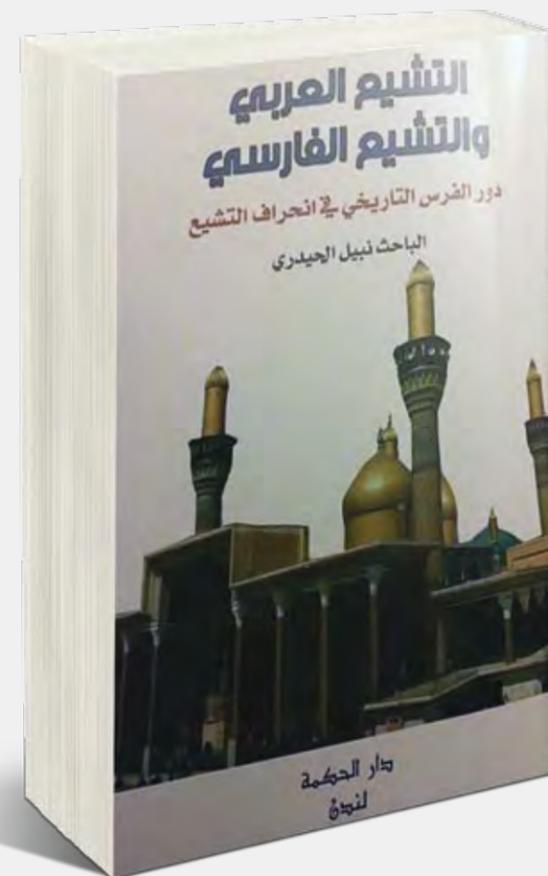
ولقد اشترك الإمام علي في حروب الردة أيام الخليفة الأول، كما وقف على قبره بعد وفاته قائلاً: «رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً،

وأشدّهم يقيناً...»، وقوله في فضل الشيخين: «خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر» كما ينقله الطوسي والمرتضى وغيرهما، بل إن الإمام علياً منع الناس من الهجوم على بيت الخليفة الثالث ودافع عنه وأوقف على داره ولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة كضدائين دفاعاً عنه. ولقد زوج ابنته أم كلثوم للخليفة عمر بن الخطاب وأنجبت له زيدا ورفية، وكان زيد يفخر دوماً أنه «ابن الخليفين»، ويقصد عمرًا وعليًا. كما تزوج علي من أرملة أبي بكر، أسماء بنت عميس. وأما جعفر الصادق فكان يفخر دوماً قائلاً: «أولدني أبو بكر مرتين» مرة والدته: فاطمة بنت القاسم بن أبي بكر، ومرة أم أمه فاطمة: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهكذا يكون أولاد الصادق من الأئمة: موسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، وما يسمونه بالمهدي المنتظر، كلهم ينتسبون إلى أبي بكر مرتين، شاء من شاء وأبى من أبى، وهذا يرد الكثير من أحاديث الكراهية.

بل إن الإمام الحسن صالح معاوية بوثيقة الصلح عام 40هـ، واستمر الحسين بالصلح مع معاوية لعشر سنوات

بعد وفاة أخيه الحسن، ثم يأتي ابنه علي بن الحسين السجاد، وهو يدعو الله تعالى لبني أمية في حفظ ثغور المسلمين قائلاً كما ورد في الصحيفة السجادية: «اللهم حصّن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حمايتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، وكثّر عدّتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وآلف جمعهم، ودبّر أمرهم واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، وألطف لهم في المكر». بل قد جاء في تفسير الحسن العسكري: «لقد قال الله لموسى: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضلي على جميع خلقي، وفضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين، وفضل محمد على جميع المرسلين».

ويذكر المؤلف مرجعيات شيعية عربية مثل محمد باقر الصدر الذي كان مجتهداً يتعايش مع الناس ويواكب تطور المرحلة والعصر كما في كتابيه، (فلسفتنا) و(اقتصادنا)، وكان مجدداً ناقدًا في المجال الحوزوي الديني، حريصاً على وحدة المسلمين، ويرفض ثقافة التكفير والبغضاء.



يهدف الكتاب إلى سبر «جذور ثقافة البغض والكراهية بهدف تصحيح الممارسات التي جاءت بتراكم البدع والهرطقة المستوردة من هنا ومن هناك، بما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة».

يركز المؤلف على المرجعين الأساسيين للأمة الإسلامية: القرآن والسنة، كما في قول علي في (نهج البلاغة): «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها وحملتوني عليها، فلما أفضت إلي، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا به فاتبعته، وما استن النبي فاقترضته».

دراسة لغوية تداولية حول إشكاليات وأخطاء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية لـ د. أمير العزب

صدر عن دار النشر الألمانية (لاب لامبرت)، ذات الشراكة البريطانية الأمريكية، الطبعة الأولى من كتاب (دراسة لغوية تداولية حول إشكاليات وأخطاء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية) للباحث د. أمير العزب المحاضر بجامعة قطر، ويتم توزيع الكتاب في 45 دولة حول العالم.

تحمل هذه الدراسة عنوان (دراسة برجماتية لأخطاء الترجمة في ثلاث ترجمات شهيرة في سور: البقرة ويوسف والكهف)، حيث تلقي هذه الدراسة الضوء على الظواهر التداولية وفاقد الترجمة، بالإضافة إلى الفروق اللغوية فيما يتعلق بظاهرة الترادف والتراكيب اللغوية والأدوات النحوية، من منظور تداولي لغوي ناهيك عن إبراز الصعوبات التي واجهت المترجمين وتصحيح أخطائهم.. وتعتمد هذه الدراسة على ثلاث ترجمات شهيرة معتمدة للقرآن الكريم، وهي ترجمة (هلالي وخان) و(بيكتل) و(أربري).

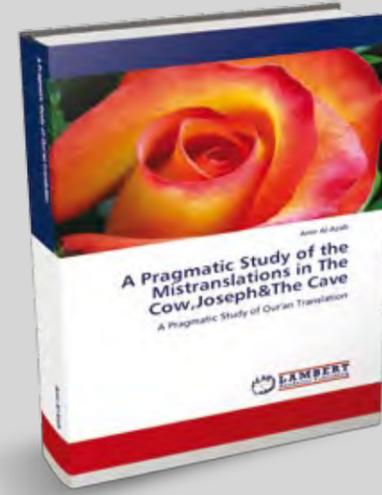
(صدى النسيان) إهدار جديد للشاعر خليل الوافي

صدر حديثاً عن منشورات (رونق)، صدرت مؤخرًا للشاعر المغربي مجموعة شعرية بعنوان: (صدى النسيان)، من الحجم المتوسط، تقع في 98 صفحة، وتضم 11 قصيدة شعرية، هي كالتالي: (سماء الحلم العربي)، (يا صاحبي)، (قول على قول)، (عتبات البوح)، (مولاتي)، (عروس البحر)، (دثريني بالبياض)، (صدى النسيان)، (راحل يا أمي)، (صك الباب)، (ها أنا.. بالعربي)، تتصدر غلاف المجموعة لوحة الفنانة الفلسطينية رانيا عقل.

(صدى النسيان) ديوان آخر من ثلاثية الشاعر المغربي خليل الوافي، وهو يرسم معالم أفق شعري جديد، ويلتمس رؤيا تفاعلية إبداعية، سواء من خلال ديوانه الأول (ما أراه الآن)

جدف عكس التيار

الكاتب: هوك ماجازين
الناشر: كرونكل بوكس، 2015
منذ بداية إصدارها في 2006، كانت مجلة هوك في طبيعة المشهد الصحفي المستقل في لندن وكبرت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مجلة عالمية تباع في أكثر من 20 دولة حول العالم. المواضيع التي تتناولها المجلة متنوعة وجريئة، وبشكل خاص مواضيع الثقافة المضادة الإبداعية، ويتجول صحفيوها في شتى أنحاء العالم لتوثيق الحركات العالمية والبحث عن



التام كقضية خلافية وقضية الإبهام والغموض والفروق اللغوية والمتلازمات اللفظية ولغة الجسد والمجاز والبدل ولطف التعبير والسردية الحيادية وعلاقتها بالترجمة، من منظور برجماتي لغوي ناهيك عن تداولية اللون وتعددية الخبر.

ويلقي الفصل الثاني الضوء على فاقد الترجمة والخسائر التداولية والدلالية، ويؤكد الباحث على استحالة الاقتراب من ترجمة البنية النسيجية للقرآن الكريم ومفاهيم الموروث الثقافي في البيئة العربية الإسلامية والتقديم والتأخير وقضايا التنازع النحوي وصيغ المبالغة والإيجاز والمفعول المطلق وأدوات القسم والسجع والجناس والإدغام والمد.

ويعالج الفصل الثالث أخطاء المترجمين، ويقوم الباحث بالإدلاء ببعض الاقتراحات لحل هذه المضلات، وفي إطار ذلك يتم مناقشة ومعالجة أخطاء المترجمين من منظور تداولي لغوي ثم يعقب المؤلف بالخاتمة والنتائج التي توصل إليها.

وتهدف هذه الدراسة إلى رأب الصدع الذي وجده الباحث في أخطاء المترجمين العظام، كاشفاً إياه على مستوى الألفاظ والتراكيب والأدوات النحوية، وذلك بعرض المشكلة وطرح الحلول المقترحة لمعاني هذه الترجمات.

ود. أمير العزب باحث مصري الجنسية ومحاضر بجامعة قطر، حاضر في العديد من الجامعات المختلفة، وله ما يربو على 30 كتاباً وقاموساً في مجال اللغويات والترجمة، ويعمل مُحكِّمًا دولياً لدراسات التداولية ولغويات النص بكندا ولندن والولايات المتحدة الأمريكية، وترأس قسم الترجمة بصحيفة الشرق السعودية سابقاً، كما أنه يحمل عضوية مجمع اللغة العربية السعودي، كما تم تعيينه مُحكِّمًا بعدد من المجلات العلمية الأوروبية مثل المجلة العلمية الأوروبية.



كتاب المغرب في عيون مصرية

صدر حديثاً في القاهرة كتاب (المغرب في عيون مصرية.. أسطورة المكان والنساء والتاريخ الحي)، وهو من نوع أدب الرحلات، ويحاول من خلاله مؤلفه أيمن عبدالعزيز الصحفي بجريدة الأهرام تقديم صورة تعريفية للقارئ المصري عن المملكة المغربية الشقيقة، من خلاله مشاهداته التي تعكس أصالة هذا المجتمع الصديق

أسرار قذرة.. ملفات الاستخبارات الأسترالية

في هذا الكتاب تقدّم المؤلفة ميردث بورغمان ستة وعشرين «محضرًا» جمعتها تحت توصيف «أسرار قذرة»، كما يقول عنوان الكتاب. والمتصود بتلك الأسرار «القذرة» ملفات الأجهزة السريّة - الاستخبارات - الأسترالية في القرن الماضي، وخاصة في الحقبة التي شهدت الحرب الأمريكية في فيتنام. المساهمون في كتابة الوثائق التي يتعرّض لها هذا الكتاب كانوا قد عملوا بأغلبيتهم في تلك الأجهزة السريّة الأسترالية. وتعود كتابة هذه الإسهامات إلى النصف الثاني من القرن

(محاولات لثريم الجرح) لأليس الرافعي

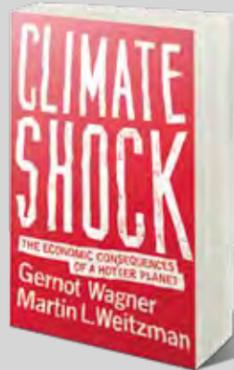
صدر حديثاً عن دار العين بالقاهرة 2015 للكاتب المغربي أنيس الرافعي "مصحة الدمى" ويؤنسن في عمله القصصي تلك الأشياء والكائنات المهملة والمهمشة، فيبث فيها حياة قصصية، ويخترع لها تاريخاً، ويبني لها عالماً من الأحلام والآلام، ويحاول تدوين سير بعضها وتقاطعها مع سير أصحابها، بحيث قد تتفوق الدمية بشهرتها على

أعثر على.. رواية جديدة ليرج

الكاتب: دين فان لورا بيرج
الناشر: فرا، ستراوس اند كومباني، 2015
تقضي جوي أيامها في العمل دون أصدقاء أو أشخاص مقربين، وتكتف وجودها في النوبة الليلية في مخزن خارج مدينة بوسطن وتتعايش مع إدمان على شراب السعال، في محاولة لكبت ماضيها المليء بالمشكلات. ولكن عندما ينتشر مرض ما في المدينة الذي يؤدي إلى فقدان الأفراد الذاكرة المنتهي بالموت، تبدو جوي، وللمرة الأولى في حياتها، أن لديها فضلية في أمر ما: وهي مناعتها

صدمة المناخ: النتائج الاقتصادية لكوكب أكثر حرارة

الكاتب: جيرنوت واجنر، مارتن ويتزمان
الناشر: مطابع جامعة بريستون، 2015
يستكشف هذا الكتاب بالاستناد إلى أبحاث سابقة غير متاحة للاطلاع العام، بشكل واضح وعملي التداعيات التي يمكن أن تصيب الأرض في حال ارتفاع درجات الحرارة. ويبين أنه كلما انتظرنا أكثر، كلما زاد احتمال حدوث شيء خطير للغاية. يركز الكتاب على الأخطار التي قد نتعرض لها جميعاً،



هذه كتب لأشهر المغامرات المثيرة والمؤثرة، التي قام بها رحالة ومستكشفون وأسرى حرب، وتحولت لروايات تستحق القراءة:

أسوأ رحلة في العالم The Worst Journey in the World

نشرت هذه الرواية أول مرة في عام 1922م، والرواية مغامرات حقيقية، فهي مستوحاة من أحداث بعثة (تيرانوفا)، التي نُقلت بأسوأ رحلة في العالم، من تأليف (أسبلي شيري جيرارد Apsley Cherry Garrard) المستكشف الإنجليزي للقارة القطبية الجنوبية، وكان أحد الناجين من بعثة (تيرانوفا) ومن الشهود عليها، وقد وثق ما شاهده في صفحات هذه الرواية، التي تحكي

لا نزهة على جبل كينيا No Picnic on Mount Kenya

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1947 باللغة الإيطالية وفي عام 1952 نُشرت باللغة الإنجليزية، وهي من تأليف (فيليس بينوزي Felice Benuzzi)، وهي رواية مغامرات مدهشة تُعد واحدة من المغامرات الأكثر غرابة من سنوات الحرب العالمية الثانية.

رحلة الكونتيكي الاستكشافية The Kon-Tiki Expedition

نُشرت هذه الرواية في النرويج في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1948 ونشرت باللغة الإنجليزية في عام 1950، وهي رواية مغامرات عن أحداث حقيقية من تأليف الرحالة والمغامر النرويجي (ثور هايردل Thor Heyerdahl) أحد أشهر الرحالة في التاريخ. وأحداث الرواية مستوحاة من قصة حقيقية، حدثت بالفعل لمجموعة من المكتشفين في قارب عبر المحيط الأطلسي، خلال رحلة استكشافية لستة رجال مغامرين في عام 1947م، بنوا قارب من خشب شجر البلسا، مستخدمين المواد والأساليب التقليدية القديمة في بنائه.

المسيرة الطويلة The Long Walk

نُشرت هذه الرواية عام 1955م، وهي من تأليف سجين حرب بولندي سابق يُدعى (سلافومير زوبريتشكي Slawomir Rawicz)، ذكر أنه كان من بين مجموعة الشباب النازيين الذين تم اعتقالهم من قبل NKVD الروسي بعد الغزو الألماني والاتحاد السوفياتي بولندا. الرواية مستوحاة من قصة حقيقية، وقعت أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية، في معسكر سوفياتي للعمل القسري في (سبيرييا)، والذي كان منتشرًا بكثرة في تلك الحقبة، ف (ستالين) جمع في تلك المعسكرات كل من هو ضد الشيوعية من متدينين وهنغارين وبولنديين وديمقراطيين وغيرهم الكثير؛ من أجل خدمة أمة

وفي عام 2006 أصدرت بي بي سي تقريرًا بناء على سجلات سوفياتية سابقة، بما في ذلك بيانات مكتوبة من

قبل زوبريتشكي نفسه، وتبين أن زوبريتشكي قد أفرج عنه بعفوعام مع عدد من البولنديين في الاتحاد السوفياتي وتم نقلهم عبر بحر قزوين إلى مخيم للاجئين في إيران ومنه تمت عملية هروبه إلى الهند.

في أيار/مايو 2009، تقدم فيتولد جلينسكي للادعاء، وهو من قدامى المحاربين البولنديين في الحرب العالمية الثانية الذين يعيشون في المملكة المتحدة، بأن قصة

في قلب بورنيو Into The Heart of Borneo

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1987م، من تأليف (ريدموند أوهانلون Redmond O'Hanlon). والرواية عبارة عن قصة حقيقية وقعت أحداثها خلال رحلة عام 1981م، أثناء رحلة استكشافية في غابات (بورنيو) وحوض الأمازون والكونغو، التي لم تحظي بأي

لمس الفراغ Touching the Void

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1988م، عن قصة حقيقية وقعت أحداثها لمؤلف الرواية جو سيمبسون (Joe Simpson) وعدد من أصدقائه.

تُعد هذه الرواية من روايات المغامرات الملحمية التي تعبر عن الصداقة والخوف والمعاناة والبقاء على قيد الحياة، وهي شهادة مؤثرة لشجاعة لا يتزعزع، حيث تدور أحداث الرواية حول رحلة شاقة قام بها الكاتب وعدد من أصدقائه، لتسلق جبال (سويلا جراناذا) في الأنديز عام 1985 على ارتفاع 6,344 متر (20813 قدم)، حيث واجهوا الموت والرعب والمغامرة، وتحدث لهم عدة صعاب، ويبقى لهم أمل الحياة، فأثناء الرحلة يتعرض مؤلف الرواية للسقوط فتتكسر ساقه.

فيحاول شريكه في التسلق (سيمون بيتس Simon Yates) إنزاله إلى بر الأمان، ولكن مع انخفاض الظلام،

ماوسنوز ويل Mawson's Will

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1999م من تأليف (لينارد بيكل Lennard Bickel). وهي رواية مغامرات مثيرة، لتوثق الرحلة المنفردة الأكثر تميزًا في تاريخ القارة القطبية الجنوبية على الإطلاق؛ لتُعد بذلك من أهم الروايات عن رحلة فردية.

فأحداث الرواية مستوحاة من قصة حقيقية لا تُتسى، حدثت لشخص الدكتور (دوغلاس ماوسون Douglas Mawson) في عام 1908م وظل وحيدًا في قارة (انتركتيكا) لمدة 6 أسابيع، حيث الثلج والبرد والرياح،

في قلب البحر In The Heart of the Sea

نُشرت هذه الرواية لأول مرة عام 2001م من تأليف (ناتانيال فيلبريك)، وتحكي الرواية قصة حقيقية، وقعت أحداثها في عام 1820م، من خلال قارب صيد الحيتان Essex ونجاة طاقم عملها، بعد تعرضهم للهجوم والترصد بواسطة أحد حيتان العنبر، وكيف أمضوا شهرًا في الماء ضائعين في وسط البحر، يتحدون العواصف والجوع والدعر واليأس، لمدة تزيد

زوبريتشكي كانت صحيحة.

روبرت ماين، ضابط الاستخبارات البريطانية الهندية في زمن الحرب، ادعى أن ابنه قد قابل ثلاثة رجال نال منهم الهزال في كلكتا في عام 1942، بأنهم فروا من سبيرييا، ووفقًا لابنه ماين يعتقد أن القصة هي نفسها كما كتبت في (المسيرة الطويلة).

رحلات استكشافية منذ عام 1926م، وقد شارك المؤلف في الرحلة بنفسه، حيث الملايا والتعابين والرعب الكامن. وأخيرًا نجد أن هذه النوعية من الروايات المستوحاة من قصص حقيقية، تلاقى نجاحًا هائلًا، وذلك بسبب حب فئة من القراء وخاصة الشباب لتلك الروايات.

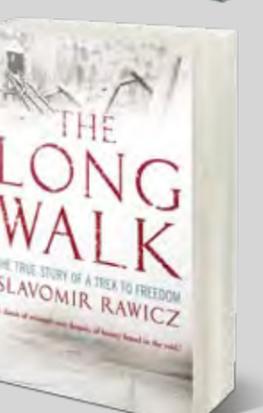
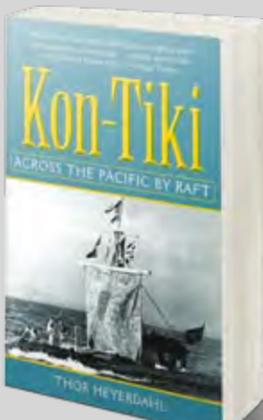
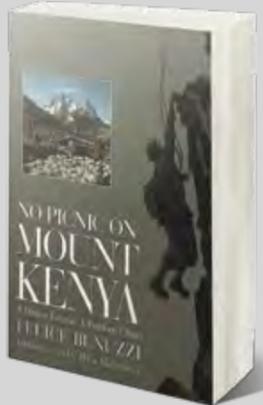
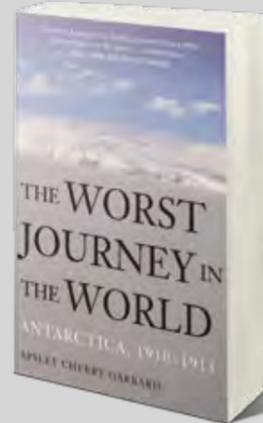
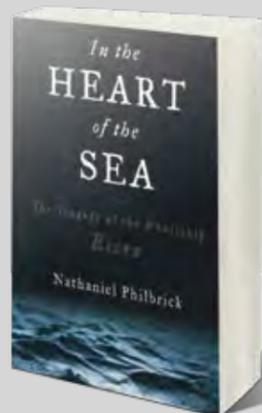
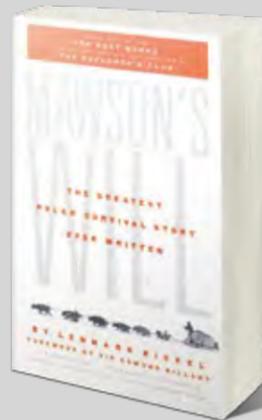
واحتدام العاصفة الثلجية، وأخيرًا، اضطر (بيتس) لقطع الحبل الذي يربط بينه وبين صديقه، ليمضي ثلاثة أيام من العذاب مع الحزن والشعور بالذنب للتخلي عن (سيمبسون) وعاد إلى معسكر القاعدة، ليلقي رفاقه اللوم عليه، معتقدين جميعًا وفاة (سيمبسون)، الذي كان قد نجا من الموت بأعجوبة، وقام بالزحف على المنحدرات والوديان من جبال الأنديز، ليصل للمعسكر، قبل لحظات من مغادره أصدقائه له.

في عام 1989 فازت هذه الرواية بجائزة بوردمان تاسكر لجبل الأدب وجائزة NCR.

في عام 2003، وبعد خمسة عشر عامًا منذ أن نشرت لأول مرة، تم تحويل الرواية إلى فيلم وثائقي يحمل نفس الاسم، من إخراج كيفن ماكدونالد.

وحيث يفقد كل أصدقائه والكلب المرافق له منذ البداية. ويفقد أمدادات الغذاء ليواجه العطش والجوع والمرض والثلج، ويصر على أن ينجو بنفسه، متمسكًا بروح غير قابله للكسر، مما يجعل منه واحدًا من كبار المستكشفين في العالم، حيث أضاف المزيد من الأراضي والولايات لخريطة القطب الجنوبي أكثر من أي مستكشف آخر في وقته.

عن ثلاثة شهور على بُعد آلاف الأميال من البر، قبل الوصول لهم. قام المخرج الأمريكي (رون هاورد) بتحويلها مؤخرًا إلى فيلم سينمائي، من المقرر طرحه حول العالم في 13 آذار/مارس 2015م.





بَقَايَا قَصِيدَةٍ

شعر

محمد محمد عيسى - مصر

1. " لَيْلَى " تَرَاقِبُ - كُلُّ يَوْمٍ - طَلَعَهُ
فَإِذَا بِهِ نَزَقٌ وَلَمْ يَتَرَفَّعْ
وَتَظَلُّ تَرْفَعُ - كُلُّ يَوْمٍ - شَأْوَهُ
وَهُوَ الَّذِي مِنْ ثَلَاثَةِ لَمَّ تَرْفَعُ !!
2. وَلَنْ يَكُونَ خَطَابُ أَجْنَحَةِ الْمَدَى ؟
وَهُوَ : الَّذِي
لَمَّا يَعَادِلُهُ الْفِدَا !!
3. نَامَ الْخَلِيٍّ فَمَا دَرَى
غَيْرَ الْأَمَانِي عَالِقَةً
وَأَجْنَةً - فِي شَهْرَهَا - مُتَقَلِّقَةً !!
4. - يَا : نَابِغِي
أَنْتِ الْغَنِيُّ ..
مَنْ غِنَاكَ ؟
= هُوَ لِلَّذِي سَيَّرْدُنِي - أَبَدًا - غَبِي !

5. مَا كَادَ يَفْرُغُ شَيْخُنَا مِنْ : " ... تَحْشُرُونَ "
حَتَّى رَأَيْتُ أَبِي مَعِي ؛
يَلْقَى مِنَ الشَّيْخِ الْخَطَأَ ،
كُنَّا (بَكْتَابِ) الْبَلَدِ !
6. وَالطَّرْحُ مَا لَمْ يَكْتَنَفْ
تَزَاخَمُ الْأَطْيَارُ فِي جَمْعِ الْعَطْبِ !!
7. مَقْيَاسُ قَدِّ الْإِلَانِهَائِي الْأَنَا
وَأَنَا بِلَا مَقْيَاسٍ قَدِّ
فَعَسَاكَ تَسْكُتٌ عَنِ خُرُوجِ لَا يُحَدِّ !!

1. اثنان...
والهوى ثالثنا
لعيون خديجة
هذا الصباح.. سحرهما
ما أذنب الفجر
لكن كنت المذنب
عرافة الحي
على الرمل قرأت.. سرنا
عشيقان...
البحر يتسع
الأمكنة.. حرسا
والخطوات معدودة
2. مرببابي
أرشدك بماء الورد
اقرأ تعاويذ.. الصباح
وسورة الفلق
3. ستمضي شريدا
إلى أرض.. لا تعرفها
منفاك غربة
..القلب جرح
والأسر خديجة

4. يا راهب الدير
جنتك مستسلما
أبايعك الهوى
خطى للعاشقين
آهات للوجع
5. يا بن الملوح
عذرا
فما كل النساء ليلى
ليلى للوعد ما اخلفت
في الحب ما خانت
.. حبيبها
سيف القبيلة
قطع الوصال
6. / شفتي ..
ملح ونار
قلبي على كفي مصلوب
قصائدي حبق بري
ظماً...ظماً
لوجهك خديجة

شعر

عبد الرحمن سالت - الجزائر

علم أطلال خديجة



بودابست لأولوة الدانوب



نحو عالم متغير .. وحياء متجددة .. وأسلوب مبتكر ..



فكر

مجلة العرب على امتداد خارطة العالم

www.fikrmag.com

مجلة فكر الثقافية

للتواصل : fikrmag2@gmail.com     

التربية والتوافق المجتمعي!



بقلم: عماد أحمد العالم

@emadelalem

فقط دع الناس تقول ما تريد وافعل أنت ما تريد!.....
ويقال أيضاً: البس كالتناس وكل كما تشاء!

مثالان يظهران مفهوم التوافق المجتمعي في ثقافتنا العربية، وضرورة الالتزام به وعدم السباحة عكس التيار ومخالفة العادات والتقاليد، التي يشكل اللبس والحديث فيها نمطا لا يجذب أبداً الخروج عليه، عليك كعربي تعيش في مجتمعك أن تكون كالأغلبية حتى ولو لم تكن مقتنعاً. فاعتكك ليست حقاً ملكك وربما تكون سبباً في مخالفتك للتيار السائد. حينها ستتعرض للنقد والتجريح والعداء دونما أي احترام لحريتك الفردية، والتي سيؤكد لك القائمون على تقاليد المجتمع أنها تنتهي بهم، دون أي اعتبار لك!

للأسف لا نملك الحلول الوسط في ثقافتنا التي باتت تتذبذب وتتأرجح بين النقيضين؛ هي إما أقصى اليمين أو اليسار، بدون أي مساحة في الوسط تعطي الحق والحرية لهذا وتضمن الاحترام لذلك.

قبل سنين قريبة ماضية، لن تستغرب أبداً إن سمعت أن فلان قد منع ابنه أن يركب معه في السيارة لحضور مناسبة رسمية وذلك لأن الابن لم يكن يرتدي الزي الشعبي الشائع، كما لم يكن يربي شاربه (أي حليق) كما يسموه الأغلبية. قصة شعره ليست بالمستقرة المضحكة، لكنها خرجت عن النمطية السائدة والشائعة تلك الأيام. خشي الأب ووجس من أن يقلل الحضور قيمته إن أركب ابنه بجانبه في السيارة واصطحبه لحضور حفل. تراءى للأب الذي لم يقدر مرغماً أن يفرض نمطه على ابنه شفاه الحاضرين وهي تهمس لأذان مجاورها ضاحكة بأن «الرجل بلا شنب كالقط بلا ذنب». الأب نفسه كتبها على سبورة فصله في أثناء دراسته الثانوية أكثر من مرة مستغراً أستاذه المغترب الذي لم يكن يربي شنباً أو لحية!

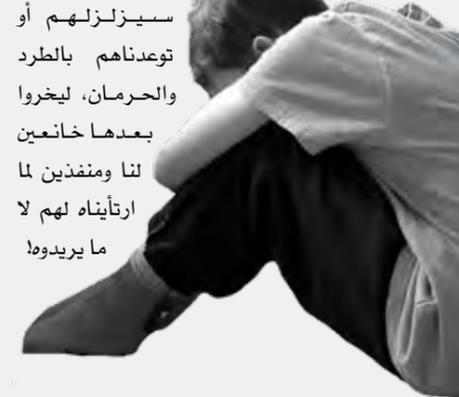
الحال تغير الآن وأصبح العديد من الآباء أكثر ديموقراطية، وأقل اهتماماً بالموروثات التي ترفض إرادتها على الشكل. سمح لأبنائه أن يلبسوا كما شاءوا وتقاخروا بهم أمام الآخرين رغم لبسهم الذي لا يخلو من استهتار في المظهر ومخالفة للذوق العام، وتسريجات شعورهم المضحكة والغريبة والمفتة للنظر والانتباه. قد يكون السبب في تفضي الآباء أيضاً هو شعورهم أن أسلوب التربية القاسي الذي نشأوا عليه لم يعد يجدي نفعاً مع جيل يشارك صور حياته اليومية مع الآخرين عبر الإنترنت، ويبت همومه وشكواه في تويتر والفيس بوك. لديه مقدرة تتميز بجرأة تعدت الحدود على الرد وهو يضع قدماً فوق أخرى ولا ينزل عينيه أو يعبت بهما في الأرجاء في أثناء النظر لأبويه أو من هم أكبر سناً منه!

في جلسات الأصدقاء والسمر، سستسمع باستمرار حكايات جيل متقارب العمر ممن تعدوا مرحلة الشباب أو لنقل أيضاً المراهقة، وهم يصفون تجربتهم مع آباءهم وكيف كان الخوف يسيطر عليهم بمجرد أن يرمق والد أحدهم ابنه، ليبدأ الأخير في الرجفان ودون

أن ينبس الأب بكلمة. آهات حسرة حين يقارنوها بحالهم، وكيف تحولت ديموقراطية الحوار المتبعة لعناد من قبل الأبناء وتذمر من تمردهم. لكنهم إن طلبت من أحدهم تطبيق نفس مفهوم التربية الذي عاصره على أبنائه؛ رفض واستنكر وتشدد بالديموقراطية وبأسلوب التربية الحديث.

آخرون على النقيض تماماً، وأقل ما يمكن أن تصفهم به هو الهمجية في التربية. يستعمل الضرب والشتم مع أبنائه. جل كلماتهم لهم هي لا وأحذرك وستضرب وتحرم!.... أما إن كان حديثهم موجهاً لطفل صغير؛ فالنهي والزجر والصراخ كما هو وإن اختلف لفظه....."كخا" و "ددا". المحصلة أن تجد الرضيع ينطق كلمات النهي التي سمعها من أبويه قبل أن يقول ماما وبابا!

كم مرة مر بجانيك أب أو أم في السوق وأحدهما يطبق يده على رقبته ابنه أو ابنته ويجره نحو السيارة، واصفاً إياه بالحمار والنبي ومتوعداً بحفلة ضرب حال ما يصل المنزل؛ غير مكترث بنظرات من حوله له أو مراغ لمشاعر طفله الذي سيقبل فيه كرامته وعزته واعتداده بنفسه، ليكبر وهو مهزوز الشخصية لا يثق بنفسه ولا يملك قراره. أطفالنا تاهوا بأمانينا لهم وما نخطله لمستقبلهم. نحن من نختر لهم المدرسة والجامعة، ونحن من نجبرهم لدراسة تخصص قد لا يهواؤهم، لكننا نراهم فيه، دون أن نمعنهم المجال ليصنعوا أنفسهم بأيديهم دون تدخل مباشر. أغفلنا التوجيه واستبدلناه بالإجبار.... إن ناقشونا، استعملنا وقتها سلطتنا كأباء وهددناهم إما بالعداء



فلسفة الحب

بقلم: سعاد الورفلي
كاتبة وقاصة من ليبيا

إن الحب هو العامل الرئيس لكل ما يقوم به الكائن تجاه الآخر، فالحب قيمة عظيمة وهيبا لله لنا لا يستشعرها سوى من فقه فضل النعم المنعم بها المتفضل على عباده. الحب: كلمة بسيطة المبني لكنها عميقة المعنى، بحارها عريضة، وأغوارها عميقة، قيمة رهيبه توتي أكلها كلما استحسنت استعمالها.

إن الحب عامل البناء؛ البناء الذي يسهم في التطور والتقدم والعداء والتضحية ..

فما موت الجندي الصغير إلا نابع من حبه لبلاده، حبه لما قاتل من أجله؛ فبلا حب لا يوجد عطاء، وهل هناك أعرق وأخطر من أن يضحي الإنسان بروحه؟!

فالتضحية هي رأس الهرم لقيمة الحب، وهي قاعدته العريضة، وأضلاعه المتوازية..

استلقت فيما استلقت نظري قطرة تنحو على صفارها الأربع؛ تغعم بأصوات غير مفهومة وهي الأولى من نوعها، بيد أنها كانت تموء بشراسة حينما تكون وحيدة؛ تحني عليهم وتقاتل دونهم وتضرم حرباً شعواء، لولمست إنسياً يقترب من الكوة التي تقطن فيها القطط الصغيرة.... ترى - قلتُ في نفسي؛ ما الداعي لهذه القطعة أن تحنو كل هذا الحنو على قطط ستنافسها على الطعام مجرد أن يتفتق بصرها للنور؟ قيل غريزة الأمومة لكن هذا لا يكفيني لبناء فلسفتي العميقة في الحب ..

عن غريزة الأمومة مدعومة بدعامة عامة قوية، ما دخلت في شيء إلا حولته إلى قوة مضاعفة لا تشبهها باقي القوى؛ هذه الدعامة (دعامة الحب) نعم... إن هذه القطعة الأم أصابها شيء من حب فأكسبها حنو غريزي على جراها الصغيرة... فباتت لا تشيع قبل أن يشبعوا، ولا تنام أو تبحت عن رزقها حتى يناموا، ولا يهنا قلبها وهي بعيدة وهم يتصارخون في جرحهم.

أعرفتم معنى قيمة الحب؟ إن الحب شعور عميق تظهر سيماه في أفعالنا وأقوالنا، دون أن نقصد نحن ذلك بأن نتمتع فعل التضحية! إن فلسفة الحب مبنية على أساس قوي ينبع من شغاف القلب، فكم من قاسي القلب حينما تمر من أمامه فتاة حسناء؛ تتقلب سحنة وجهه إلى نضارة، ويعتدل تقطيب الحاجبين إلى استقامة، وما هذا إلا بدافع محبته لما رآه، وليس الإعجاب سوى قيس من المحبة المتأصلة، فالمحبة موجودة لكن المحرك لها قد يخيو وتخد جذوته حتى موعده ...

ربما تجد في مناطق نائية في دول آسيوية (أكلة الصراصير) بينما تشمئز وتصاب بالغثيان لمجرد

ذكر اسمها، ولكن ما الذي دعاهم إلى أن "يقرمشوا" الحشرات ذات القشريات المقرزة؛ هل هو فعل المغامرة؟ حسناً وما الذي دعاهم ودفعهم للمغامرة؟ هل هو حب الشهرة؟ حب الشجاعة؟ حب الحشرات والتلذذ؟ ألم تقررؤوا تساؤلاتي التي بدأتها بحب؛ سواء أكان حب الظهور والشهرة أم حب المغامرة والانفلات... إذن الدافع هو حب ذلك الشيء ..

وهذا ما أردتُ إيصاله هنا في هذه المقالة - أن الحب دافع لفعل كل شيء وأي شيء ...

فهناك الحب القاهر الذي يجتاز كل السدود والحدود ليصل إلى مبتغاه .

إن الإنسان في أضعف حالاته يقوى بالحب، والقوي في أشرس وأعتى حالاته يرقُّ بالحب... أو يضعف! والعنيد إذا أحب تنازل، والقوي إذا أحب لأن..

الحب بفلسفته ومعناه لا نستطيع سبر أغواره، عودوا إلى التاريخ وافرؤوا ما تيسر من مواقف متنوعة وأحوال مختلفة لاقت، وعانت، وهاجرت، وكافحت، كل ذلك بفعل الحب...!

نحن عندما نقوم بالعبادات، فإن الدافع لنا هو حب الله - عز وجل- نحن نعبد الله لحبنا له ولحبنا لأوامره وشرائعه تولد فينا (فعل الطاعة).

فالحب أن تفعل ما يرضي المحبوب، رسولنا الكريم ﷺ زرع قيمة الحب في قلوبنا ودعمها بقوله (حتى أكون أحب إليه) فليقيمة الفعل يجب أن يكون مقرونًا بالحب.

ذكرني أحدهم قائلاً: ليس بالضرورة أن تكون أغلب أعمالنا نابعة من الحب... فهو صدق في كلامه لكنه لم يستشعر ما تنفلسف -الآن - حوله، إن الحب طيف رقيق يتغلغل في النفس ليس بالضرورة أن يظهر شاخصاً أمامك ليشتعر أنك الآن في حالة حب، ولهذا تفعل هذا... كلا..

كانت هكذا إجابتي وردني على المعترض لما ذهبتُ إليه فالحب كامن في النفس فأنت تقوم صباحاً وتتوجه إلى عملك، ليس لأنك تريد أن تعمل وتحصل على التقود، بل هناك نشاط داخلي منبعه محبتك لكل لحظة تبتدئ فيها عملك.. صحيح أن هناك أمزجة قاهرة قد تشوب وتشوش سماء الحب وتكدر صفاءها؛ هذه الأمزجة أن تقوم مكرراً مثلاً أو كارهاً لمدير العمل، أو ناقماً على الروتين؛ لكن دافعية الحب للعمل، هو وقود حركتك ونشاطك؛ هي إكسير حياتك.

ولهذا تنوعت فلسفة الحب بما يطرأ على النفس من مشاغل تمنعها من تذوق القيمة دون حجب ...

أزمة الهوية

ريم الحاجي محمد

الأحساء

الهوية كما تعرفها معاجم اللغة هي حقيقة الإنسان المطلقة وصفاته الجوهرية.

كذلك تعرف الهوية الوطنية بأنها المعالم والخصائص المميزة وأصالتها.

إن كل فرد من أفراد المجتمع تقع على عاتقه مسؤولية حقيقته المطلقة، وتشكيل معالم وخصائص الوطن حتى يكون ممثلاً لوطنه وللمجتمع الذي ينتمي إليه، والشعوب تعرف بعضها بتلك الخصائص والعادات والملاح وطريقة اللبس وما إلى ذلك من أمور تدل على هوية صاحبها. وحتى تكون هوية الفرد بارزة ومميزة يحتاج صاحبها أن يكون مقتنعاً من الداخل بهويته ومعترًا بها وحريصاً على إبرازها بأجمل الصور.

لكن ما نشاهده من ظواهر التقليد لكل ما يرد للمجتمع عبر أجهزة التلفاز والانترنت يشعرونا أننا نسير نحو مجتمع أشبه ما يكون بـ (مجمع الهويات)، ذلك أن الكثير من أفراد المجتمع لديهم قابلية لاستبدال هويتهم بمجرد اطلاعهم على هويات الشعوب الأخرى.

الاطلاع والمعرفة والتجريب أحياناً لا عيب فيه؛ بل هو جميل حيث يعزز التواصل الإيجابي بين الشعوب وتبادل المعرفة، ولكن المزج في الأمر أن الاستيراد لا يكون للإيجابي فقط، بل إن ما يحدث هو استيراد السلبيات بشكل مبالغ فيه والانبهار بما عند الآخرين، في المقابل لا نجد من أفرادنا من يصدر للعالم هويتنا ويحسن إبرازها بإيجابية، والأدهى أنهم يتحسسون للتقليل من قيمة موروثاتنا وهويتنا ورسما بصورة سلبية للآخرين.

هذا الانقياد التام للتقليد ومحاكاة الآخرين قد يكون ناتجاً عن عدم الثقة فيما نملك أو الجهل بأن ما نملكه لا يقل قيمة عما يملكه غيرنا أو قد يفوقه قيمة. ختاماً، التبادل الثقافي والفكري جميل بين الشعوب شريطة أن يكون إيجابياً لا يسهم في إلغاء هوية مقابل استيراد هوية أخرى، ودون أن يكون وسيلة لنشر سلبيات شعوب أخرى في مجتمعا، والمتفرض أن يكون معززاً لما نملك من إيجابيات أو مصلحاً لما فسد في تفاصيل تطبيقاتها.



أطفالنا أكبادنا إلى أين؟

د. ريمة الخاني - سوريا

الطفل، هو إنسان المستقبل، الذي يعول عليه وعاء يحمل ما قدمته أيدينا من تربية وتعليم... لذلك تهتم المجتمعات المتحضرة وهذه الفئة الاجتماعية الحساسة والمهمة، فمن خلال إعداد الطفل نؤسس للمستقبل المشرق للأمة، فما هي نظرتنا وأفكارنا وتحليلنا لتلك الفئة العمرية؟

1 - ماذا تعني بكلمة "طفل"؟
معجبياً:

طِفْلٌ (لسان العرب)

الطِّفْلُ: هو البَنَانُ الرَّخْصُ. المحكم: طِفَالٌ وَطُفُولٌ؛ قال عمرو بن قميئة: إلى كَفَلٍ مِثْلٍ دَعَصِ النَّقَاءِ، وَكَفَّ تَقَلَّبَ بِيْهًا طِفَالًا وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ: مَتَى مَا يَفْعَلُ الْوَاهِشُونَ، تَوَمَّى بِأَطْرَافِ مَنَعِمَةِ طُفُولٍ وَاللَّاتِي طِفْلَةً؛ قال الأعشى: رَحْصَةً طِفْلَةً الْأَنَامِلِ، تَرْتَبِّبُ سَخَامًا تَكْفَهُ بِحَالٍ وَقَدِ طَفَلٌ طِفَالَةً وَطُفُولَةً.

ويقال: جارية طِفْلَةٌ إذا كانت رَحْصَةً. والطفل والطفلة: الصغيران.¹

2 - تاريخياً:

لقد كانت كلمة طفل تعني عند اليونان "neption" وهي مكونة من: ne+epos أي: no word ولا تعني الطفل أو الصبي فحسب، بل الكائن الذي لا يتكلم، ومقابلها في اللاتينية: "infans المكونة من: in+fans وتعني not speaking وهكذا فإن تعريف الثقافتين اليونانية والرومانية للطفولة بأنها مرحلة من دون كلام، تعكس تصورهما عن الكيفية التي ينمو بها الطفل، كما تعكس اهتمامات اجتماعية وأدبية خاصة.

لذا ارتبط أدب الأطفال في ذلك العصر، وفي القرن الثالث فبن الكلام والأداء والخطابة والمسرح والحوارات، فأنشأ كوانتليان في القرن الأول الميلادي في كتابه "مؤسسة الخطابة" Institutes of oratory وقال: على المعلم أن يكون متميزاً في بلاغته كما في سلوكه، لكي يعلم تلميذه كيف يسلك وكيف يتحدث. ويقول: تاسيتوس Tacitus الروماني في كتابه: حوار حول الخطباء Dialogue on orators من خلال هذه العملية، يتعلم الطفل أشياء حول العالم، وحول طبيعة الجنس البشري والحياة العامة.²

وقد عرف من كبار كتابهم في اليونانية والرومانية: شيشرون، أوفيد، لوكان، ستاسيوس، تيرينس، سالوست، ثيو قريطس، ديمو سيديس، هيبوقراطس، كزيتوفون.

وقد اشتهرت شخصية "إيسوب" والحكايات الأسطورية، برغم أنه كان عبداً قبيحاً عظيم البطن، مشوه الرأس، أظفاس الأنف، داكن اللون، قرماً مقوس الساقين، قصير الذراعين، أحول، مشقوق الشفة. وبرغم أن العبيد كانوا قبيحي الشكل كان الممثلون يتمصصون دور العبيد لغرض الخطابة. بكل الأحوال كانت الإيسوبية تعد جمعاً لأصناف أدب الأطفال الكلاسيكية، من أجل

العصور الوسيطة وعصر النهضة والعصور الحديثة، لا من أجل الطفل.³

3 - من هو الطفل؟

ليست الطفولة سوى مرحلة انتقالية: ولقد تغيرت حدودها عبر القرون، وهي تتطلب حماية الراشد، غير أن الانتقال من الحماية إلى الهيمنة يتحقق بسرعة.⁴ تعرف الدكتوراة ملكة أبيض الطفولة قائلة: «هي المدة العمرية التي تبدأ من لحظة الولادة، وتمتد حتى يصبح هذا المخلوق بالغاً ناضجاً».⁵

وعادة تكون مدة الطفولة في المجتمعات المتقدمة أطول منها في المجتمعات المتخلفة والنامية، ويقسم العلماء الطفولة إلى ثلاث مراحل:

طفولة مبكرة، وتمتد من الولادة حتى سن السادسة.

طفولة وسطى: تمتد من سن السادسة إلى الثانية عشرة. مرحلة الطفولة المتأخرة: تمتد من سن الثانية عشرة وحتى الثامنة أو العشرين.

يقول الأديب سليم بركات حول الطفولة: «أنت مطوق من جهات طفولتك كلها، وعليك أن تعترف بالذي فعلته والذي لم تفعله، أنت منهوب، ليس لك أمل في الفوز بأي رضا قط، بل والتخفيف من العقوبة، لا مكافآت على شيء في عمرك، قصاص تلو القصاص، تدريب باذخ على أن تكون غير نفسك، بدءاً من العائلة، مروراً بالمدرسة، انتهاء بالدولة، والموت ينتظرك بعدئذ في مسلخه الآخر، نعم كل شيء يدعوك أن تكون كبيراً...»⁶

ماذا يعني هذا؟، هل تعد نصاً كهذا منتهى الإحباط من خلال التمييق والتزويق الأدبي؟. إن الطفولة العالمية على عموميتها عانت منذ القديم من هذا الداء، ورغم هذا فالطموح اللامنتهي لم يدع لهذا الأخطبوط المسيطر مجالاً للتجسيم، فالطموح الحقيقي يخرج من الشرقة حتماً. بل ويخرجها للفضاء الأوسع ويكون كعامل مستفز دوماً لتنفيذ ما نأ في ذهننا النشط، وإلا فسيكون طموحنا كاذباً وهمياً.

- ولكن ما الذي يحد من طموحه الغض؟: إن فطرة التجديد موجودة عند الإنسان من الطفولة، فترى الطفل يحاول إدراك ما حوله حسياً كجسم غريب بداية لتستقر الحقيقة في ذهنه بعد ذلك، وتتضي على التساؤلات، فنراه يلمس أي جسم يشعر بأنه غريب ويجب معرفته، ومع مرور الزمن يكبر الطفل، ومن خلال تربيته الماضية النسقية له، سيصبح فرداً نسقياً كبيراً، بعدما قضينا على عقله وعلى أي محاولة للبحث والتجريب، وبعدما قتلنا وأحبطنا بذور الإبداع فينا، وهكذا دواليك تتكاثر الكائنات البشرية تحت وفي العقل الماضي الثابت.⁷

من هنا نفهم كيف يقضي الأهل والجو الاجتماعي المحيط على طموحه ومواهبه، ورغم أنها لا تموت عند كثير من النماذج لكنها تتمزج إن جاز التعبير، وتتقبل، ولا تخرج من شرفقتها إلا لو حاولت هي ذاتها بمحض

خارجي أو داخلي يشعل فتيله أمر طارئاً ما.

من جهة أخرى انفتاح الباب للطفل على مصراعيه ليس محموداً أيضاً، يقول توفيق الحكيم هنا: «إن الطفل يفرح بالجديد لأنه جديد، هكذا الشعوب أيضاً في طفولتها، والمجتمع في طفولته، يفرح للحدث الجديد، والخبر الجديد فالمهم هو التغيير فقط، ليس الذنب ذنب الطفل، والأعييب الطفولة، ولكن الذنب ذنب المربي الذي يشجع في الطفل هذه النزعة بالإكثار من تقديم الجديد، فيعوق نموه من عهد اللعب والعبث إلى عهد الفهم والبحث»⁸.

طفلنا العربي غير متوازن، إما محروم ويعاني الكبت، أو مسرف بطر، فماذا ننتظر منه؟

أما عن تطور الشعوب من خلال أطفالها، فالشعوب في مبدأ تطورها كالأطفال في مطلع تكوينهم، تتغلب عليها الروح السلبية، فمن السهل على الطفل الذي يريد مباشرة نشاطه والاستجابة إلى داعي حيويته، أن يحقق ذلك بأن يقذف نازحة بحجر، ولكنه عندما يكبر ويقوى وينضج يرى الوسيلة في تحقيق نشاطه، هي أن يرسى ذلك الحجر أساساً لبناء.⁹

ويقول الحكيم أيضاً: «في طور الطفولة تميل إلى التحطيم، وفي طور الرجولة تتصرف إلى الإنشاء، إن الطفولة تحتاج في تكوينها ونموها إلى نموذج من الرجولة»¹⁰. وقال أيضاً، إن الشخص ذا القيمة هو الذي يعرف القيم كما يعرف الصائغ درجات الذهب.

3 - استثنائيات تربوية:

1 - العبقرية: من المؤسف أننا نضيع في كل يوم الكثير من النواياج بأساليبنا التربوية القديمة المقولبة، وتصرفنا الديكتاتوري، ناهيك عن المجتمع الكلاسيكي الروتيني، الذي لا يفقه ما معنى استثناء عن القاعدة، ولا يعير عناية لنشيط فكر.

يقول الأستاذ: حسين محيي الدين سباهي: «العبقرية نبوغ في ناحية من النواحي الإبداعية، بحث يمكننا رصدها وقياسها باختبارات الذكاء واختبارات الشخصية. «كيف تفكر كالعابرة، لا يكمن الفرق بين التفكير الذكي والتفكير الأحق في اختلاف محتويات الدماغ بقدر ما يكمن في الطريقة التي يستخدم فيها التفكير.

إن العبقرية نتاج الوراثة والبيئة معاً، فالاستعدادات الموروثة لا بد أن تسلمها بيئة مواتية تشجع على التحصيل وتتمي المواهب وتتيح لها فرص التفتح، وإلا فمضير هذه الاستعدادات إلى الذبول والاضمحلال، إن ميكانيزم الوراثة لا يمكن أن يعمل عمله إلا في شروط معينة وبيئة وحمية واجتماعية صالحة»¹¹.

تقول الأستاذة رهن النحلاوي: المهارة إن تصيب هدفاً لم يصيبه أحد غيرك والعبقرية أن تصيب هدفاً لا يراه أحد غيرك.

2 - من هو الطفل المحروم؟، عبارة لا تجد تعريفاً واحداً

يجمعها، فمنهم من يقول طفل الشارع، ومنهم من يقول هو الطفل الذي أساء الأهل تربيته، ومنهم من يقول هو من تربي بعيداً عن أهله.

بكل الأحوال، يبقى طفل الشارع يجمع جل العناصر المحببة والمؤدية لتربية منحرفة، يقول الدكتور معمر نواف الهوارنة عن هذا الطفل: أطفال الشوارع هم الأطفال الذين يعدون أكثر الفئات تعرضاً للظروف الصعبة

والحرمان وعدم إشباع احتياجاتهم، هم فئات محرومة، أو تعيش في ظروف صعبة.

طفل الشارع، طفل يظل مدة طويلة في أثناء اليوم في الشارع، سواء كان يعمل أعمال هامشية، مثل مسح زجاج السيارات، أو بيع سلع بسيطة، أو جمع القمامة، أو التسول للحصول على المال، أو يخالط أصدقاء السوء، أو يعمل أعمالاً غير قانونية، كارتكابه أعمال عدوانية تجاه المارة والمرافق العامة.¹²

إن الإحصاءات العربية قصرت في جمع آخر ما توصلت إليه الأرقام بصدد عدد أطفال الشوارع وقد كان آخر إحصائية عام: 2000 بلغت: 10 مليون طفل، بينما الرقم عالمياً بلغ 40 فماذا يعني هذا؟¹³

كيف يبدع طفل يعيش مشرداً؟، يقول الأستاذ: حسين محيي الدين سباهي ويقول الباحثون أن المبدعين والعباقرة عندما يضيق بهم العالم من حولهم يبدعون كنوع من التعويض، فيتصرفون تصرفاً مختلفاً ومميزاً، فهل العبقرية مرض عقلي؟، لكن

غالبية العباقرة بعد البحث يتميزون بالصحة النفسية والانضباط، ذلك لأن لديهم حساً عالياً بالواقع، وحتى وإن تصرفوا أحياناً بشذوذ، أو كانت لهم انفجاراتهم الانفعالية. فبوسعهم تصحيح أنفسهم لأنه يملك من المرونة ما يمكنه تجريب أفكار جديدة تحول مساره لأفاق جديدة إيجابية.

برغم أهمية التعرف على الأسباب المؤدية للتشرد والحرمان: مثل انخفاض المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافة الاجتماعية حتى، وما يزيدتها تازماً ارتفاع تكاليف التعليم وقلة مبانى المدارس وسوء علاقة المدرسة بالطالب، وسوء المناهج وتخلفها عن الركب الحديث، وتفتك العلاقات الأسرية وسوء شروط السكن، وما يؤدي ذلك لأمراض عضوية واجتماعية عميقة الأثر، فكله يؤيد فكرتنا القائلة: هل بيئة كهذه تؤدي لجيل قارئ مثقف وكتاب



يعرفون ماذا يريد المجتمع أو ما هو بحاجة إليه، لذا فإن الكاتب المقتر عيش على هامش المجتمع يكتب في زاوية مهملة إلا من بعض أضواء إعلامية بسعيه، ودون صدى بعيد المدى.

وعلى هذا نجد أن العامل النفسي إيجابيه وسلبيه يلعب دوراً خطيراً في دفع عجلة الإبداع للأمام، تقول الدكتوراة ملكة أبيض في هذا المجال: «إن العمليات الثقافية الموجهة نحو الأطفال سواء كانت تربية أو إعلاماً أم ترفيهياً، تشكل في صميمها عمليات اتصال بالمعنى العلمي للكلمة Communication، وتحتوي ثلاثة عناصر المرسل والمستقبل أو المرسل إليه، والرسالة ونواقل الاتصال أو وسائله»¹⁴، لذا بات الحكم من بعد على الطفل قبل الكتابة له تسرع وظلم، فلنعد النظرة تلو النظرة، ولنعرف ماذا نريد من الطفل وماذا يريد منا.

الهوامش:

- 1 - راجع الرابط: <http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D8%B7%D981%D984%D984%>
- 2 - "دونيتر اسكاربيك" في كتابه: أدب الطفولة والشباب، الكتاب من ترجمة د. نجيب غزاوي ومراجعة عيسى عصفور.
- 3 - راجع العدد 562 من مجلة المعرفة البحث: مدخل نفسي اجتماعي لأدب الأطفال للدكتوراة المذكورة.
- 4 - راجع كتابه: التنجيل في فروض النشر، ص 120
- 5 - انظر العدد 562 من مجلة المعرفة: بحث: الحداثة العربية من التجديد إلى الجمود للنقاد "أحمد أنيس الحسون" بتصرف.
- 6 - من كتاب عصا حكيم في الدنيا والآخرة، ص 97-98
- 7 - من كتاب عصار الحكيم في الدنيا والآخرة، للأديب الكبير توفيق الحكيم، ص 138
- 8 - راجع كتاب "عصا الحكيم" ص 24
- 9 - من بحث سيكولوجية التفكير العبقري وعلاقة العبقرية بالاضطرابات العقلية والنفسية. العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014
- 10 - من بحث "أطفال الشوارع". العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014
- 11 - المصدر السابق نفسه.
- 12 - من بحث "أطفال الشوارع". العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014
- 13 - المصدر السابق نفسه.
- 14 - بحث: مدخل نفسي - اجتماعي لأدب الأطفال مجلة المعرفة العدد 562 تموز 2010



حماية البيئة والتعليم 2-3 حماية البيئة مطلب اجتماعي

أولاً النظام التقني:

تعني التكنولوجيا في العصر الراهن استخدام المعرفة العلمية في التطبيق العلمي لاستثمار موارد البيئة من جهة، وحل المشكلات البيئية والتصدي للأخطار البيئية من جهة أخرى، أو بمعنى آخر الإصحاح البيئي. والعلاقة التي تربط بين العلم والتكنولوجيا في الوقت الحاضر علاقة تبادلية، بمعنى أن كل ما يحرزه العلم من تقدم يتمثل في اختراعات تقنية جديدة، ومن ثم تساعد تلك الاختراعات على تقدم العلم، ويلاحظ أن هناك تسارعاً في المدة ما بين الاكتشاف العلمي الجدي وتطبيقه، فعلى سبيل المثال فإن التصوير الفوتوغرافي تم تطبيقه صناعياً بعد اكتشافه علمياً بـ (112 عاماً)، والتليفون استغرق إنتاجه 56 عاماً، أما الراديو فقد استغرق 35 عاماً، والرادار استغرق 15 عاماً، والترانزستور استغرق 5 سنوات، أما الدوائر المتكاملة فقد استغرقت 3 سنوات. إن هذه الظاهرة من السرعة المتزايدة يوماً بعد يوم، يجب أن تلفت نظرنا بشدة إلى ضرورة الإسراع بالخطى والاهتمام بالإنسان صانع التقنية، وضرورة الاهتمام بالفكر والعلم والابتكار، ووضع حلول غير تقليدية للمشكلات البيئية، وضرورة مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، التي تشأ عن تنفيذ المشاريع التنموية.

دور التقنية في التفاعلات البيئية:

لقد تغلغت التقنية وتطورت في النسيج الاجتماعي للناس، وفي حياتهم اليومية حتى أصبح من المستحيل أن تعود عقارب الساعة، وينفض الإنسان يده من التقنية، فلمعالجة الخلل البيئي الذي نشأ عن تطبيقات التقنية في الصناعة والزراعة، يجب استنباط وسائل تكنولوجية جديدة، أو تطوير الوسائل التكنولوجية الموجودة، كأنما المجتمعات الحديثة قد أصبحت (مُدمنة) تكنولوجياً، والدواء الوحيد هو المزيد من التكنولوجيا.

ثانياً: النظام الاجتماعي:

يقصد بالبيئة الاجتماعية، الجزء الذي يشمل الأفراد والجماعات وتفاعلاتهم، وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات التي ينقسم إليها المجتمع، وتؤثر التقاليد والقيم الاجتماعية على استغلال



عبد الله بن محمد اليوسف

الرياض

إن التعليم يففل ولم يبين أن حماية البيئة مطلب اجتماعي، فلو استعرضنا مكونات البيئة الحضارية: لوجدنا أنه يتكون النظام البيئي الحضاري من خمسة عناصر هي:

هذه الثروة الحيوانية التي كان من الممكن أن تلعب دوراً مهماً في الاقتصاد الهندي.

ومن الأمور الصارة بالتوازن البيئي ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن طائر البوم نذير شؤم، في حين أن البومة تصطاد في كل ليلة ما بين 3 إلى 4 فئران، فهي عامل من عوامل التوازن البيئي، كما أن العناكب التي لا يرتاح الإنسان إليها، تصطاد من الحشرات الصارة سنوياً ما يزيد على وزن ثلاثة ملايين رطل، ولو اختفت لفنكت الحشرات بمقومات هذا الكوكب فنكاً ذريعاً.

خامساً النظام السياسي:

ويقصد به كيفية إدارة المجتمع لمؤسساته التي تنقل آراء القيادة السياسية للقاعدة الشعبية، ومتطلبات القاعدة الشعبية للقيادة. وتختلف الأنظمة السياسية نوعية الحكم، ومما لاشك فيه أن للنظام السياسي أبلغ الأثر على النظام البيئي، فقد يشعل الحروب التي تدمر البيئة، وتهدر مواردها، وتقضي على القوى البشرية وتبديد قواها، وقد يسمح بدفن النفايات الذرية في أراضيه، فيعمل على تدمير بيئته الطبيعية بل البيئة العالمية حاضراً ومستقبلاً. وقد دعا الإسلام إلى الشورى وأخذ رأي الجماعة، وعدم استبداد الحاكم برأيه، بل ومحاسبته، كما كان يتم في عهد الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومحاسبته لولاة الأقاليم وتطبيقه مبدأ: من أين لك هذا؟ كذلك في عهد الخليفة عمر بن العزيز الذي رد أموال بني أمية إلى بيت مال المسلمين.

ومن هذه المسائل قضايا البيئة والأمن البيئي:

أو التحقيق في ماهية التربية البيئية في وعي أفراد المجتمع كباراً وصغاراً؛ ولا يخفى أن الشريعة جاءت بنصوص عديدة تدعو إلى حماية المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، بوصفه أحد أهم ركائز قيام الإنسان بعملية الاستخلاف والعمارة في الأرض، وهنا يتوجب الحديث عن مراعاة الوازع الديني في تحديد أهمية رعاية المحيط بخاصة، والبيئة بصفة عامة؛ فإن الخالق تبارك وتعالى عندما استخلف الإنسان وأمره بعمارة الأرض سخر له ما في الكون من جماد وكائنات حيّة لتعينه على عملية الأعمار، معتمداً في أساليب التعامل على نصوص من الوحي، وهذا ما يدعونا لاستقراء هذه النصوص وجمعها، وتبويبها على أسس موضوعية، لأنها تتطوي تحتها مجموعة متجانسة من الأحكام الشرعية التي تختص بالبيئة والعوامل المحيطة بها، وهو ما يمكن إطلاق المصطلح المقاصدي عليه، وهو أن رعاية البيئة في "المقاصد العامة"، وهي التي عرّفها الإمام ابن عاشور في قوله: "ما كان عائداً على عموم الأمة عوداً متماثلاً، وما كان عائداً على جماعة عظيمة من الأمة أو قطر" وإن الإنسان من حيث كونه عضواً في المجتمع.

رابعاً: النظام الثقافي:

استطاع الإنسان، منذ ظهوره حتى الآن، أن يشيد بيئات اصطناعية (أو حضارية) تختلف عن البيئات الطبيعية، كمحاولة لاستثمار الوسط البيئي لتلبية حاجاته واستمرار وجوده. وتعد النظم الثقافية جزءاً من البيئات الاصطناعية التي أوجدها الإنسان، وتشكل الثقافة مركباً متنوعاً من المعرفة والعقائد، والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف، وكل المقدرات والعقائد الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضواً في المجتمع. وتلعب المعتقدات السائدة دوراً مهماً في إعاقة خطط التنمية وإهدار الموارد البيئية؛ لاعتمادهم أنها تفسد الأرض، وتسبب في تقليل رطوبتها. وموقف الهندوكي من الأبقار وتقديسهم لها، يقف حائلاً دون قبول أي نمط ثقافي جديد خاص بتحسين استغلال من رعاية البيئة، وإذا ما اختل النظام والتوازن البيئي،

واستنزفت الموارد الطبيعية، وتلوث الجو، فإن المجتمع بأسره سيعود عليه هذا الاختلال بالدمار والهلاك؛ في صحته، ومحيطه، وعلاقته بالبيئة نفسها.

الاستخلاف قضية يجب أن تتوقف عندها ملياً لأنها سوف تحدد دور الإنسان وواجباته تجاه بيئته:

1 - فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصي على هذه البيئة وليس مالكا لها، وأنه مستخلف على إدارتها واستثمارها وأعمارها، أمين عليها، "وبناءً على ذلك فليس لأحد أن يدعي أنه يملك منها شيئاً ملكاً حقيقياً فيكون له حق التصرف المطلق ولو بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله الملكية الحقيقية تشبه أن تكون ملكاً استخلاقاً للناس جميعاً عبر الأجيال المتتابعة".

2 - ويقضي واجب الاستخلاف بطبيعة الحال أن يتبع المستخلف ما يأمر به مالك هذه البيئة، وخالقها ومستخلفه فيها، ويقضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات. فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ومعنى هذا أن لا ملكية مطلقة في الإسلام؛ أي أنه ليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء.

3 - فالملك في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى، منها حسن استغلالها وصيانتها.

4 - المحافظة عليها من أي تدمير أو تخريب، فليس المطلوب في عملية الاستخلاف أن يكون الإنسان صالحاً في نفسه فقط؛ بل أن يشيع هذا الصلاح في محيطه وما هو مسخر له، وأن لا يبعث في الموجودات المسخرة له فساداً وتخريباً، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ﴾ (الحجرات: 11).

وقال المصطفى ﷺ: (إن مثل المؤمنین في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، وقد أجمع كثير من العلماء على أن أكبر معجزة للرسول ﷺ أنه ألف بين قلوب القبائل، فالحبشي أخ الفارسي، والقرشي أخ الخزومي وغيره، وقضية التنازح بالألقاب والعنصرية سبب رئيس في تأخر النهضة، وكمن مبدع تلقى رسائل سلبية بعثت مستقبله وجعلته في صفوف الفاشلين بسبب السخرية والتحطيم، وكذلك علماءنا الكرام لم يسلموا من هذا الافتراء والانتهاك الباطل، أما بعض الدول قاموا بإنشاء أكاديميات ومراكز ونوادٍ ومساح لتطويع جميع المواهب سواء كانت علمية أو رياضية وغيره من العديد من الإبداعات.

أذكر أن شاب سعودي تقدم لأحد الجهات المتخصصة باختراع جديد لمحرك السيارات فكانت المفاجئة من رد الموظف الساخر: كيف حصلت على هذا الاختراع هل هو أثناء حلمك في المنام؟ وأختم مقالي بقول الله سبحانه ﴿وَلَا تَزْعُمُوا فَتَفْطَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ﴾ (الأنفال: 46)

(الفجر: 14:11).



أحمد صالح الصمعي

aalsmany@hotmail.com
@alsmany

ولا تنازعوا

نلاحظ في الآونة الأخيرة انتشار بعض الرسائل التي تهدف للعنصرية ودائماً حرب نفسية بين أخوان من مدينة أو دولة واحدة أحياناً تتعلق بالقبائل أو الرياضة وغيره من الفكر الخاطئ الذي اعتقد منشؤه أنها دعابة ومزحة، وهي في الحقيقة رسائل تقود المجتمع للفشل والهزيمة والوقف في طريق الإنجاز وتحطيم الاحلام، واستمرت هذه العنصرية في معظم المجالات مثل السخرية بين الرجال والنساء، وكما شاهدنا من رسائل التواصل الاجتماعي، وللأسف أن المبالغة في هذه النكت لم يسلم منه عرض المرأة أو الرجل المسلم حيث أنهت المرأة بالفجور والانتكاس بالفتنة ووصفت فتيات دول الكفر بالعفاف والشرف والاحترام خلاف ما يظهر للجميع والله أعلم، وبفضل الله كم يظهر أن معظم المسلمين حافظوا على دينهم وعلى سنة المصطفى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنَ الْقَوْمِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَسَاءَلُوا عَنْ أَلْسِنَةٍ قَدْ عَصَىٰ عَنْ رَبِّكَ وَلَا تَبْغُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْغُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْغُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْغُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ (الحجرات: 11).

وقال المصطفى ﷺ: (إن مثل المؤمنین في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، وقد أجمع كثير من العلماء على أن أكبر معجزة للرسول ﷺ أنه ألف بين قلوب القبائل، فالحبشي أخ الفارسي، والقرشي أخ الخزومي وغيره، وقضية التنازح بالألقاب والعنصرية سبب رئيس في تأخر النهضة، وكمن مبدع تلقى رسائل سلبية بعثت مستقبله وجعلته في صفوف الفاشلين بسبب السخرية والتحطيم، وكذلك علماءنا الكرام لم يسلموا من هذا الافتراء والانتهاك الباطل، أما بعض الدول قاموا بإنشاء أكاديميات ومراكز ونوادٍ ومساح لتطويع جميع المواهب سواء كانت علمية أو رياضية وغيره من العديد من الإبداعات.

أذكر أن شاب سعودي تقدم لأحد الجهات المتخصصة باختراع جديد لمحرك السيارات فكانت المفاجئة من رد الموظف الساخر: كيف حصلت على هذا الاختراع هل هو أثناء حلمك في المنام؟ وأختم مقالي بقول الله سبحانه ﴿وَلَا تَزْعُمُوا فَتَفْطَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ﴾ (الأنفال: 46)

لوحة غرينيكا الشهيرة للفنان الإسباني بابلو بيكاسو



غيرنيكا.. تصوير أقوي من الرصاص

تلك البلدة الصغيرة في إقليم الباسك الإسباني تعرّضت في عام 1937 من القرن الماضي لهجوم بالطائرات والقنابل على أيدي القوات التابعة لنظام "فرانكو" بمساعدة جنود المانيا النازية. وقد راح ضحيتها أكثر من ألف وستمئة شخص.

الحادثة فجّرت حينها ردود فعل شديدة في العالم مستكرة ومنددة بما حدث، من خلال المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية، وصلت أخبار المذبحة إلى باريس حيث كان يقيم الفنان الإسباني "بابلو بيكاسو". بعد هذا الخبر الذي نزل كالصاعقة بدأ بيكاسو يفكر في إنجاز عمل فني يجسد فظائع الحرب الأهلية الإسبانية وما جرّته من موت ودمار، لكن حالة الاضطراب النفسي التي كان يعيشها نتيجة ذلك كانت تمنعه من تحقيق تلك الرغبة.

وقد وفرت له الحادثة فرصة مواتية لتحقيق ما كان قد فكر فيه مراراً، مع أنه كان يكره السياسة وينفر من فكرة توظيف الفن لأغراض سياسية، هي في النهاية تبقى مأساة إنسانية.

في تلك السنة أقيم معرض باريس الفني، وهو مناسبة أراد من خلالها منظمو المعرض الاحتفال بالفن الحديث، الذي يستخدم التكنولوجيا الحديثة، ويقدم رؤية متفائلة لعالم مختلف عن عالم الثلاثينات الذي تخللته الحروب والاضطرابات السياسية والفساد الاقتصادي العظيم.

وعندما أنجز بيكاسو "غيرنيكا" بتقنية ألوان زيتية على قماش، أنجزت سنة 1973 دفع بها لتمثل إسبانيا في معرض باريس لتلك السنة، اللوحة تصوّر فراغاً تآثرت فوقه جثث القتلى وأشلاؤهم الممزقة، وهناك حصان في الوسط وثور إلى أعلى اليسار، بالإضافة إلى مصباح متدلّ من الطرف العلوي للوحة، أما على الأرضية تمددت



عبدالإله بوبشير

فنان تشكيلي، باحث وكاتب - الجزائر

أطراف مقطعة لبشر وحيوانات، بينما تمسك اليد الملقاة على الأرض بوردة وبسيف مكسور، وإلى أعلى يمين اللوحة ثمة يد أخرى تمسك بمصباح. ويبدو أن وظيفة المصباح المعلق في أعلى اللوحة هي تسليط الضوء على الأعضاء المشوهة لتكثيف الإحساس بفظاعة الحرب وقسوتها، أما الثور إلى يسار اللوحة فليس واضحاً بالتحديد لإلّام يرمز، لكن ربما أراد بيكاسو استخدامه مجازياً للتعبير عن همجية المهاجمين.

فالشئ المهم في هذه الجدارية وهو خلّوها تماماً من أي أثر لمرتكبي الجريمة، فليس هناك طائرات أو قنابل أو جنود. وبدلاً من ذلك فضّل بيكاسو التركيز على صور الضحايا.

ردود الفعل الأولية على الجدارية أتمت بالنقد والهجوم الشديدين. فالنقاد الألمان قالوا: إنها مجرد هلوسات كابوسية لرجل مجنون، وأن بوسع أي طفل في الرابعة أن يرسم أفضل منها. أما الروس فقد تعاملوا معها بفتور، ويبدو أن المنتقدين كانوا يعتقدون بأن الفن الواقعي أكثر قدرة على تمثيل الصراعات والحروب ومآسيها.

حتى العام 1981، كانت غيرنيكا ضمن مقتنيات متحف الفن الحديث بنيويورك، ومع ذلك فقد طافت بالكثير من المتاحف في أوروبا وأمريكا.

وقد طلب من بيكاسو أكثر من مرة أن يشرح مضمون عمله هذا، لكنه كان يردّ دائماً بأن تلك مهمة المتلقي، وأن اللوحة قابلة للعديد من التفسيرات المختلفة وحتى المتناقضة.

لكن برغم ذلك، أصبحت الجدارية تمثل صرخة بوجه الحرب وشهادة حيّة على حجم البؤس والخراب الذي تخلفه الحروب بشكل عام.

كان بيكاسو يطمح في أن تنتقل "غيرنيكا" إلى إسبانيا في النهاية، لكنه فضل الانتظار إلى أن ينتهي حكم فرانكو العسكري.

وبعد سنتين من وفاة بيكاسو في العام 1973، توفّي فرانكو نفسه. وفي 1981، قام النظام الجديد بنقل الجدارية إلى إسبانيا كأفضل احتفال بالذكرى المئوية لمولد بيكاسو، وكانت تلك الخطوة رمزاً لتحوّل إسبانيا الكبير من الديكتاتورية إلى عهد جديد من الحرية والديمقراطية.

غيرنيكا هي اليوم من ضمن مقتنيات المتحف الوطني الملكة صوفيا في مدريد. والمشهود أنها بمثابة تحفة فنية، تأخذ مكانها الصحيح بين كنوز لفنانين آخرين من إسبانيا من "إل غريك" و"غويا" و"فيلاسكيز".

تقول مؤرخة الفن باتريشيا فيلينغ: «هناك الكثير من الناس يعرفون هذه الجدارية».

بيكاسو أثناء العمل على لوحة غيرنيكا





السلطة الرمزية

للصورة السينمائية



صورة من فيلم قناص أمريكي "American Sniper"



ملصق فيلم اليهودي الهائم (The Wandering Jew) سنة (1933)

فيلم قناص أمريكي "American Sniper" الصادر سنة (2014)



الهوامش

- 1 - عبد العلي معزوز، فلسفة الصورة- الصورة بين الفن والتواصل، مطبوعات افريقيا الشرق، 2014، ص. 153
- 2 - نفسه، ص. 153.
- 3 - Edward I. Bernays : Propaganda. New York . Horace Liveright. 1928. P 156. for more information see: http://www.Voltairenet.org/IMG/Bernays_Propaganda_in_english.pdf
- 4 - Joseph Boskin. "Denials: The Media View of - Dark Skins and the City" in Small Voices and Great Trumpets. ed. Bernard Rubin (New York: Praeger). p141
- 5 - Dennis M. okawa. From japs to Japanese. - (Berkeley: Publishing Corporation. 1971). p18
- 6 - Richard Taylor : Film propaganda. (london : Croom Helm. 1979). p190
- 7 - أوبرت فالتون: السينما آلة وفن، ترجمة صلاح عز الدين وفؤاد كامل، مكتبة مصر، 1958، ص. 7.

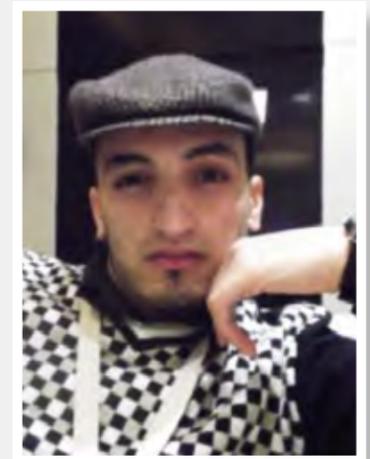
تجاه الشخصية المسلمة، وتمثل في تطرفها واستهدافها للأبرياء، وتعطشها للدماء، وتجردها من الانسانية. وهذا ما جسده فيلم قناص أمريكي "American Sniper" لخرجه "Clint Eastwood" الصادر سنة (2014)، ويروي قصة "Chris Kyle" أشهر قناص في الجيش الأمريكي فتكاً بالأرواح. هذا الفيلم الذي يمجّد التدخل الأمريكي في العراق، ويؤجج مشاعر الكراهية والحقد تجاه المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يصور لنا المخرج مدى براعة الشخصية الأمريكية في مواجهة الإرهاب، وحبها المستميت للأمن والسلام. ولعل أول من فطن وهاجم نزعة السلطة في ثقافة السينما، التي هدفها إخضاع الآخرين والهيمنة على وجودهم، وبرمجة سلوكهم الاجتماعي بواسطة الدعاية الخفية، الناقد والمؤرخ للفنون الكاتب الأمريكي اروين بانوفسكي (Erwin Panofsky)، حيث أيقن دمارها الشامل في مقطع وجيز شديد الكثافة، وببلاغة فائقة حيث قال: «إن السينما، سواء أجبنا أم لم نجب، هي القوة التي تصوغ - أكثر مما تصوغ أي قوة أخرى- الآراء، والأذواق، واللغة، والزي، والسلوك، بل حتى المظهر البدني لجمهور يضم أكثر من 60% من سكان الأرض»⁷.

الترفيه؛ يقول فوفوناركيس (Vauvenargues) لقد أعلن شيشرون (Chesteron) شكلاً خفياً للسلطة⁴. تحت قناع من الوداعة، فالطاغية المستبد ليس الرجل الذي يحكم عبر الرعب، بل هو الذي يحكم بالحبّة ويلعب كمن يعزف قيثارة. فدلالة صورها تبطن غير ما تظهر، وتظهر خلاف ما تبطن، كأنها تتأمر علينا؛ الأمر الذي يؤكد، أن الصورة السينمائية تؤسس لسلطة من نوع آخر، سلطة الوسيط الأكثر رواجاً من طرف الجميع؛ سلطتها سلمية لا تستعين بقنابل نووية، أو دبابات، بقدر ما تستعين بالخطاب الرمزي المؤسس على تصورات ذهنية صاغت مبادئ السيطرة ولغتها؛ فيكفي مثلاً أن ترسخ صورة عن جماعة أو قضية، أو حدث، حتى تنتشر في الأحاسيس العميقة وتؤثر بشكل بالغ في العمل السلوكي.⁵ إن مفعول صور الأفلام ليس ظاهرة حديثة العهد، ففي الماضي، ساعدت صور الأفلام التي تحط من قدر الآسيويين في نشر المشاعر المعادية لهم في الغرب قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. ولقد أنتجت شركة (International Film Corporation)، فيلماً تحت عنوان "Patria" سنة (1916)؛ وفي هذا الشريط يحاول الياباني غزو الولايات المتحدة الأمريكية بفيالق تجتاح كاليفورنيا. ويحاول أحد الأمريكيين من أصل ياباني أن يغتصب البطولة وأن يقترف أعمالاً شنيعة أخرى. كما تصور أفلام الدعاية الألمانية اليهود على أنهم أشخاص خطيرين في شريط اليهودي الهائم (The Wandering Jew) سنة (1933)، بغية إقناع بعض الألمان بأنه من الوطنية القيام بتخليص الوطن من اليهود. وعن هذا كتب الباحث ريتشارد تايلور (Richard Taylor) بأنه حتى اليهودي سيصبح معادياً للسامية بعد مشاهدته لهذا الشريط⁶. وقد استغلت السينما الأمريكية هذه السلطة، في تشويه وتحوير في تقديم صورة تشويهاً مجموعة من المغلطات

المعاصر كما يقول ريجيس دوبري² (R. Debarry)، وغيرت كيفية إدراكنا، وتمثلنا للعالم الذي نتنفس هواه. في هذا الشأن، يقول الكاتب الأمريكي إدوارد برنيز المتخصص في علم السلوكيات البشرية في كتابه "الدعاية": إن السينما من أعظم الوسائل قدرة على تشكيل الوعي الباطني للشعوب العالم؛ إن لم نقل أنجمعها على الإطلاق في غزو أفكارهم والسيطرة على آرائهم؛ إن السينما بإمكانها أن توحد الأفكار والعادات لأي أمة من الأمم؛³ بما مفاده: أن هذه السينما ليست مجرد صور مجانية - فرجية قصدها الإمتاع والمؤانسة، كما يعتقد البعض جهلاً- تعمل على بعد تزييني أو هامشي، بل هي حصان طروادة تتسرب منه الوصاية الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية...، على عقول الملايين من المشاهدين جراء غياب فكر نقدي مضاد وعقلاني، يقبهم من شر التلطيظ والتمرير الممارس عليهم من طرفها بدهاء مآكر. فهذه الصناعة السينمائية في رأي "برنيز" لها سلطة عظيمة على برمجة وتكييف العقول لإيجاد واقع بديل، لواقع موجود، يؤدي دوراً في إلغاء الذات والسيطرة على الأهواء، وضرب القيم والثقافات الوطنية للشعوب والترويج للعولة الثقافية المبينة على الإخضاع والغزو الثقالي.

تعد تكنولوجيا الصورة والإعلام، إحدى ركائز التفوق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي... في المجتمعات الحديثة، نظراً لما لها من قدرة جبارة على الإقناع والتأثير والتوجيه، بل والتحكم في القيم، وتغيير الأذواق، والتمثلات والنظرة للأمور وللعالم؛ ما يفسر أن تكنولوجيا الصورة الحديثة بشتى تلاوينها (السينما، التلفزة، الإنترنت...)، غدت سلطة فعالة في أيدي الدول الكبرى، والشركات المتعددة الجنسيات التي تسيطر على الصناعة الاتصالية. فما هي يا ترى، تجليات هذه السلطة؟ تستمد الصورة سلطانها مما نستمره فيها من رغبات، وتقوم مقام رغباتنا في تحويل العالم، إن للصورة قوة تأثيرية تفوق كل التوقعات¹، سيما وأنها توظف مجموعة من التقنيات (السيناريو، الحوار، الإخراج، المونتاج، الإنارة، والماكياج، الإكسسوارات، المؤثرات الصوتية...)، بغية بسط سلطانها على المشاهد؛ فهران هذا الاختراع البصري، التحكم في زمام الأمور، وتكريس سلطته على الفضاء العام والخاص، من خلال:

- قدرة الصورة السينمائية على إقحام المشاهد - الذي يفتقد للحس النقدي والتحليلي للخطاب السينمائي- في عوالم جديدة، قد تغير من آرائه وقيمه ونظراته للأمور والعالم، وتجعله "إنساناً خاضعاً" لا ينفك من قيودها التي سحرته، وأسرته، وخلخلت بناه النفسية والاجتماعية... إلخ.
- قدرة الخطاب السينمائي المرئي، على تشكيل سنن ذهني عند المشاهد، يربط الواقعي بالمتخيل؛ مما يحدث فوضى كبرى بين العالمين لديه، وفي الوقت ذاته يصعب من إمكانية تكيفه مع واقعه المعيش.
- لقد أحدثت الصورة- الآلة ارتجاجاً في النظام البصري



الباحث: أكثيري بوجمعة

جامعة ابن طفيل القنيطرة- المغرب

بودابست لؤلؤة الدانوب

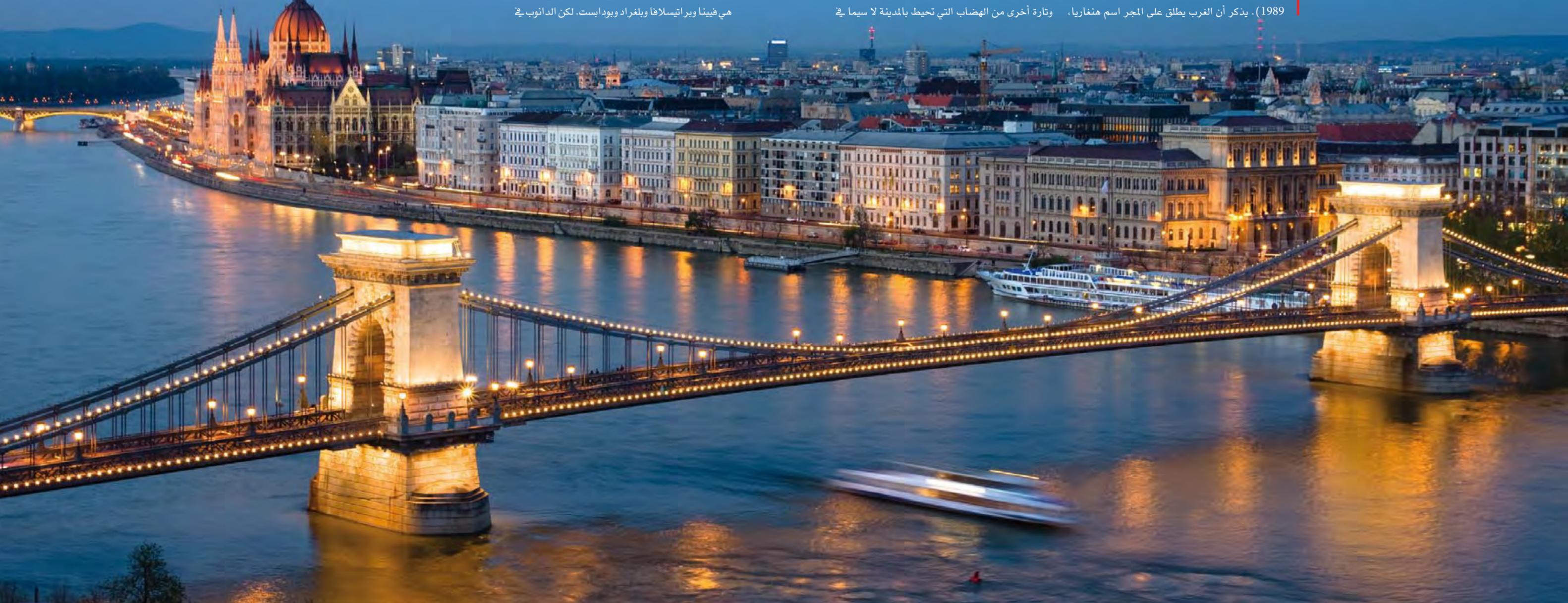
هنغاريا أو كما تُسمى بلاد (المجر) تقع بين سبع دول أوروبية هي إيطاليا، وسلوفاكيا، وأوكرانيا، ورومانيا، وكرواتيا، والنمسا، وصربيا، وسلوفينيا. ما إن تطأها حتى ترى روحاً شرقية جميلة ممزوجة بعراقة أوروبية متأقنة. تزداد دهمتك من المكان والناس عندما تتصفح تاريخ هذه البلاد. فلو قلبت صفحاتها لصدك تاريخ المجريين الذين عانوا كثيراً من ويلات الحروب واحتلال الممالك المتعاقبة لهم. وعندما تقرأ عن بودابست، تحبها أكثر... بتاريخها... بكبرياء أهلها وصمودهم وحفاظهم على هويتهم ولغتهم وإرثهم أمام الاحتلال التي تعرضت إليها بلادهم، من المغول (الذين دمروها)، إلى العثمانيين (-1541) 1699). ثم وقوعها تحت حكم إمبراطورية هابسبورغ في القرن التاسع عشر (والمنافرة أنه كان عصرها الذهبي)، ولاحقاً تحت هيمنة الشيوعيين السوفييات (1947-1989). يذكر أن الغرب يطلق على المجر اسم هنغاريا،

علمًا أن أهلها يسمونها المجر. ثم تزورها، وتكتشف أن الكلام والقراءة شيء، والواقع شيء آخر. يفمرك من الوهلة الأولى دفء أهلها وطيبتهم وكرم ضيافتهم، بما يُذكر بالطباع والعادات العربية. ولا غرو، فالمجر نقطة التقاء الغرب مع الشرق، وتمتزج في قوماها الأصول الغربية والشرقية (قبائل من أصول تركمانية). ستظن أنك ستقابل شعباً أقل ما يقال عنه أنه يتوجس خيفة من الغرباء، لكن العكس ما سوف تراه.. سترى شعباً بشوشاً.. يحفظ تاريخه، ويقدر ما صاغه الأوتل، فتجده ساعياً في ترميم كل ما من شأنه أن يمثل حقبة ما، وذلك حفاظاً على الروح والتاريخ. عدا كل ما من شأنه أن يمثل اندماجاً واضحاً مع التطور المعاصر لا سيما في العاصمة بودابست تلك المدينة التي يمكنك أن تعيش تاريخها وحاضرها في الوقت ذاته وأنت تستمتع بطقسها البارد المحمل بالنسمات اللطيفة الآتية تارة من نهر الدانوب، وتارة أخرى من الهضاب التي تحيط بالمدينة لا سيما في

شهر أيلول/سبتمبر، حيث يعد شهرًا مثاليًا لزيارتها. (لؤلؤة الدانوب) بودابست هي (لؤلؤة الدانوب)، كما يصفونها، وعاصمة المجر وأكبر مدنها. تمتد على ضفتي نهر الدانوب الشهير وتعد (ملكته). تم توحيدها من مدينتين هما بودا القديمة المقامة على التلال على الضفة الغربية من النهر حيث تنتشر القصور، ومدينة بست (بشت كما يلفظها أهلها) على الضفة الشرقية من النهر، وتشكل المركز الحكومي والتجاري النابض للمدينة التي تعد أكبر سادس مدن الاتحاد الأوروبي، ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة. ولعل من أهم ما يميز بودابست هو نهر الدانوب (نهر العواصم) يخترقها نهر الدانوب، أطول نهر في الاتحاد الأوروبي، وثاني أطول نهر في أوروبا بعد نهر الفولغا. ينبع من الغابة السوداء في ألمانيا، ويعبر عشر دول أوروبية أو يحاذيها، ويلقب بـ (نهر العواصم) لأنه يمر بأربع عواصم هي فيينا وبراتيسلافا وبلغراد وبودابست. لكن الدانوب في

بودابست لا يشبه ذلك الذي ألهم الموسيقار الشهير يوهان شتراوس في مقطوعته (الدانوب الأزرق)، بل هو أقرب إلى وصف الشاعر الفلسطيني الشهير محمود درويش في قصيدته (الدانوب ليس أزرق). ويُقال: إن النهر فعلاً يصبح أزرق في بعض مقاطعه، وتحديدًا في منطقة تقع بين بودابست ورومانيا، لكنه يتشع باللون الرمادي في باقي مساره، وربما بفعل التلوث والعوامل الطبيعية. ويمكنك أن تجر فيه متقلًا بين العواصم من خلال العبّارات المنتشرة على ضفافه، كما أنه يُقسم اليوم بودابست إلى قسمين، وقد كانت في الأصل مدينتين اتحدتا فيما بعد لتصبح بودابست. كانتا بفعل الدانوب الذي لم يزل بودا وأبودا (أي بودا القديمة) على الضفة الغربية، ومدينة بست على الضفة الشرقية، أما اليوم فجمع الاسم الذي فرقه النهر لتصبح (بودابست).

عندما تنظر جهة الغرب ستترى لك (بودا) التي أحاطتها التلال المكسوة باللون الأخضر، وينصب في أعلاها تمثال الحرية الخاص بهم، وهو يمثل امرأة تحمل في يدها سعة نخيل. ستشاهد جمالاً عمرانياً مبهراً عاصر الحصار والويلات والحروب العديدة يراوح بين القوطي والباروك الى الحديث (آرت نوفو)، ما جعلها تعيد بناء مبانيها التاريخية محافظة على الجمال الأصيل لها. كما أنه في غالب الترميم يميلون إلى إعادة استعمال الأبنية لإعادة إحيائها. (بودا) هو الجزء التاريخي المرتفع والذي انطلقت منه الثورة المجرية عام 1848، يحتوي على العديد من المزارات التي تجذب الكثير من السياح، بالإضافة إلى مبنى البرلمان المجري وقصر كيرالي بالوتا الذي يعد متحفًا كبيرًا، ومركزًا ثقافيًا مميّزًا في هنغاريا. كذلك يضم الآن متحف التاريخ والمتحف الوطني ومتحف الفن المعاصر والمكتبة الوطنية،





وهيها، مثل معالمها السياحية، ومنتجعاتها، ومطبخها، وحتى أزيائها. يضاف إلى ذلك اعتزاز المجريين بإرثهم الحضاري، فتسمعونهم يقولون إن لديهم ثالث أكبر محطة أنفاق وثالث أكبر برلمان في العالم، وإنهم اخترعوا الكمبيوتر، في إشارة إلى جهود عالم الرياضيات المجري جون فون نيومان في هذا الصدد، وإنهم اخترعوا (منهج كودالي) لتعليم الموسيقى، ولعبة (مكعب روبيك) الأكثر مبيعاً في العالم، وقلم الحبر الجاف (بيرو). كما يتحدثون عن جائزة (بوليتزر) التي استحدثها جوزيف بوليتزر، المجري الأصل الذي كان أكبر ناشر للصحافة الأمريكية في التاريخ. ويضيفون أن مجلة (الناشيونل جيوغرافيك) عدت خط (الترام 2) سابع أهم منظر في العالم.

المطبخ المجري كما لا تكتمل الزيارة من دون تذوق المطبخ المجري الشهير بأسمائه المتنوعة ولحوم الغزلان والبط والإوز. ولا بد أن الكثيرين تذوقوا أكلة (الغولاش) أو سمعوا بها. ومن أشهر منتجات هذا البلد، الفلفل الحار (البابريكا) الذي ينتج على مستوى واسع ويعرف عالمياً بجودته، كما تنتج الـ «فوا غرا» (كبد الإوز) و«الباتيه» بأنواعها. واللافت في بودابست أنه برغم طموحها للتحديث والانفتاح على العالم، وهو ما يلاحظ من خلال انتشار بوتيكات الماركات العالمية، والمطاعم الراقية من جنسيات مختلفة، خصوصاً الآسيوية مثل (نوبو)، وتداول اللغة الانكليزية على نحو واسع، إلا أن مصدر فخرها وما تروج له هو ما تشتهر به أساساً وما هو محلي ويعكس

التي تشتهر بها البلاد، خصوصاً بوجود المياه الساخنة المعدنية التي جعلت من المجر إحدى الوجهات الرئيسية للسياح الذي يبحثون عن الاستشفاء والعلاج الطبيعي، ووصفت بـ (مدينة المنتجعات الطبيعية). فبسبب موقعها بين صدين، تندفع موجات البحر من الجهتين لتستقر تحت أرض المجر، ونتيجة الضغط تسخن وتخرج إلى السطح على هيئة 118 ينبوعاً. ومن المنتجعات الأشهر في بودابست منتجع (زيتشني) الواقع في مبنى ضخم في الحديقة العامة (سيتي بارك)، وفيه برك خارجية وداخلية، وعلاجات التدليك المختلفة. كذلك تمتاز هذه المدينة بالحمامات التركية الأصلية التي تعود إلى القرون الوسطى، علماً أن هذه الحمامات لم تعد موجودة في أي عاصمة أخرى في الاتحاد الأوروبي.



وإكسواراته مطلية بذهب من عيار 24. ويتوسط إحدى قاعاته (التاج الملكي) الذي يعده المجريون أعلى مراحل الفخر الوطني، ويحاط بحماية فائقة، ويمنع تصويره أو الاقتراب منه.

عندما تتجول في مساء بودابست تتخفف درجات الحرارة، ولن تشعر حينها إلا بدفء التاريخ الذي ستشاهده في طرقات بودا متجلباً في حصن هالاباستيا (حصن صياد السمك) بشرفاته ذات الطراز الروماني والأوروبي. أما الجزء الشرقي (بست) فتعد مركزاً تجارياً مهماً، حيث تكثر فيها الأسواق والمحال التجارية، ومراكز الترفيه، وهي مدينة تعج بالحركة ليلاً ونهاراً، ويرتبط الجزآن بسبعة جسور تعد من أجمل الجسور التي يمكن أن تشاهدها، إذ يحمل كل جسر طابعه وتاريخه الخاص وتصميمه المميز. وحينما تسير على أحد الجسور ستشعر وكأنك معلق بين السماء والنهر. والعجيب أن هذا الجمال يختلف مشهده تماماً في الليل عن النهار، وكان لكل منهما روحاً مختلفة.

يحتوي الجانب الشرقي (بست) أيضاً على أكبر حديقة حيوان في أوروبا، وفنادق ومناطق سياحية تجذب السياح. وعلى غرار (لندن أي)، يوجد كذلك (بودابست أي)، وهي عجلة شاهقة الارتفاع يمكن أن تحمل 332 شخصاً. كذلك تميزت منطقة (بست) بمبانيها العتيقة والمعاصرة، وبوجود ساحة الأبطال التي تتمتع بهندسة معمارية مميزة، إذ تعد الساحة أحد مواقع التراث العالمية. ويوجد بها نصب تذكاري ضخم يُعرف بنصب الأنفية، وهو يمثل قادة القبائل السبع التي كونت المجر. ويطل على الميدان مبانٍ مهمان في العاصمة المجرية وهما متحف الفنون الجميلة، وقصر الفنون.

وعلى الرغم من أن بودابست خلعت ماضيها الشيوعي، فغيرت أسماء شوارعها وأزالت التماثيل المرتبطة بتلك الحقبة، وقامت بتحديث المدينة إلى ما هي عليه اليوم، إلا أن الماضي القريب ما زال حاضرًا عبر شواهد عدت بعضها مجلة (وير) الهنغارية في عددها الأخير، ومنها:

وهو مدرج على (قائمة التراث العالمي) وتخضع لإعادة ترميم. وقريباً منها، يقع مرج صيادي السمك، وكنيسة ماثياس التي حوّلت في عهد العثمانيين إلى مسجد.

وعلى تل غير بعيد، ما زال تمثال لطير (تورول) الأسطوري يلقق عاليًا، ومعه أسطوره التي تروي كيف أرشد هذا الطير القبائل المجرية إلى هذه المنطقة، حيث استقرت وبنيت دولتها. ومن المعالم المميزة أيضاً، مبنى البرلمان، وميدان الأبطال، ودار الأوبرا، وقصر الفنون، ومتحف بودابست التاريخي، والحديقة العامة (سيتي بارك)، وتلة غيليرت. وهناك أيضاً «جسر السلسلة» (زيتشني لانشيد)، وهو الأقدم وكان يربط بين مدينتي بودا وبست. معظم هذه المعالم يعود إلى القرن التاسع عشر الذي يعد العصر الذهبي للمجر، ويلاحظ فيه التأثيرات الأوروبية، خصوصاً لجهة الفن المعماري. لذلك، ليس غريباً أن تسمى بودابست (باريس الشرق). وأن يُطلق على أحد أهم شوارعها، شارع أندراشي، اسم (الشانزليزيه)، فهو صمم فعلاً على هيئة الشانزليزيه الفرنسية في القرن التاسع عشر، علماً أن هذا الشارع مدرج على قائمة (يونيسكو) للمناطق المحمية. وليس غريباً أيضاً هذا التشابه الكبير بين (دار الأوبرا) المجرية و(أوبرا فيينا) الشهيرة، حيث إن المجر كانت جزءاً من (الإمبراطورية النمساوية - المجرية). على أن أوبرا بودابست أكبر حجماً وأكثر زخرفة بحيث ثلاثم الشخصية الحضارية المجرية ذات الأصول الشرقية الآسيوية. كذلك فإن التأثير البريطاني واضح في بودابست، تراه في بناء الجسور، مثل (جسر السلسلة) الذي صممه مهندس إنكليزي على هيئة جسر مماثل وأقل حجماً كان صممه لمدينة مارلو البريطانية. كما أن نظرة واحدة على البرلمان المجري تستحضر البرلمان البريطاني (ويستمنستر)، خصوصاً أن مهندسه درس الهندسة في بريطانيا. ويعد البرلمان المجري أحد أجمل المباني المطة على الدانوب، خصوصاً عندما يضاء ليلاً. وهو ثالث أكبر برلمان في العالم، والأعلى كلفة لأن معظم جدرانه



سباق القوارب في منطقة الأبوذا خلال مهرجان الحصاد السنوي



رياضة ترويض الثيران، لها في الهند مفهومًا آخر



يتم الاحتفال بالبونجال في المدة من منتصف كانون الثاني/يناير وحتى منتصف شباط/فبراير أي في موسم حصاد الأرز وقصب السكر وغيرها من المحاصيل المهمة داخل الهند

مفهومًا آخر. وتعد مصارعة الثيران الهندية التي يطلق عليها (جليكاتو) أو (مانيا فيراتو) من أغرب الرياضات الهندية، وتقوم في الأساس على ترويض الثيران لا تعذيبها أو التخلص منها في النهاية كما في إسبانيا، وهي من أقدم وأعرق الرياضات التاريخية الباقية في العصر الحديث، وعلى الرغم من تشابهها مع رياضة الجري خوفًا من الثيران الإسبانية الشهيرة إلا إنها مختلفة تمامًا. فني جاليكاتو لا يفترض بالماتادور أو المصارعين استخدام أي أسلحة، بل تقتصر كل واجبات المصارعين في الانتقاض على الثور الثائر محاولين الإمساك بسنم صغير على ظهره، يشبه سنم الجمل لكنه أصغر، وتتميز به فصائل الثيران الهندية، ويتبع ذلك محاولة التحرك مع الثور الهائج بدون السقوط أو الإصابة بأي أذى، إلا أن الأمر لا يخلو من بعض الدهسات بالأقدام من الثور للمصارعين الساقطين أو توجيه ضربات قوية لهم بقرونه الغليظة والحاددة، وهو ما يمثل الجزء السلبي في اللعبة، التي ينظر لها معتقوها وممارسوها على أنها نوع من إثبات الذات، وإحياء التاريخ. ويتبع منظمو الرياضة وممارسوها بعض الإجراءات والممارسات المقبولة وغير المقبولة، وذلك لدفع الثور المصارع للجنون والخروج عن المألوف، قد يكون أبسطها ذر الفلفل الأحمر الهندي في عيونه قبل بدء المسابقة إثارة لحفيظته وضمانًا لتوحشه وهياجه، وذلك إثارة لحمية المباراة، التي ما أن تبدأ حتى يلقي المشاركون بأنفسهم على الثور الهائج محاولين ترويضه والحصول على الجائزة التي تعد أحد أهم السمات المميزة لمهرجان البونجال. وتعد هذه الرياضة لعبة جماعية، ويرجع تاريخها إلى حضارة وادي السند قبل 5000 آلاف سنة مضت ما يجعلها من أقدم العادات والرياضات التاريخية الباقية على وجه الأرض، حيث عثر على بقايا أثرية ترجع لحضارة وادي السند، عليها تصوير قديم لرياضة مصارعة الثيران الهندية ما يدل على شيوعها في أثناء تلك المدة الحضارية، هذا فضلاً عن أدلة أثرية كثيرة تدل على شيوع رياضة الجاليكاتو بين المحاربين القدماء في أثناء العصر الكلاسيكي لحضارة التأميل.

الكثير من الناس يقومون بصيد الأسماك في الأراضي الرطبة التي تعد جزءًا من مهرجان الحصاد

مهرجان بونجال للحصاد إرث ثقافي هندي

والشمس، ولا بد لهم على الأقل مرة كل عام من إبداء الشكر لتلك العوامل الطبيعية التي تعينهم وتضمن لهم في النهاية محصولًا وفيرًا وذلك من خلال فعاليات مهرجان البونجال. ويتم الاحتفال بالبونجال في المدة من منتصف كانون الثاني/يناير وحتى منتصف شباط/فبراير أي في موسم حصاد الأرز وقصب السكر وغيرها من المحاصيل المهمة داخل الهند. ويستمر الاحتفال بالبونجال أربعة أيام، ترمز للوفرة والسلام والسعادة، ويعقد المهرجان أيضًا لتكريم الشمس وشكرها على المحصول الوفير، وفيه تتجمع العائلات للاحتفال ومشاركة المحاصيل المختلفة بعضهم مع بعض، وتقدم للشمس أطباق من اللبن والأرز. وللاحتفال بالمهرجان يشتري الهنود الملابس الجديدة والمزركشة، بينما تعد سيدات البيوت الكثير من أصناف الحلوى لاستقبال الزائرين بكل ما هو طريف ونادر لاستقبال البونجال، حيث ينتشر الاعتقاد أن الاحتفال بالبونجال يجلب الثروة والسعادة للمنزل، وبينما يعد البونجال عمومًا احتفالًا بالشمس والحصاد، إلا أن كل يوم من أيامه الأربعة يخصص لعبادة أحد المعبودات المحلية، التي تقدر بالملئات في الهند. كما تنتشر على هامش المهرجان بعض الأنشطة الرياضية، وليس أطرف ولا أمتع من رياضة ترويض الثيران، التي يبدو أن لها في الهند

لكل شعوب الدنيا تراثها وإرثها الثقافي الخاص بها، وهي فقط من تتميز به خلاف غيرها من الشعوب الأخرى ولهذا الإرث الثقافي ارتباط بثقافة كل عيد الحصاد بونجال في جنوب الهند هو ثقافة رائعة من ثقافات الشعب الهندي يقام الاحتفال بهذه المناسبة في الرابع عشر من كانون الثاني/يناير من كل عام إلى منتصف شهر شباط/فبراير وهو عادة هندية حيث لا يخلو تاريخ الهند ذلك البلد العريق الموهل في الأساطير والغموض، من ميل فطري للبهجة والمرح يتلخص في العديد من الاحتفالات والمهرجانات التي تتوزع على مدار العام، والتي تعد أحد أهم عوامل الجذب السياحي في هذا البلد الجميل، ومن أهمها مهرجان البونجال. ويعد مهرجان احتفالات البونجال من أهم وأشهر مهرجانات طائفة التأميل في ولاية تاميل نادو الهندية، وهي من أهم وأعرق الطوائف العرقية الهندية التي تقوم على الاختلاف في اللغة والدين، ويتواجدون بصفة أساسية في جنوب الهند. ويختص المهرجان باحتفالات الحصاد في الهند، وهو عيد للشكر وإبداء الرضا للطبيعة عن المحصول الوفير ولكن على طريقة طائفة التأميل الهندية، وذلك لأهمية الحصاد في تلك الحضارة التي تقوم على الزراعة، حيث يعتمد فلاحو الهند في الزراعة على الماشية والمطر الموسمي



حسن محمد النمي

متحف فيكتوريا وألبرت في لندن



فن النحت



أي زائر يمعن النظر فيه لوقت طويل. وعُرضت مسودات ودفاتر ليوناردو دافنشي وتخطيطاته الهندسية والفنية في نسختها الأصلية.

ويحتوي المتحف على أكثر من 6000 قطعة من مصر العتيقة وحتى حقبها الحديثة مثل المجوهرات الشهيرة، التي تتضمن فستان من الحلي والماس تم صنعها خصيصاً لشخصيات تاريخية، مثل ماري أنطوانيت وكاثرين العظيمة.

كذلك يحتوي على مجموعة من الفنون الآسيوية والهندية هي الأكبر من نوعها، وتضم قطعاً فريدة من أماكن مثل الهمالايا والصين.

متحف فيكتوريا وألبرت هو بحق مستودع الثقافة والتاريخ لما يحتويه من أعمال فنية مختلفة من داخل بريطانيا وبلدان العالم.

وهناك أيضاً نعش يسمى بـ (فيرولي) من القرن العاشر يصور العبادة الوثنية، وقد وجدت هذه التماثيل طريقها إلى قاعات العرض، بعد أن زال تهديد الوثنية للمسيحية. ومع استثناءات قليلة فإن هذه القاعات تمثل المسيحية بإخلاص، من خلال أشكال الصلبان المختلفة والمزركشة والمشاهد المنحوتة لآلام المسيح وتماثيل مريم العذراء وصور القديسين حيث كان الفن مختصراً في أغلب صورته، على هذه الثيمات فقط.

ويمر الزائر في طريقه إلى القاعة الرومانية بفاصل حجري كبير يعود تاريخه إلى 1160 بعد الميلاد مزين بأقواس نصف دائرية وأعمدة تعلوها تيجان مزخرفة، وسوف يلاحظ بكل وضوح، جلال وقوة فن الصياغة النحتية في القرون الوسطى. على سبيل المثال، شمعدان كاتدرائية مدينة كلوستستر، الفريد من نوعه الذي لا يوجد له أي نسخة أخرى في متاحف العالم، يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر، وهو عبارة عن سرب من ورق الشجر المذهب مع تماثيل مذهبة لرجال ووحوش يتصارعون للوصول إلى ضوء الشمعة وتجنب الوقوع في الظلام، هذا الشمعدان يتشابه إلى حد ما مع منحوتة مايكل أنجلو (يوم الدينونة) أو منحوتة رودان (بوابة الجحيم). وهناك أيضاً عرض لمنسوجات مذهلة من تلك المدة كما في (قبعة سيون) التي نُسجت بالحبر والخيوط الفضية الخضراء والبنية اللامعة من قبل حرفيي لندن عام 1300، وكان يرتديها الأساقفة في المناسبات الدينية مثل أعياد الميلاد. وهناك قطعتان فنيتان تعرضان في نهاية قاعات القرون الوسطى، أولهما كأس مصنوعة من الفضة والذهب مفصصة بالميثا الخضراء والزرقاء التي تعكس الضوء المار خلالها، والقطعة الأخرى، منبر الوعظ المنحوت من قبل النحات الإيطالي جيوفاني بيسانو حوالي عام 1300، وهو عبارة عن تماثيل عاجية صغيرة تُشكل مع بعضها أعمدة المنبر المذهل، الذي يجعل

والمجوهرات والأثاث والنحت والطبقات الفنية والرسم والصور الفوتوغرافية، وتعد المجموعات التي يمتلكها المتحف من هذه القطع بعض أكبر المجموعات في العالم من نوعها. لدى المتحف أكبر مجموعة في العالم بأسره من القطع المنحوتة التي تعود إلى حقبة ما بعد العصور الكلاسيكية، وبينها أضخم مجموعة من قطع النهضة الإيطالية موجودة خارج إيطاليا. أما المجموعات الآسيوية فتتضمن قطعاً من شبه القارة الهندية والصين واليابان وكوريا والعالم الإسلامي، وتتميز كثيراً المجموعات المتاحة من شرق آسيا خصوصاً تلك التي تتضمن الخزف والأدوات المعدنية.

أطلق المتحف منذ عام 2001 برنامج تجديد وتطوير ضخم تبلغ تكلفته 150 مليون يورو، سيتضمن بناء معارض وأسواق وحدائق جديدة للمتحف.

تبدو صالات عصر النهضة التي تحتل مساحة طابقين في مبنى المتحف الهائل، الذي تقع بوابته الرئيسية في جادة كرومول، كأنها متحف داخل متحف.

زيارة هذه القاعات لا بد أن تبدأ مع المنحوتات والتماثيل العاجية الرومانية والبيزنطية القديمة، وهي من أقدم المعروضات في المتحف ويعد المدخل الرئيسي لدراسة الفنون الأوربية في العصور اللاحقة، هناك مثلاً، تمثال من العاج صُنح حوالي 400 بعد الميلاد، لامرأة نبيلة من روما وهي تقدم قرباناً لاله ذهبي، وهذا دليل على التزام نبلاء روما، في ذلك الوقت بدينهم الوثني القديم وليس بالدين المسيحي المستحدث.

متحف فيكتوريا وألبرت هو جزء من مجموعة متاحف تقع في جنوب كينسينجتون لندن بتجمع كبير للمتاحف يدعى شارع المعارض الذي يحتوي على متحف التاريخ الطبيعي ومتحف العلوم وكذلك تقع قاعة ألبرت الملكية. وقد تم إنشاؤه عام 1852 وتم تمويله عن طريق المعرض العظيم في عام 1851 ولقد تم نقله إلى مكانه الحالي في عام 1909. وسُمي نسبة إلى الملكة فيكتوريا وزوجها الأمير ألبرت.

ويُعد متحف فيكتوريا وألبرت من أعظم المتاحف العالمية المختصة بالفنون والتصاميم. إذ، يحوي على قطع ومعروضات لا مثيل لها من حيث العدد والتنوع. إن مجمل معروضات المتحف تعكس ما يزيد على 3000 سنة من التاريخ العريق للعديد من الثقافات العالمية الفنية إذ يحتوي مجموعة من 4.5 ملايين



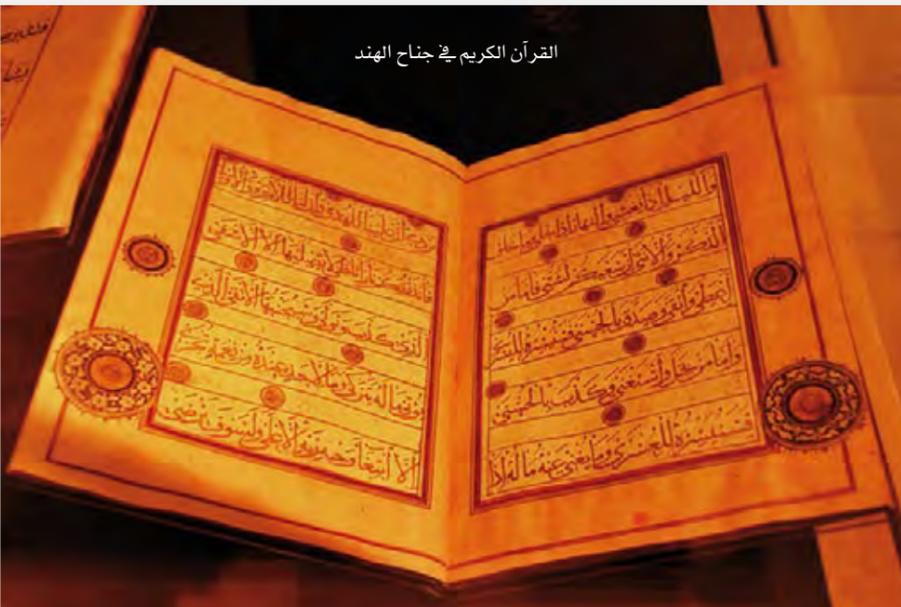
قطعة مختلفة تشمل قطع خزفية وأثاث وأزياء وزجاجيات ومجوهرات وتحف معدنية وصور فوتوغرافية ومنحوتات ومنسوجات بالإضافة إلى اللوحات الفنية.

تبلغ مساحة متحف فيكتوريا وألبرت نحو 12.000 أكر، أي ما يعادل 51.000 م² تقريباً ويتضمن 145 معرضاً مختلفاً. توثق القطع التي يعرضها المتحف 5.000 سنة من تاريخ الفن في قارات أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا وشمال أفريقيا. تتضمن أنواع القطع الفنية المتضمنة في المتحف الخزف والزجاج والنسيج والأزياء الوطنية والفضة

تعد المجموعات التي يمتلكها المتحف من هذه القطع بعض أكبر المجموعات في العالم من نوعها. لدى المتحف أكبر مجموعة في العالم بأسره من القطع المنحوتة التي تعود إلى حقبة ما بعد العصور الكلاسيكية.

يحتوي مجموعة من 4.5 ملايين قطعة مختلفة تشمل قطع خزفية وأثاث وأزياء وزجاجيات ومجوهرات وتحف معدنية وصور فوتوغرافية ومنحوتات ومنسوجات بالإضافة إلى اللوحات الفنية.

إناء كيوتو - ياسويوكي - 1875



القرآن الكريم في جناح الهند



من داخل متحف فيكتوريا وألبرت



جيفري بريستن بيزوس مؤسس أمازون AMAZON.COM

رقميون فيروا حياتنا

هذه المادة مختارة من كتابي (رقميون غيروا حياتنا)



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير

@nalzumal



amazon.com®



الزبائن، يكون في مقدورهم الترويج لنا وإخبار خمسة آلاف آخرين عن تجربتهم عبر مجموعات الأخبار NEWS GROUPS مثلاً وغيرها. وبالمثل إذا شعر الزبائن بالسخط منا، ولو كنا نعي في العالم القديم لكان في مقدورهم إخبار القليل من أصدقائهم عن تجربتهم السيئة معنا. لكن في عالمنا الحاضر بات في مقدورهم أيضاً إخبار خمسة آلاف شخص عن مدى سوء معاملتنا.

يُعدّ جيف بيزوس مديراً تنفيذياً منقطع النظير، استطاع أن يفرض نوعاً جديداً من التجارة. وإذا حللنا تجربته للاستفادة منها، فسنجد أن سياسته اعتمدت على تقديم أفضل سعر وأفضل خدمة وأفضل خيارات ممكنة إلى العميل. ليس هذا وحسب، بل وفّر خدمات إضافية، فهو ينصحك بشراء أشياء أخرى، ويطلعك على ما اشتراه غيرك مع الكتاب الذي تبحث عنه، ويبيع الكتب المستعملة، ويقدم عروضاً سعرية مميزة إذا اشترت أكثر من كتاب، ويتابع خياراتك في الكتب ليقتراح عليك عناوين أعجبت غيرك من القراء، وهو بذلك يعمل بالشعار الذي تبناه: «اعرف ما يريده العميل، ووفره له قبل أن يعرف أنه في حاجة إليه».

سنة 1998 و 1999 أوشك موقع أمازون أن يفلس، ولم يبدأ الموقع في تحقيق الأرباح إلا مع بداية سنة 2002. أي إنه كان يخسر، أو يدفع رأس المال بالكامل طوال سبع سنوات منذ إنشائه.

الموقع حاصل على جائزة أفضل شركة أمريكية تهتم بعملائها من جمعية الحفاظ على حقوق المستهلك بأمريكا. ويقول جيف: إن هذا الأمر هو ما كان يؤول بنا إلى الخسائر في السنوات الماضية، فلقد كنا ومازلنا نقدم تعويضات مباشرة لعملائنا الذين لا تصل إليهم طلباتهم مثلاً لأي سبب كان. إضافة إلى طاقم خدمة العملاء المكون من كثير من الموظفين للرد على الأسئلة والاستفسارات بأسرع ما يمكن وبإفادة تامة ومفصلة.

تقدر ثروة جيف بيزوس الآن ب 4.85 مليار دولار = قرابة 18 مليار ريال. ويجيء في المرتبة الثالثة بوصفه أغنى ثلاثة أشخاص في العالم استطاعوا أن يكتفوا بالإنترنت دخلاً لهم.

وفي تموز/يوليو 1995، افتتح بيزوس موقع (أمازون) الذي غير وجه التجارة في العالم، وحول كل عملية التسوق التقليدي إلى تجارة إلكترونية واسعة النطاق. حقق بيزوس نجاحاً باهراً منذ اليوم الأول لمشروعه، ووصلته خلال أسابيع قليلة طلبات شراء تتعدى 20 ألف دولار. وبنهاية عام 1999، صار موقع AMAZON.COM شركة يتعدى رأس مالها المليارات، وتبيع أكثر من 3 ملايين كتاب، وتشعبت شبكتها التسويقية إلى أقصى حد. وعاماً وراء عام لم تعد شركة (أمازون) تقتصر على بيع الكتب، بل توسعت لتلبي طلبات الملابس والإكسسوارات والألعاب وأجهزة الكمبيوتر والمعدات الرياضية والعلمية، بل حتى الأدوية والحيوانات وأسطوانات الموسيقى والأفلام. هذا غير إنشاء محركات البحث الداعمة للتجارة الإلكترونية، وإحداث ثورة تكنولوجية جديدة بطرح جهاز قراءة الكتب الإلكترونية (كيندل).

بدأ المستثمرون يدركون أن بيزوس خطط للمستقبل باقتدار. وقد أقتنعهم أن بإمكان التقنية الحديثة وصل المواقع بقاعدة بيانات ديناميكية، تتيح القيام بتخصيص الخدمة بحسب ميول الزبون، فمثلاً اقترح خدمة تعمل على إبراز المنتجات للمسوق اعتماداً على مشترياته السابقة، وتخزن بياناته التي قام بإدخالها في المرة الأولى مثل عنوانه ورقم بطاقة الائتمان الخاصة به، وقد أسهمت هذه الخدمة في شهرة موقع أمازون عند إطلاقها عام 2000.

وما يثير العجب حقاً، أنه بعد مرور سنة من تأسيس أمازون. كوم، AMAZON.COM بدأ المستثمرون بالأصطفاف خارج مكتب بيزوس، وكانت شركة (كلاي ر بيركنز كوفيلد أند بايرز) ذات الأسهم العالية الثمن من بين أولئك الذين استثمروا 8 ملايين دولار في الشركة، وهو ما أعدها على زيادة أرباحها بعدما كان بيزوس يلاقي الصعوبات لإقناع المستثمرين بنجاح فكرته.

جيف بيزوس من رجال الأعمال الذين لا يعيرون أي اهتمام للإعلانات الترويجية في التلفاز؛ وذلك اقتناعه بأن استخدام الإعلانات التلفزيونية يبني سمعة الشركة بالاستناد إلى ما تقوله الشركة عن نفسها، وليس ما يقوله الزبائن أنفسهم.

يقول بيزوس: «إذا كان ثمة أمر اكتشفناه، فهو أن زبائن الإنترنت يتمتعون بصفات أقوى. وإذا كان في وسعنا إسعاد

كثير من المستثمرين الكبار في قرية السيلكون. وفي مدة امتدت بضعة أشهر التقى نحو 60 مستثمراً لدعم مشروعه، وفي الوقت نفسه، كان يعمل على توظيف مبرمجين من أجل تصميم موقع وإنهاء تفاصيل شركته المثيرة للجدل. «كان أصعب مما توقعنا» بهذه العبارة يصف بيزوس إقناع كل شخص باستثمار 50 ألف دولار في أمازون. كوم AMAZON.COM. كان فهم المستثمرين وإيمانهم بإمكانيات الإنترنت ضعيفاً، لدرجة التشكيك في نجاح مشروع مثل أمازون. وقد سمع بيزوس كثيراً من التعليقات المعتادة من أشخاص سليمي النية لا يأمنون بالخطة التجارية ابتداءً، وكانوا يعتقدون بأنها لن تنجح. ومن العبارات التي يتذكروها في أثناء زيارته للمستثمرين: «ما السبب الذي يدفع الزبائن إلى شراء الكتب من الإنترنت؟» «وإذا نجحت خطتك، ستجد أنك في حاجة إلى مستودع بحجم مكتبة الكونغرس». وباستفادة من بحث أجراه جون كوارترمان، الذي يُعدّ من رواد البحث عن بيانات تتعلق بالشبكة العنكبوتية، قال بيزوس للمستثمرين لديه: إن الشبكة تنمو بنسبة 2300 في المئة سنوياً، وإن الخطة التجارية التي أرادها أن تغطي جميع أرجاء البلاد كانت تقترض وجود شركة للبيع بالتجزئة على الشبكة تركز على بيع الكتب - «متجر إلكتروني لبيع الكتب يضم أكثر من عشرة أضعاف التشكيلة التي يمكن أن توجد في أكبر المتاجر التقليدية». وشرح لهم أن في نيته بناء شيء فريد على الشبكة لا يمكن تكراره في العالم المادي. وهذه النقطة درس للمستثمرين وغيرهم: «اطلع، واتقد من البيانات الموجودة في الإنترنت والصحف والمجلات فيما يخص مجالك، وذلك يدعم فرصة نجاح مشروع، ويعطي ثقة في نفسك».

وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1994، بدأ بيزوس مشروعه من جراج صغير في منزله، مستخدماً جهاز كمبيوتر ومنضدة، ولا تسانده سوى زوجته ومجموعة صغيرة من أصدقائه. عمل بيزوس معهم على تصميم موقعه الإلكتروني وربطه بقواعد بيانات موزعي الكتب، ثم أطلق عليه اسم (أمازون) AMAZON.COM تيمناً باسم أكبر أنهار العالم الذي يغذي بخيراته أمريكا الجنوبية. وقبل افتتاح الموقع طلب من 300 من أصدقائه تجربته، ثم طلب منهم الترويج له وسط معارفهم وجيرانهم.

قرية السيلكون لتأسيس أمازون. كوم. عام 1994 لاحظ بيزوس أن معدل الاهتمام بالإنترنت يتزايد بنسبة 2.3 % كل عام. وبحسه التجاري عرف أنه يستطيع أن يسهم في صنع التاريخ باستغلال هذا الإقبال الشعبي. في البداية لم يستطع أن يحدد نوع المجال الذي يمكن أن يستقطب العملاء، ثم اكتشف أن خدمات البيع البريدية هي أكثر الخدمات التجارية رواجاً، وأن أكثرها ملاءمة لممارسته عبر الإنترنت هو تجارة الكتب بسبب صعوبة توزيع قوائمها الضخمة بريدياً. تخيل بيزوس ما سيحدث لو توافرت هذه القوائم لعدد لا نهائي من العملاء الذين يحدون خياراتهم، ويدفعون ثمنها إلكترونياً لترسل طلباتهم بالبريد. و فوراً قرر السفر لحضور مؤتمر في لوس أنجلوس خاص بدور النشر الأمريكية، فعرف أن هذه الدور تحتفظ بقوائم إلكترونية بعنوان الكتب المتوافرة لديها، ومن هنا قرر بيزوس أن يكون أول من ينشئ مكتبة إلكترونية في العالم.

لم يكن من السهل إقناع كبار المستثمرين في استثمار مليون دولار في إطلاق شركة لم يكن لها مثيل في التاريخ، وكان أكبر تحدٍ في نظر جيف بيزوس، مؤسس أمازون. كوم كان عام 1995 عندما كان يسعى إلى جمع مليون دولار كرأس مال لإطلاق شركته وضمان استمرارها في العمل. ويعبر بيزوس عن ذلك بقوله: «مرت عليّ أوقات كان يمكن أن تتلاشى فيها الشركة حتى قبل أن تبدأ أعمالها».

لم يتوافر لبيزوس في ذلك الوقت المستثمرون الراغبون في تمويل فكرته بمليون دولار أمريكي، غير أنه وجد في حوزته مبلغ 100.000 دولار حصل عليها من والديه، وذلك ما يصفه بيزوس بالبذرة الكلاسيكية التي تأتي من الأشخاص الذين يراهنون على منظم العمل، وليس على فكرة الشركة. وبإعتماد على القليل من المعارف الذين تربطه بهم علاقات أيام كان يعمل في وول ستريت، تمكن من عقد لقاءات عدة مع

جيفري بريستن بيزوس JEFF BEZOS ذلك الشخص الذي أنشأ أكبر موقع تجاري للبيع والشراء على الإنترنت، هو صاحب ومؤسس شركة أمازون الأمريكية AMAZON.COM، الذي كان CADABRA، وحالياً يتصدر هذا الموقع أكبر مواقع البيع الإلكتروني في ساحة الويب كافة، حيث تُعدّ من أفضل الشركات لبيع مختلف المواد والمستلزمات الحياتية عن طريق الإنترنت. ولد في مدينة (ألبوكوركي) المكسيكية في 12 كانون الثاني/يناير 1964، وهو المؤسس، والرئيس، والمدير التنفيذي ورئيس مجلس إدارة شركة أمازون دوت كوم، تخرج جيف في جامعة برينستون بولاية نيوجيرسي الأمريكية عام 1986، بعد تخرجه مباشرة انضم إلى شركة FITEL، المشهورة في ذلك الحين بأنها الأفضل في التقنيات العالية المستوى، ومقرها نيويورك.

سنة 1988، خرج جيف من الشركة، والتحق بأخرى تحمل الاسم BANKERS TRUST، ومقرها كذلك نيويورك، وأصبح رئيساً لها بعد سنتين فقط من التحاقه، أي عام 1990. منذ سنة 1990 حتى 1994، اشترك جيف في بناء أكثر الموارد المالية الكمية نجاحاً وتعقيداً في وول ستريت لشركة D.E SHAW & CO في نيويورك، وأصبح نائب الرئيس فيها سنة 1992. قبل أن يؤسس شركة أمازون عام 1994. وعام 1999 اختير جيف بيزوس (شخصية العام) التي تختارها مجلة التايم كل عام.

كانت البداية سنة 1990، وقبل ورود فكرة بيع الكتب عبر الإنترنت إلى ر أس بيزوس، أصبح جيف بيزوس أصغر نائب للرئيس في تاريخ بانكرز ترست، وعلى الرغم من جاذبية منصب كهذا، إلا أن بيزوس شعر بالملل ما دفعه إلى التوجه إلى شركة دي إي شاو للخدمات المالية والعمل في البحث عن فرص استثمارية في الإنترنت، ترك وظيفته هذه، وتحرك إلى



نظام يشبه القرد الروبوتية "تشارلي" يمشي على كل من أطرافه الأربعة (AFP)

الخوف على الجنس البشري من ذكاء الآلات

تستخدم شركة غوغل هذا الاختبار في عمليات التصفح والبحث الذكية التي تتيحها على موقعها، كما تستخدمه ألعاب الفيديو لابتكار عوالم من الألعاب الإلكترونية ذاتية الذمومة، وتستخدمه أيضاً المتاجر الإلكترونية لبحث نغمات موسيقية وأفلام تصنع وفقاً لأذواق الزبائن، وفي أوائل العام 2014 تمكن برنامج إلكتروني روسي من إقناع العلماء بأنه صبي يبلغ من العمر 13 عاماً اسمه يوجين.

في الحقيقة ما زالت تفصلنا عقود عن القدرة على تطوير حاسب فائق يمكن له أن يكون معتلاً نفسياً بحيث يملك تلك الشخصية العداوية التي يمكن لها أن تستعبد الجنس البشري، ومع ذلك فإن خبراء الذكاء الاصطناعي يعملون بالفعل لتجنب ما هو أسوأ، عندما تصبح الآلات أكثر ذكاءً من البشر.

دفعت هذه المخاوف خبراء الذكاء الاصطناعي في مختلف أنحاء العالم للتوقيع على رسالة مفتوحة تم إطلاقها مع بداية هذا العام من خلال معهد مستقبل الحياة، يتعهدون فيها على أن يتم التطوير في مجال الذكاء الاصطناعي بشكل آمن ويحذر شديد لضمان عدم خروج التطور في هذا المجال عن السيطرة البشرية، ومن أبرز الموقعين على هذه الرسالة مؤسس شركة أعماق العقل "Deep Mind"، وهي شركة بريطانية متخصصة في الذكاء الاصطناعي قامت جوجل بشرائها في أوائل عام 2014 الذي كان يمتلكها العالم

ديميس هاسابيس، وفرض ديميس هاسابيس على غوغل وثيقة أخلاقية تحدد طريقة استخدامها لاكتشافاته في هذا المجال. إضافة إلى أساتذة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا "MIT"، وخبراء بعض أكبر الشركات التقنية، كفريق واتسن للحواسيب الفائقة التابع لشركة IBM، وقسم البحوث في شركة مايكروسوفت.

تأتي هذه الرسالة بعد أن أصدر العديد من الخبراء تحذيرات حول أخطار الآلات فائقة الذكاء، فقبل سنتين مضت، دعا ممثل الأمم المتحدة إلى فرض حظر على إنتاج واستخدام أو حتى إجراء الاختبارات على ما يُسمى بأسلحة التحكم الذاتي التي يمكن لها تحديد الأهداف وتنفيذ الهجوم عليها من غير التدخل البشري، كما ثارت العديد من الانتقادات الأخلاقية لاستخدامات أخرى للآلات الذكية، فعلى سبيل المثال إذا احتاجت مركبة ذاتية القيادة لأن تحرف لتفادي الاصطدام فهل سيكون من المقبول أخلاقياً أن تقوم الآلة باتخاذ القرار فيما إذا كانت ستضحي بحياة مشاة أو راكبي دراجات متواجدين في الطريق لإنقاذ حياة الموجودين ضمن المركبة أم لا؟

بشكل مماثل، أعرب كل من الفيزيائي الشهير (ستيفن هوكينغ) ورجل الأعمال والمخترع والمدير التنفيذي لشركة تسلا موتورز "Tesla Motors" (إيلون ماسك) عن مخاوفهم إزاء السماح للذكاء الاصطناعي بأن يعيث في الأرض فساداً، ففي مقال كتبه لصحيفة الإندبندنت صرح هوكينغ بأنه: «يمكن للمرء أن يتصور أنه بإمكان

مثل تلك التقنيات أن تسيطر بذكائها على الأسواق المالية، وأن تتفوق في اختراعاتها على الباحثين من البشر، وأن تتمكن من معالجة القضايا بمعزل عن القيادات البشرية، وأن تقوم بتطوير أسلحة لا يمكن لنا حتى أن نفهمها». وأضاف قائلاً: «حيث يعتمد أثر الذكاء الاصطناعي على المدى القصير على من الذي يتحكم به، فإن أثره على المدى البعيد سيعتمد على ما إذا كان سيتاح لنا التحكم به أصلاً»، بمعنى أن تصبح الآلة الذكية خارجة تماماً عن السيطرة البشرية.

وقال البروفيسور هوكينغ لمحطة (بي.بي.سي): إن «النجاح في تطوير ذكاء اصطناعي كامل قد يؤدي إلى فناء الجنس البشري».

جاء ذلك رداً على سؤال وجه إليه حول تحديث التقنية التي يستخدمها للتواصل مع الآخرين، والتي تحتوي على شكل بدائي من الذكاء الاصطناعي.

ويقول البروفيسور هوكينغ: إن الأشكال البدائية من الذكاء الاصطناعي التي طورت إلى الآن أثبتت فائدتها، ولكنه يخشى النتائج المترتبة على تطوير تقنية تعادل ذكاء البشر أو تتفوق عليه.

وقال «قد تمضي في حال سبيلها، وتعيد تصميم نفسها بوتائر متسارعة. أما البشر المحكومون بعملية تطور بيولوجية بطيئة، فلن يتمكنوا من منافسة هذه التقنية التي ستتفوق عليهم».

أما إيلون ماسك فقد أطلق في شهر آب/أغسطس 2014 تغريدته على تويتر يقول فيها: «علينا أن نكون حذرين وبشدة مع الذكاء الاصطناعي فمن الممكن أن يكون أكثر خطورة من الأسلحة النووية»، وكان قد صرح أيضاً للجمهور في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في تشرين الأول/أكتوبر 2014: «أميل بشكل متزايد إلى أنه ينبغي أن يكون هناك بعض الإشراف التنظيمي على المستوى

الوطني والدولي، فقط للتأكد من أننا لا نعمل شيئاً شديد الحماقة».

وفي كانون الأول/ديسمبر 2014 في كلمة له بمؤتمر علمي: حذر فيه البشر من (استدعاء الشياطين) «يجب أن نتصرف بحذر شديد بما يتعلق بالذكاء الاصطناعي.. نحن قد نكون أمام أكبر خطر وجودي يتهددنا. نحن نقوم باستدعاء الشياطين من خلال الذكاء الاصطناعي، والبعض يعتقد أن بوسعه السيطرة على الشيطان بعد استدعائه.. لكن ذلك لن ينجح». بما يتعلق بتطوير قدرات الذكاء الاصطناعي، وذلك رغم مبادرات ماسك

التكنولوجية المعروفة، والتي يعلن صراحة عزمه من خلالها على نقل البشر نحو أبعاد جديدة في علوم الفضاء والبطاريات.

ودعا في المؤتمر الذي تحدث خلاله إلى فرض قوانين محلية ودولية لمنع البشر من القيام ب(تصرفات خرقاء) بما يتعلق بالتقنيات الذكية.

وتقتضى النظريات أنه كلما ازدادت إمكانات جهاز الكمبيوتر في الذكاء الاصطناعي، كلما ازدادت قدرته على التعلم، وكلما زادت قدرته على التعلم كلما ازداد ذكاؤه.

وطورت شركة (فيكارايوس) في عام 2013 برنامجاً للذكاء الاصطناعي يمكنه أن يجتاز اختباراً يستخدم على نطاق واسع على الإنترنت، وتم تصميمه ليخاطب البشر والكمبيوتر كل على حده، ويطلب الاختبار الذي يعرف باسم "كابيتشا" وهي الحروف الأولى من عبارة (اختبار تورينج العام الآلي تماماً للتحديث إلى الكمبيوتر والبشر كل على حدة)، ويتطلب الاختبار من البشر إعادة كتابة مجموعة قصيرة من الأرقام أو الحروف السرية.

ونقلت صحيفة وول ستريت جورنال عن سكوت فونيكس المؤسس المشارك لشركة (فيكارايوس) قوله: إنه يريد الذهاب إلى أبعد من ذلك، وابتكار أجهزة كمبيوتر يمكنها

إن تتعلم كيف تعالج الأمراض، وأن تنتج طاقة متجددة، وأن تقوم بمعظم الوظائف التي يؤديها البشر. والهدف هو ابتكار «جهاز كمبيوتر يفكر مثل الإنسان، باستثناء أنه لا يتعين عليه أن يتناول الطعام أو ينام»، وذلك وفقاً لما نقلته الصحيفة عنه.

وهذا العام 2014 أسس العلماء بجامعة كامبريدج التي يعمل هوكينغ مديراً للأبحاث فيها (مركز دراسات الأخطار على الوجود البشري)، ومن بين أهدافه دراسة كيفية تعظيم الفوائد التي يجنيها الإنسان من الذكاء الاصطناعي، وتجنب حدوث كارثة على غرار ما نراه في روايات الخيال العلمي.

غير أن كلا الهدفين لا يزالان بعيدين عن التحقيق، فقد أجرى الفيلسوف والمؤلف نيك بوستروم استطلاعاً للرأي بين مجموعة من خبراء الذكاء الاصطناعي حول الموعد الذي يتقون أن العلم سيحقق فيه «مستوى رفيعاً من ذكاء الآلات». وأعرب هؤلاء العلماء عن اعتقادهم بأن ذلك سيحقق في المتوسط عام 2075، وبعد ذلك بثلاثين عاماً يمكن ابتكار الآلات ذات الذكاء الفائق، والتي يمكن أن تتفوق على تفكير الإنسان، ولكن ما نسبته 21 في المئة منهم قالوا: إن ذلك لن يتحقق على الإطلاق.

مما يجدر ذكره أن معهد مستقبل الحياة هو منظمة بحثية من المتطوعين فقط، أسسها العشرات من علماء الرياضيات وخبراء علوم الحاسب في جميع أنحاء العالم، هدفها الأساسي هو التخفيف من الأخطار المحتملة لذكاء صناعي بمستوى الذكاء البشري، والذي يمكن له أن يتطور بشكل مخيف، أما خطتها طويلة الأمد فهي وقف التعامل مع خطر الذكاء الصناعي على أنه ضرب من الخيال، والبدء سريعاً بمعالجة احتمال أن يتفوق على حدود إمكانياتنا، وأنه يوماً ما سوف يبدأ بالعمل بشكل يتضارب مع البرمجة الخاصة به.



دراسة.. لا تدخنوا أمام أطفالكم لتجنّبهم أمراض القلب



كشفت دراسة نشرت هذا الأسبوع في مجلة الدورة الدموية عن زيادة خطر إصابة الأطفال بأمراض القلب في مرحلة البلوغ في حال تعرضهم للتدخين السلبي. وذكرت الدراسة أن الأهل الذين يحاولون الحد من التدخين أمام أطفالهم، يتعرض أولادهم إلى خطر إصابة الأطفال بأمراض القلب في مرحلة البلوغ بمعدل الضعفين مقارنة بالأطفال الذي لا يدخن أبولهم على الإطلاق، فيما الأطفال الذين يدخن أبولهم أمامهم بشكل طبيعي، تزيد نسبة خطر إصابتهم بأمراض القلب بمعدل أربع مرات أكثر مقارنة بالأطفال الآخرين.

وشملت الدراسة أكثر من 1500 طفل فنلندي، على مدى 20 عاماً، من خلال بيانات جمعت بين العامين 1980 و1983 لقياس نسبة الكوتينين، التي تبقى في الدم بعد التعرض للتبغ. وتابع الباحثون هذه العينة مرة أخرى بين العامين 2001 و2007 لقياس اللويحات التي تتراكم على الشريان السباتي لدى الأشخاص البالغين. أما الأطفال الذين كان لديهم مستويات أعلى من الكوتينين، كان لديهم أيضاً مستويات أعلى من اللويحات المتراكمة على الشريان السباتي، في سن البلوغ، ما بسبب أمراض القلب.

وقال البروفيسور في جامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو ستانتون غلانتز: "هذه الدراسة تثبت أن التعرض للتدخين السلبي خلال الطفولة يزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب لدى الكبار." ووفقاً لمركز السيطرة على الأمراض، يتعرض حوالي 60 في المئة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و11 سنة للتدخين السلبي، على الأرجح داخل المنزل.

كتنف طبي أثري.. أقدم حالة إصابة بسرطان الثدي لامرأة مصرية عاشت قبل 4200 سنة



أعلنت وزارة الآثار في مصر عن اكتشاف ما وصفها بـ"أقدم حالة إصابة بسرطان الثدي"، لامرأة مصرية عاشت قبل 4200 سنة، في واحد من أهم الاكتشافات الطبية التي تميز ظهور "المرض الخبيث" منذ العصور الفرعونية. وقال وزير الآثار، ممدوح الدماطي إنه تم اكتشاف هذه الحالة أثناء دراسة لإحدى البعثات الأثرية الإسبانية، على مقبرة "قبة الهواء"، التي تعود إلى "الأسرة السادسة"، أي إلى عام 220 قبل الميلاد، في مدينة أسوان بجنوب مصر.

وذكر الوزير المصري أن فريق بعثة جامعة "جين" الإسبانية، بالتعاون مع خبراء وزارة الآثار، تمكن من رصد "تشوهات غير مألوفة"، على الهيكل العظمي لإحدى السيدات المدفونة بالمقبرة، وكشف المزيد من عمليات الفحص والدراسة عن إصابتها بسرطان الثدي. ونقل البيان عن رئيس فريق "الأنثروبولوجي"، ميخيل بوتيللا، قوله: إن "الدراسات أظهرت بقايا مظاهر للتدهور، التي نتجت عن انتشار ورم خبيث بين العظام"، لافتاً إلى أن حالة الهيكل تشير إلى أن هذه السيدة تنتمي إلى إحدى الطبقات الراقية، و"حظيت بال العناية والاهتمام طوال مدة مرضها وحتى الوفاة".

كما أشار رئيس البعثة الإسبانية، أليخاندرو خيمينيز، إلى أن البعثة بدأت عملها في هذه "جبانة قبة الهواء" غربي مدينة أسوان، عام 2008، بهدف "دراسة تفاصيل الحياة اليومية والطقوس الجنائزية، لمعرفة الظروف المعيشية للمصريين القدماء"، بحسب البيان.

دراسة: أرضعوا أطفالكم ليصبحوا أثرياء



لطالما ركزت الدراسات العلمية على أهمية الفوائد الصحية للرضاعة الطبيعية مثل الحماية من الأمراض المعدية والحد من الوفيات.

وذكرت دراسات سابقة أن الرضاعة تزيد من مستوى الذكاء بمعدل 7.5 لدى الأطفال في المرحلة الابتدائية، فضلاً عن ارتفاع مستوى الذكاء اللفظي والأداء، ومعدل الإدراك.

وكشفت دراسة طويلة الأجل عن وجود ارتباط بين الرضاعة الطبيعية ومستوى الذكاء. وشملت الدراسة التي أجريت في البرازيل حوالي 3500 رضيع من كل المستويات الاجتماعية، إذ وجدت أن الأشخاص الذين رضعوا لمدة أطول سجلوا معدل أعلى في اختبارات مستوى الذكاء.

وقال مؤلف الدراسة، الدكتور بيرناردو ليسا هورتا إن "المعلومات حول الرضاعة الطبيعية جمعت في مدة قريبة من موعد الطعام، مضيفاً: "لاحظنا أن الرضاعة الطبيعية كانت مرتبطة بشكل إيجابي بمستوى الأداء والذكاء في عمر الـ30 عاماً، فضلاً عن ارتباطها بالتعليم، والتحصيل الدراسي، وأيضاً الدخل الشهري المرتفع." وثبت أن الرضاعة الطبيعية للأطفال لمدة 12 شهراً، أو مدة أطول تزيد من مستوى الذكاء وارتفاع مستوى الدخل لدى الأشخاص.

وأوضح هورتا أن "التأثير الإيجابي للرضاعة الطبيعية على رفع مستوى الدخل، هو بمثابة الاستنتاج الرئيسي الذي توصلت إليه الدراسة."

وتجدر الإشارة، إلى أن حليب الأم يعد غنياً بالأحماض الدهنية المتعددة غير المشبعة، والتي تعد مهمة في النمو والتطور العقلي والنفسي لدى الأطفال.

نصائح لتحمي نفسك من السقوط في قاع الاكتئاب



غالباً ما يسبب اضطراب المزاج الشعور بالاكتئاب نظراً لتعدد العوامل المؤثرة في الحالة النفسية لدى الإنسان.

ويمكن أن تتحول حالة الاكتئاب الطفيفة إلى اضطراب نفسي يصعب علاجه مع الوقت. ويعد التشخيص المبكر خطوة حيوية بهدف تجنب تفاقم الحالة والإصابة بالاضطرابات النفسية.

وينصح بعض الخبراء بممارسة التأمل بهدف تطوير قدرة الإنسان على مراقبة حالته الذهنية، والاسترخاء. ويمكن للشخص تجنب الانجراف نحو الأحاسيس السلبية، مثل الغضب والتوتر، وغيرها من الأفكار السيئة للصحة النفسية، وذلك من خلال تدريب النفس على اتخاذ مواقف إيجابية.

وفيما يلي بعض النصائح التي تساعد في تدريب الذات على التعامل مع المواقف والأفكار السلبية "غير الصحية":

أولاً: معرفة الأسباب التي تؤدي إلى تغيير المزاج بشكل سلبي.

ثانياً: عدم الانهماك في التفكير بالمشاعر السلبية والسيئة.

ثالثاً: إقناع نفسك بأن المواقف السلبية لا تستحق عناء التفكير.

وينصح دائماً بالتغيير الإيجابي لتعزيز راحة البال والحد من عوامل الشعور بالاكتئاب، والاضطرابات النفسية، مثل التواصل مع الأهل والأصدقاء، وممارسة الرياضة والهوايات.

عودة مصادم الهيدرونات للعمل بعد توقف عامين



أعاد العلماء في المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية (سيرن) تشغيل مصادم الهدرونات الكبير (إل إتش سي)، وشرعوا في محاولة جديدة لحل غموض الكون والبحث عن "المادة المظلمة" الغامضة، وذلك بعد عامين توقف فيها هذا المصادم عن العمل بهدف فحصه وتطويره.

وتكمن آمال العلماء في محاولة التشغيل الثانية لهذا المصادم في الخروج مما يعرف باسم "النموذج القياسي" لكيفية عمل الكون على مستوى الجسيمات الأولية، نحو "الفيزياء الجديدة".

ويتضمن ذلك البحث عن المادة المظلمة التي تشكل نحو 96% من مادة الكون، والتي لا يمكن الكشف عنها إلا من خلال تأثيرها على المواد المرئية مثل المجرات والكواكب.

ويستعد العلماء لاصطدام الجسيمات المتوقع أن يبدأ في حزيران/ يونيو 2015، على الرغم من أنه من غير المرجح ظهور أي اكتشافات جديدة حتى منتصف عام 2016.

وشمل تجديد وإصلاح المصادم إضافة مغناطيسات جديدة ذات قوة حُرْم طاقة وفولتية أعلى، وكذلك فحص كافة الأسلاك في جميع أنحاء نفق المصادم، الذي يمتد على طول 27 كيلومتراً على عمق نحو مئة متر تحت الأرض، ومستشعراته الأربعة الرئيسية ومغناطيساته العديدة.

ويشار إلى أنه خلال آخر عملية تشغيل لهذا المصادم في المدة بين 2010 و2013، توصل العلماء إلى اكتشاف جزيء هيغز (بوزون هيغز) الأسطوري بعد سنوات من البحث في الحطام المسجل من تصادم الجزيئات في سيرن ومصادمات أخرى أصغر.

هل يتحول ويندوز إلى نظام مفتوح المصدر؟



ترتكز إمبراطورية شركة البرمجيات الأمريكية مايكروسوفت بشكل أساسي على ويندوز، نظام تشغيل الحواسيب الشهير الذي تعتمد عليه نسبة كبيرة من الحواسيب الشخصية والمحمولة والهواتف الذكية والحوادم حول العالم، ومصدر كمية ضخمة من العائدات للشركة. وعلى عكس أنظمة التشغيل مفتوحة المصدر مثل "أندرويد" و"لينوكس" يوصف ويندوز بأنه نظام "مغلق المصدر" أي أنه نظام تحتفظ الشركة المطورة له بحق التعديل على شيفراته، على عكس الأنظمة مفتوحة المصدر، كما يتوجب على المستخدم دفع مبلغ مادي لقاء الحصول عليه بشكل قانوني. لكن برغم الأرباح الكبيرة التي يجلبها ويندوز، فقد تفرض متطلبات السوق على مايكروسوفت في المستقبل تحويله إلى نظام مجاني مفتوح المصدر، وفق مارك روزينوفيتش، أحد كبار مهندسي الشركة.

ويستد روزينوفيتش في كلامه إلى أن عالم التقنية شهد تغيرات ضخمة خلال السنوات القادمة بحيث ازداد اعتماد الشركات، وحتى بعض مستخدمي مايكروسوفت- على الأنظمة مفتوحة المصدر، وهو ما يسهم بدفع الشركة نحو السماح باستخدام نظام لينوكس ضمن خدمة الحوسبة السحابية "مايكروسوفت أזור" التابعة لها.

وتفرض مثل هذه المتغيرات على مايكروسوفت التعامل معها للحفاظ على مكانة ويندوز خاصة مع الانتشار الذي يحققه لينوكس، لذلك يتوقع "روزينوفيتش" ألا تكتفي شركته بالسماح باستخدام البرمجيات مفتوحة المصدر في خدماتها السحابية، بل قد تتجاوز ذلك وتحول ويندوز إلى برمجية مفتوحة المصدر.

دراسة: ذاكرة الرجال أسوأ من ذاكرة النساء

في الدماغ)، والذاكرة اللفظية لدى النساء أفضل من الرجال بالاستناد إلى قياس حجم الرأس" ولا بد من القول، إنه يمكن الوقاية من الوقوع في براهن الشيوخة، من خلال اتباع نمط حياة صحي يسهم في تحفيز الهرمونات التي تساعد في تطوير خلايا الدماغ، من خلال ممارسة التمارين المفيدة لصحة الجسم والدماغ، وتعلم مهارات جديدة.

كشفت دراسة حديثة، نشرت في مجلة "جاما نيورولوجي" عن أن ذاكرة الرجال أسوأ من ذاكرة النساء.

وأثبتت البيانات العلمية أن الجزء المسؤول عن الذاكرة في دماغ الرجل، أصغر من الجزء المسؤول عن الذاكرة في دماغ المرأة.

وقال الدكتور كليفورد جاك من "مايو كلينيك" إن "الذاكرة وحجم الدماغ لدى الرجال، أسوأ من ذاكرة

هل سيهدد هذا الروبوت ذو الذراع الواحدة وظيفتك في المستقبل؟



لهذا الروبوت أن يحدد فيما لو سندخل عهداً جديداً من البطالة أم سنتخلص من مهنة لا نرغب بأن يمارسها أطفالنا مدى الحياة.

ويستطيع الروبوت الذي يبلغ طوله متراً ويملك وجهاً على شاشة اللمس مكان الرأس البشري، كما أن ذراعاً المرنة والمتحركة في كافة الاتجاهات تسمح له بحرية الحركة ونقل البضائع بسهولة من مكان إلى آخر.

هذا هو الروبوت "Sawyer" ذو الذراع الواحدة، ويمكنه تجميع كل البضائع في المحال التجارية يوماً بعد يوم، دون تعب أو أخذ استراحة لاستعمال دورة المياه أو طلب علاوة من مديره.

ولكن ما لا يمكن لهذا الروبوت فعله هو تفهم طبيعة الجدل المثار حوله، وعن التأثير الذي يمكن أن يخلفه على الطاقة الإنتاجية والبشرية في الوقت ذاته، إذ يمكن

الحب والشعر

ميسون أبو بكر



أديبة وشاعرة ومذيعة في
التلفزيون السعودي

mysoonabubaker@yahoo.com

@Mayabubaker

بعيداً عن كل ما يختنق به العالم اليوم من صراعات وخلافات وموت وتشريد، أردت أن أذكك عزيز القارئ إلى عالم متعالٍ عما يحيط بنا، وإلى امرأة كما تقول عنها خالدة سعيد: طلبت من الحب ما طلبت من الشعر، طلبت أن يكون تأرها من العالم وحصانها السحري للنجاة.

لم أكن أظن أن للشعر عصاً سحرية تبذل نكهة الأشياء، وتذهب بمرارتها، لم أكن أعتقد يوماً أن حروفه تتحول لغيمات، تحملنا لسماوات نقية وإيقاعه موسيقى تبتد رتابة الأشياء، الشعر الذي واجهت به قسوة الحياة مع شاعر شاركته رغبة الحياة، وما تيسر بالقليل من الفرح.

الأعمال الشعرية الكاملة لسنية صالح هي من جعلتني بشكل أو بآخر أنبش ذاكرة الشعر وتاريخ امرأة مجبولة بالحب والحلم، علقت أوراقها على أغصان الريح، وسافرت بها مع الفصول الهاربة، ثم لما أرادت أن تعود لم يحملها زورق الرجوع، فتبيلت أوراقها بالبحر، ونامت جراحها على ضوء الشموع.

في عالم سنية الحقيقي والمتخيل بقيت سلافة وشام بطلتان بلا منازع، حيث كانت الشاعرة هي القنديل الذي ينير طريقهما، والدليل الذي يرشدهما للخلاص، ولطالما دعتهما بحروف من الشعر لتحدي الواقع والصراخ بوجه القهر، ورفض الانحناء، (وكان الشعر مع ابنتيها هي الحصيلة التي تقف بها أمام الله).

ولما سُئلت ذات مرة عن القصيدة إن كانت تعيش تجربتها أم هي من وحي الحياة؟ قالت: «الشعر عملية عبور النار، اشتعال الجسد والعقل والمخيلة بجمي الكشف، والبرق الذي يفاجئ الشاعر في أثناء ذلك لا يعنيه حدود ما يجري وأهدافه».

لعل ما يحدث في سوريا الآن وما يعانيه الشعب السوري من قهر وظلم من طاغية البلاد، أراه يتجلى فيما كتبت هذه الشاعرة من مشاعر، فكثرت في شعرها الانكسارات ولم تخل قصصها النثرية أيضاً من هذا.

(عاشت مغلقة بيقينها الشعري، متعلقة بالأمل الذي يجيء من لدن الشعر، بل لائذة بعصمة الحقائق الشعرية وبها، هذا العالم الذي أعطاه مفتاحه وأجزل الوعود، فقد كان الشعر عزاءها ووعداً ومفتاح السر).

كانت هي سنية صالح زوجة الشاعر محمد الماغوط من أردت أن أخلق في هذا المقال بعالمها، وفي كل مرة كنت أحاول أنجو من ملامح القتلى والأطفال المشردين الذين يعيشون اليوم نكبة سوريا، كنت أغرق في أيقونة قصائدها، فتعيدني حروفها التي تتأوه من الألم إليها، تلك التي صارت الموت بقوة الشعر.

من آخر البحر

ترتمشين كالعصافير

إذ تضرب خواصرها أجنحة الريح

والمطر

فوق أحزان المساء

أراك مطلقاً



تصوير: يونس العلوي - المغرب

عمل يجمع بين التشكيل والفوتوغراف بذكاء فني .. هو انعكاس لدواخلنا بخطوط وألوان بإسقاطات تعبير

عن ذاتنا .. من الأعمال الجميلة لها وقع خاص في النفس ..

سنة صبح

معاً.. نختصر المسافات لحلم يتجدد...



فكر

مجلة العرب على امتداد خارطة العالم



www.fikrmag.com

مجلة فكر الثقافية

للتواصل : fikrmag2@gmail.com

